


الكشاف عن حقائق التنزيل
الجزء الثاني
کتابخانه مجلس شورای ملی
الكشاف عن حقائق التنزيل
بازدید شد
۱۳۸۲

الخير كقوله وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس
كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة
والنخبة وما اشبه مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما
وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت
انما هو ابراهيم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان كذلك وعن
عمر حين قيل له استخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانتا
لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم
يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم بامر الله
والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم
انهم على ملة ابيهم ابراهيم شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات
يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا
له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه
اصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة هي تنويه الله
بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا
كما صليت على ابراهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة
منزلة رسول الله واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم صلوات الله
عليه من الكرامة واجل بالنعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين
اختلفوا واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا
في تحريمه على كلمة واحدة بعدما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك
نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ذلك وهو الانذار من سخط الله على
العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا
جميعا محلين تارة ومحرمين اخرى قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة
ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلم امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة

وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض
وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه
وبعضهم اختار وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد
فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا على الصيد فمسخهم
الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى
جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرى انما جعل السبت على البنا للفاعل
وقرا عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة
وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا تخفى عليهم انك تناصحهم بها
وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة
وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة
ولا تعنيف ان ربك اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا
خير فيه عجزت عنه الحيل وكانه ضرب منه في حديد بارد سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة
والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرى وان
عقبتم فعقبوا اي فان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا
بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن
الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن
فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف
عما اراد ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور اما
ان يرجع الضمير في لهو خير لهم الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولصبركم
لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد
او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا على المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد
دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله فمن
عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسول الله واصبر انت فعزم
عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم
اي على الكافرين وعلى المومنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرى ولا تكن في ضيق

حياة كالنطف التي ينشيها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة
فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم
هولا الالهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه
حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه اخر وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم
يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احيا اي غير باق حياتهم وما يشعرون ولا
علم لهم بوقت بعثهم ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال
ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية
وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو
وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان
يعم كل مستكبر ويدخل هولا تحت عمومه ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شي انزل ربكم او
مرفوع بالابتدا بمعنى اي شي انزله فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما تدعون نزوله اساطير
الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن
رفع فان قلت هو كلام متناقض فيه لانه لا يكون منزل ربهم واساطير قلت هو على
السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول
المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم
اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض
اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا
يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا نحو قوله حتى
من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف
بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى
يميز بين المحق والمبطل القواعد اساطين البنا التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني
انهم سووا منصوبات فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف
فهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى
الصرح ببابل طوله خمسة الف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى

طير

قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون
من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرى فاتى الله فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم يذلهم
بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة
شركاي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون
فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم ومعناهم وقرى تشاقون بكسر النون بمعنى
تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء
من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم
يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة
قرى تتوفاهم بالياء والتاء وقرى الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم فسالموا
واخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل
من سوء جحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما
كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا
انزل خيرا فان قلت نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد
يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا
للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا اساطير
الاولين وليس من الانزال في شيء وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم
بخبر النبي صلى الله عليه فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه
كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى
اصحاب محمد رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا للذين
احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقوله للذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه
تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين ويجعل قولهم من احسانهم
ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف
المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص
بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم

وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم تاتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس
المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي
فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل نفس يقول نفسي نفسي
ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله
مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا
فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية
كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة
مع الامن والانزعاج مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء
كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم
بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما عليه
والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة
فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون
ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر
والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض
الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما
ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الا
بهما فان الاستنكار لا تقع الا لمن فقه احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار كما نظر اليه ههنا
ونحوه قول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار
الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي
هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظر الى المستعار
كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه
ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل
فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا تتوفاهم الملائكة
في حال تلبسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة

النعمة والموت على الغفلة وقرئ الخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه واصله ولباس الخوف وقرئ ولباس الخوف والجوع لما وعظهم بما
ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل ذلك بالفاء في قوله
فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم
الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون تعني تطيعون وان صح
زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم
عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب
بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم من البهائم في الحل والحرمة في قولكم ما في
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي
من الله والى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا
حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا
الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حرام وهذا حلال ولك ان تنصب الكذب بتصف
وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول
في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة **فان قلت** ما معنى
وصف السنتهم الكذب **قلت** هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه
فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال
وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب
بمعنى الكاذب كقوله بدم كذب والمراد بالوصف البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب
بالرفع صفة للالسنة واما بالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او جمع الكذاب من قولك
كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع
قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها
عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين
غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من
بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات

اي ولا تضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون
الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا
المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص
فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان
له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية بعون الله وتوفيقه وغفر لصاحبه

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره
تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح
التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف **فان قلت** الاسراء لا يكون
الا بالليل فما معنى ذكر الليل **قلت** اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه
اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على
معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل
فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري به منه فقيل هو
المسجد الحرام في الحجر عند البيت بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في
المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق وقيل اسري به من
دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن
عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به
ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى
المسجد فتشبثت به ام هانئ فقال ما لك فقالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال
وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله بحديث الاسراء فقال ابو جهل
لعنه الله يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا
وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك فقد صدق
قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر الى
ثم فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد

اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل هذه والله الشمس
قد شرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا
ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس
واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء عليهم السلم وبلغ البيت المعمور
وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن
انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة او في المنام وعن عائشة انها قالت ما
فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها واكثر
الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلم ومهبط
الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وعن الحسن لنريه بالياء ولقد
تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم وقد قطوبه الالتفات التي هي من طرق البلاغة
انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على
حسب ذلك الا تتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على اي لا تتخذوا كقولك كتبت
اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل
على النداء فيمن قرأ الا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من
حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا
كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح
عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية
وروي عنه انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله بالنعمة في انجاء آبائهم من الغرق
نوحا كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا
شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني
ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته
قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاي في عافية ولو شاء حبسه فروي انه كان اذا اراد الافطار
عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به **فان قلت** قوله انه كان عبدا

٥

شكورا ما وجه ملائمته لما قبله **قلت** كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا
كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم
اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح عليه السلم
فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد
اد
وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا انهم يفسدون في
الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة ولتفسدن جواب قسم
محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال
واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن من فسد مرتين اولاهما
وقيل
قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله والاخرى قتل يحيى بن زكريا وقصد
قتل عيسى عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنجاريب
وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا
منهم سبعين الفا **فان قلت** كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه **قلت**
معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو
كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم
واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب الديار واحراق التوراة
من جملة الجوس المسند اليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا خلل الديار **فان قلت**
ما معنى وعد اولاهما **قلت** معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان
وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على الذين
بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وقيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل
اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم
والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد اي الاحسان والاساءة كلاهما
مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد
ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوؤا وجوهكم حذف
لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة
فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء وجوهكم والضمير لله وللوعد وللبعث

ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا وليتبروا
جواب اذا جا ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء علوه واستولوا عليه والمعنى
مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان
عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة
وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون
الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان اخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي فهم
منهم في عذاب الى يوم القيمة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا
كما يبسط الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او
الطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام
الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف
ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك
وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على
ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز
ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله
وماله كما يدعوه بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا يتسرع
الى كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه انه دفع الى
سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك فشكا الم القد فارخت من كتافه
فلما نامت اخرج يده فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال عليه
السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اني سالت الله ان يجعل دعائي ولعنتي على من لا يستحق من اهلي رحمة
لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر
وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان
عجولا يعني ان العذاب اتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس هو النضر بن الحرث قال
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب فضربت عنقه صبرا وجعلنا الليل
والنهار ايتين فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار ايتان في انفسهما فيكون الاضافة

في اية الليل واية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود فمحونا الاية التي هي الليل
وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين يريد
الشمس والقمر فمحونا اية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان
فيه شي كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء
وتستبان او فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى
فيه الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شي لتبتغوا
فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم
ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه ولولا ذلك
لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شي مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم
فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد
حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولهم طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه
ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه ومنه مثل العرب
تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن ادم
بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ يخرج
بالنون ويخرج بالياء والضمير لله تعالى ويخرج على البناء للمفعول ويخرج والضمير للطائر
اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه
منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرا على ارادة القول
وعن قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا ونفسك فاعل كفى وحسيبا
تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى
متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد
فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه
بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه
قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتاول النفس بالشخص كما يقال ثلثة انفس وكان
الحسن اذا قراها قال يا ابن ادم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اي كل نفس
حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة

اليه

تزعموا الينا الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة **فان قلت**
الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر
وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا
لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان **قلت**
بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين
فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا وقت اهلاك قوم
ولم يبق من زوال اهلاكهم الا قليل امرنا مترفيها ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا
والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي مجازا
ووجه المجاز انه صب عليهم النعم صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم
مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير
ويتمكنوا من الاحسان كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار
الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا فحق عليها القول وهو كلمة العذاب
فدمرناها **فان قلت** هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا **قلت** لان حذف
ما لا دليل عليه غير جائز فكيف حذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما
حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرا لا
يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك
علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر
مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا
على المامور به وكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم
بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به وكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه
طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول **فان قلت**
هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان المراد
امرناهم بالخير ففسقوا **قلت** لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا
وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله
استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك

تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال
من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر
ما دل عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته
فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة
اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى
امرك هذا حقيرا فقال انه سيامر اي سيكثر وسيكبر وقرئ امرنا من امر وامره غيره وآمرنا
بمعنى امرنا ومن امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم كم مفعول اهلكنا من
القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه
بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غيرها وانه عالم بها
معاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه
من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له
بارادته هكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم
يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد اختار
مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا
له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى
الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان
للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا
بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام فمن كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما
هاجر اليه مدحورا مطرودا من رحمة الله سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال
الصالحة اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه ويتجافى
عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين
من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية
وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه
نمدهم بهم من عطائنا ونجعل الآخرة مددا للسالف لا نعطفه فنرزق المطيع والعاصي جميعا

على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اى ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه
انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الاخرة التفاوت اكبر لانها
ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا
بباب عمر فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما
اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف
التفاوت في الاخرة فان حسدتموهم على باب عمر فما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ واكثر
تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع
في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة
بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك والخذلان والعجز
عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا الا اياه
ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين
احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن
بعض معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان
المصدر لا يتقدم عليه صلته اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك
دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا
يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغ وهو في قراءة من قرا يبلغان بدل من الف
الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا فان قلت لو قيل اما
يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا
يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك
لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد
توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان
بدلا مثل الاول اف صوت يدل على تضجر وقرئ اف بالحركات الثلث منونا وغير منون
الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف الضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت
ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما
عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا

ولد

في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما
اذا اضجره ما يستقذره منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ
سبحانه في الوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك
القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع
موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل معها صبر الانسان في الاستطاعة
ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات وقل
لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروة وقيل
هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابرهيم عليه السلم لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما
فانه من الجفا وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة
نحلني ابو بكر كذا وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح
الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك
للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك
الذليل او الذلول والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال
يدا وللقرة زماما قال وغداة ريح قد كشفت وقرة اذا اصبحت بيد الشمال زمامها
وانشد رضي الله عنه لنفسه
وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا مبالغة في التذلل والتواضع لهما
من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر
خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما
رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت
الاسترحام لهما انما يجوز اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط
الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا
ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شي انفع له
من الاستغفار ولو كان شي افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه
الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في
سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل

فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله ان ابوي
بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك
وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكا على عصى فساله فقال انه كان ضعيفا وانا
قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير
وهو غني يبخل علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال
للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن
سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك
حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين سهرت ليلها واظمات نهارها قال
لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة للمرء من فرق الطلق
المراة وعن ابن عمر انه راى رجلا في الطواف يحمل امه وهو يقول
اني لها مطية لا تذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر
الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع
رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب
بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا
شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه
استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه
يله غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل
وسئل عن ذلك بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا
منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم
بخدمة اوداء ابيهما من بعدهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل
ود ابيه ربكم اعلم بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من
التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب
وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او الحبة من الاسلام هيئة تؤدي الى اذاهما

ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون
من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب
بادر الى التوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج
تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير
الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين
والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة وعند
الشافعي لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا
محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والموالفة على السراء
والضراء والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني واتهما حقهما من الزكاة وهذا
دليل على ان المراد بما يؤتى ذوي القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقرباء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تبذر تبذيرا ولا تفرق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف
وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في
اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق
المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في
خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن
عمر مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضا فقال له ما هذا السرف يا سعد
قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة
وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم
به من الاسراف او قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي
ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرا الحسن اخوان الشيطان واما تعرضن عن ذوي
القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا
سالوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت
حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم سهلا
لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي

ترجوها برحمتك عليهم وإما أن يتعلق بالشرط أي وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن
يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق
مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب
ويجوز أن يكون وإما تعرضن عنهم وإن لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة
ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك لأن من أبى أن يعطي أعرض بوجهه ميسورا
من يسر الأمر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله
على أنه دعاء لهم بيسره عليهم فقرهم كأن معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أي دعاء فيه يسر هذا
تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير فتقعد
ملوما فتصير ملوما عند الله لأن المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج أعطى
فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك إذا احتجت فندمت
على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر إذا بلغ منه وحسره
المسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك
درعا فقال من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت له قل له إن أمي تستكسيك
الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظر
فلم يخرج للصلاة وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن
مرداس وأنشأ يقول أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لم يرفع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع
فقال يا أبا بكر اقطع لسانه عني أعطه مائة من الإبل فنزلت ثم سلى رسول الله عما كان يرهقه
من الإضاقة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لأن مشيئته في بسط
الأرزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز أن يريد أن البسط والقبض إنما هما من أمر
الله الذي الخزائن في يده فأما العبيد فعليهم أن يقتصدوا ويحتمل أنه عز وعلا بالبسط للعباد أو
قبض فإنه يراعي أوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى
مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة
وهي الإملاق فنهاهم الله وضمن لهم أرزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الإثم يقال

أن م

ألله أضل من النعم أفأصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار يعني
أفخصكم ربكم على الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه
واتخذ أدونهم البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون
بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردؤها وأدونها للسادات إنكم
لتقولون قولا عظيما بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام ثم بأنكم تفضلون عليه
أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم
أدون خلق الله وهم الإناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم
إلى الله البنات لأنه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وأوقعنا التصريف
فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد صرفناه
يعني هذا القرآن في مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف
وكذلك ليذكروا وقرئ مشددا ومخففا أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما
يحتج به عليهم وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة إليه وعن سفيان كان إذا قرأها
قال اللهم زدني لك خضوعا ما زاد عداك نفورا وقرئ كما تقولون بالتاء والياء وإذا لابتغوا
جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا إلى ذي
العرش سبيلا لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما تفعل الملوك بعضهم
مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لتقربوا إليه كقوله أولئك يدعون
يبتغون إلى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف
العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به المراد أنها تسبح له بلسان الحال
حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله عما لا يجوز
عليه من الشركاء وغيرها **فإن قلت** فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا
التسبيح مفقوه معلوم **قلت** الخطاب للمشركين وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق
السماوات والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم
يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فإذا لم يفقهوا التسبيح
ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق **فإن قلت** من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة
والثقلان وقد عطفوا على السماوات والأرض فما وجهه **قلت** التسبيح المجازي حاصل في

الجميع فوجب الحمل عليه والا كان الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه
كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسو نظركم وجهلكم بالتسبيح
وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل حجاب لا يرى فهو
مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان
يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما
تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرات القران جعلنا
على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان يفقهوه وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع
من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا
وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد
الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر
كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر مع الهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما
يستمعون به من الهزء بك وبالقران ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرا رجلان من عبد
الدار ورجلان منهم عن شماله فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه
في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ هم نجوى وبما يتناجون به
اذ هم نجوى اذ تقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة
اي هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا
في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا
يدري ما يصنع لما قالوا انا كنا عظاما قيل كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا
على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى
انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحي وغضاضته
بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه
سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحياة
ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا
مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة ويعظم في
زعمكم على الخالق احياوه فانه يحييه وقيل ما تكبر في صدوركم من الموت وقيل السموات

والارض فسينغضون اليك روسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعا والاستجابة
كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم
اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب ما يشق عليه فيتابى ويمتنع
ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب
فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم
وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما
يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة وقل لعبادي وقل
للمومنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي
احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه
الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر
وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة
والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام
وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك
المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر شتمه رجل فامره الله
بالعفو وقيل افرط ايذا المشركين المسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرا طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان
نحو يعرشون ويعرشون وهو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب
نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك
في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم وبمقاديرهم
وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله واتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه
خاتم الانبيا وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته **فان قلت** هلا عرف الزبور
كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور **قلت** يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس
والفضل وفضل وان يريد واتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول

يتيم

الله من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القران قرانا ثم الملائكة وقيل عيسى
وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون
ان يكشفوا عنكم الضر كمرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه
واولئك مبتدا والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة
هي القربة الى الله وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم
وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل
يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون
كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل
احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم نحن مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها
بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك
في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك
والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا [بلدا] في الكتاب في
اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الايات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة
والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين والمراد الايات
التي اقترحها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم
ان من اقترح منهم آية واجيب اليها ثم لم يؤمن لم يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا
عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم
كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون
في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر من بعثت اليهم الى يوم القيمة
ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة
صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم
مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالايات
ان اراد به الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل
كالطليعة والمقدمة فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيره فالمعنى وما نرسل بالايات
كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط

بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم
وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وغير ذلك فجعله كان قد
كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحم الفريقان يوم بدر ورسول
الله في العريش مع ابي بكر كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه
الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله اراه مصارعهم في منامه
فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض
ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله من امر بدر وما اري في منامه
من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا قوله
ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم
يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله
الشجرة من جنس لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة من بلاد الترك تتخذ منه
مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فيذهب الوسخ ويبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى
النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمر كالجمر باحماء النار فلا يضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق
في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما
نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك
في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الاخرة وشجرة
الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة الا طغيانا كبيرا فكيف
نخاف قوما هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الايات وقيل الرؤيا هو الاسرى وبه تعلق من
يقول كان الاسرى في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها
رؤيا على قول المكذبين حين قالوا لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما
سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم اين شركاي ذق انك انت العزيز
الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل راى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره
كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القران قلت لعن طاعموها
من الظلمة والكفرة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها

على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان
من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ملعون وسالت بعضهم فقال نعم الطعام
الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشيطن
وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر
كانه قيل والشجرة الملعونة في القران كذلك طينا حال اما من الموصول والعامل فيه
اسجد على اسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على اسجد لمن كان
في وقت خلقه طينا ارايتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي
كرمته علي اي لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدا فقال لين
اخرتني واللام موطية للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغوا من احتنك
الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك وما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين
اكلهما **فان قلت** من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب **قلت** اما ان سمعه من الملائكة
وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في مخايله انه
خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علم وسوسته في ادم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل
ادم الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجي وانما معناه امض لشانك
الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سو اختياره من قوله فمن تبعك منهم فان
جهنم جزاوكم وقال موسى للسامري فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس **فان قلت** اما
كان من حق الضمير في الجزا ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك **قلت** بلى ولكن التقدير
فان جهنم جزاوهم وجزاوك ثم غلب المخاطب على الغايب فقيل جزاوكم ويجوز ان يكون للتابعين
على طريق الالتفات وانتصب جزا موفورا بما في جهنم جزاوكم من معنى تجازون او باضمار
تجازون او على الحال لان الجزا موصوف بالموفور والموفور الموفى يقال فر لصاحبك استفزه
استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخياله ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم الراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على
ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون حدث وحدث
وندس وندس واخوات لهما يقال رجل ورجل وقرئ ورجالك ورجالك **فان قلت** ما معنى
استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله **قلت** هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله

في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم
واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وبخيله
ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون خيل ورجال واما المشاركة في
الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة و السائبة
والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى
ولد بغير نسب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف
الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والاتكال
على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة
وشفاعة الرسول في الكباير والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الاجل
ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم
يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحو قوله الا عبادك منهم المخلصين **فان قلت** كيف جاز ان
يامر الله ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير **قلت** هو من
الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شيتم يزجي يجري ويسير
والضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في
ذلك الوقت ولا تعتقدون في حمايته رجاكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره لا يقدر على اغاثتكم
ولم تهتدوا لانقاذكم الى غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الالهة عن
اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع افامنتم
الهمزة للانكار والفا للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض
فان قلت بم انتصب جانب البر **قلت** بيخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به
وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه **فان قلت**
ما معنى ذكر الجانب **قلت** معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سوا وله في كل جانب
برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل
ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت
التراب كما ان الغرق تغييب تحت الما فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر
في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم

السائبة

ابة

من النار

حاصبًا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصبا يعني وان لم نصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف
اصابكم به من فوقكم بريح نرسلها عليكم فيها الحصبا يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق
في البحر . وكلا من يتوكل لصرف ذلك عنكم ام امنتم ان نقوى دواعيكم وتلجئ حوائجكم الى
ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه واعرضتم فننتقم منكم بان نرسل عليكم قاصفًا
وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشي
الا قصفته فنغرقكم وقرا بالتا اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم
قرئت بالنون واليا التبيع المطالب من قوله فاتباع بمعروف اي مطالبة وقال الشماخ
كما لاذ الغريم من التبيع وتقال فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى
انا نفعل ما نفعل به ثم لا تجد احدًا يطالبنا بما فعلنا انتصارًا منا ودركًا للثار من جهتنا
وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة بسبب اعراضكم حين نجاكم
قيل في تكرمة ابن ادم كرمه بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة
وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شي ياكل
بفيه الا ابن ادم وعن الرشيد انه حضر طعامًا فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جا
في تفسير جدك ابن عباس ولقد كرمنا بني ادم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت
الملاعق فردها واكل باصبعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة وحسب بني ادم
تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف
عكسوا في كل شي وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان
على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم
واين قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا
اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني ادم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون
ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي
كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة انه قال المومن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن
ارتكابهم انهم فروا كبير بمعنى جميع في هذه الاية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا
ببشاعة قولهم فضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قوله على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم
واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة

الملا الاعلى كان جبريل عليه السلم غاضبهم حين اهلك مداين قوم لوط فتلك السخيمة لا تنجلي عن
قلوبهم وقري يدعوا باليا والنون ويدعى كل اناس على البنا للمفعول وقرا الحسن يدعوا على
قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا والطرف يحتمل باضمار اذكر وتحوثا ريقال انها
علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعا ولم يوت بالنون
قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ايتموا به من نبي او مقدم في الدين
او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال
يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير
ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعا بالامهات دون
الابا رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا تفتضح اولاد الزنا وليت شعري
ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته فمن اوتي من هاولا المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرون
كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم
كان اصحاب الشمال لا يقرون كتابهم قلت بلى ولكنهم اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ
المطالب بالنبا على جنايات والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه بالحيا
والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتعتع بالنا والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب
عن تسوية القول فكان قراته كلا قراة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم
يقرون كتابهم احسن قراة وابينها ولا يقنعون بقراتهم وحدهم حتى يقول القاري لاهل المحشر هاوم
اقراوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شي كقوله لا يظلمون شيا فلا تخاف
ظلما ولا هضما معناه ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى
والاعمى مستعار من لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في
الدنيا فلفقد النظر واما في الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتدا اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني
بمعنى التفضيل ومن ثم قرا ابو عمرو الاول مُمالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن
فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شي
فكانت الفه واقعة في الطرف ومعرضة للامالة وروي ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه
وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي وكل
ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا

بعد راس الحول فان منع من قصد وادينا وجد بعضه شجرة فاذا سالك العرب لم فعلت ذلك
فقل ان الله امرني به وجاوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله
لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب
اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال
اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم
محمدا فنزلت وروي ان قريشا قالوا له اجعل اية رحمة اية عذاب او اية عذاب اية رحمة
حتى نومن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها
وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك
من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما ارادوه
من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم ينزله واذا
لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان
ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا
تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمومنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الدنيا وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف (اي)
حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان
عذاب في الممات وعذاب في حياة الاخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به اي (وهو عذاب القبر)
يوصف العذاب بالضعف كقوله فاتهم عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا وكان اصل
الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف
الحياة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحياة واليم الممات ومما يعقب الموت من عذاب
القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما
نوخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب
المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار شان فاعله وارتفاع منزلته
ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى وفيه دليل على
ان ادنى مداهنة للغواة مضادة وخروج عن ولاية الله وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى

المومنين اذا تلا هذه الاية ان يجثوا ويتدبروها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها
الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول
اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك
بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا
قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو
اخرجوك لاستوصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل
من ارض المدينة وذلك ان رسول الله لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا
اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبيا انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم
فلو خرجت الى الشام لامنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان
كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة
حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين
الله فنزلت فرجع وقرى لا يلبثون وفي قراة ابي لا يلبثوا على اعمال اذا فان قلت ما وجه القراتين
قلت اما الشايعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في
خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذا لا يلبثوا عطف على
جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرى خلافك قال
عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد ارسلنا
يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر
المؤكد اي سن الله ذلك سنة لدلوك الشمس غروبها وقيل زوالها وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه
من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها وان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة
للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو
وقت صلوة العشا وقران الفجر صلاة الفجر سميت قرانا وهو القراة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجو(دا)
وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراة ليست بركن مشهودا تشهده ملايكة
الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده
الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز

شاكلة حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تشعب منه والدليل
عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اشد مذهبا وطريقة الاكثر على انه الروح
الذي في الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استاثر بعلمه وعن ابي هريرة
لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل
جبريل وقيل القران ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود
الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت
فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو
مبهم في التوراة فندموا على سوالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروي ان رسول الله
صلى الله عليه واله لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال
بل نحن وانتم لم توتوا من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يوت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
وليس ما قالوا بلازم لان القلة والكثرة يدوران مع الاضافة فيوصف الشي بالقلة
مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في
نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يوت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف
مع نيابته عن جزا الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا
بالقران ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب
ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا
الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او
يكون على الاستثنا المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا
امتنان من الله سبحانه ببقا القران محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى
كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ
العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقا المحفوظ وعن ابن مسعود ان اول ما تفقدون
من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم لا دين لهم وان هذا القران

تصبحون يوما وما فيكم منه شي فقال له رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه
في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه
فقرا ويرفع من المصاحف وينزع ما في القلوب لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام
الموطية لكان جوابا للشرط كقوله يقول لا غايب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا (جنا)
اي لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل القران في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب
العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القران
قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق
الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها
فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف
الله تعالى بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على
المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقايق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل
كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والا كفورا الجحود فان قلت كيف
جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي كانه قيل
فلم يرضوا الا كفورا لما تبين اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات والبينات ولزمتهم
الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال
الحيرة فقالوا لن نومن لك حتى تفجر تفتح وقرى تفجر بالتخفيف من الارض يعنون
ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب
من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السما (يعنون)
وقرى كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا كفيلا بما تقول
شاهدا بصحته والمعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملايكة قبيلا كقوله واني وقيار بها لغريب
او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا او
جماعة حالا من الملايكة من زخرف من ذهب في السما في معارج السما فحذف المضاف
يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نومن لرقيك ولن نومن لاجل رقيك حتى تنزل
علينا من السما كتابا فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن ابي امية لن نومن
لك حتى تتخذ الى السما سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور

ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس
القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل
فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال له ايضا النوم بعد
نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة
زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة
فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان
يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا
بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه
وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد
مما يتناوله عن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق
تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول
مدعو محمد صلى الله عليه وآله فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك
رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح
بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا
مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى
بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة
يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه
منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من
عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل
هو عام فيما يدخل فيه ويلابسه ومكان سلطانا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا
وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك
من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده
لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه عليه السلام انه استعمل عتاب بن اسيد

على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال
والله لا اعلم احدا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله اني رايت فيما
يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى
فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير
كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما كل صنم بحيال قوم وعن ابن عباس كانت لقبائل العرب
يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي
دونك فاوحى الله الى البيت اني سأحدث لك نوبة جديدة فاملاك خدودا سجدا يدفون
دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه
الآية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكث
بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا
وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول
الله حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر
من محمد وشكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب وهلك من
قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان
مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتشديد والتخفيف من القرآن من للتبيين
كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون
به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله
من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد الكافرون الا خسارا اي نقصانا
لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة
والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تاكيدا
للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه
ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من
فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤوسا شديد الياس من روح الله انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى
ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي

بعض

16

معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد
واللجاج ولو جاءتهم كل اية لقالوا هذا سحر كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا
عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الاية الباقية التي هي القران وسائر
الايات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرهم سبيل قل سبحان ربي وقرى
قال سبحان ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا بشرا رسولا
كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الايات فليس
امر الايات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع
والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقران وبنبوة محمد صلى الله عليه
الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار
وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله
او الى الانبيا ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملئكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس
ولا يطيرون باجنحتهم الى السما فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في
الارض قارين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد واما الانس
فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم
وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا
قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم اني بلغت ما ارسلت به اليكم
وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده الخبير البصير المطلع على اخبارهم فهو
مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز
او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتدي لانه لا يلطف الا بمن عرف ان
اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم
يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على
وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما
كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا
يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في
هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مئوفي

الحساب وقد ردت عليهم في موضع آخر انهم يقرون ويتكلمون كلما خبت زدناهم سعيرا كلما
اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا
بالاعادة بعد الافنا جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا
يزالون على الافنا والاعادة ليزيد ذلك في حسرتهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام
من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله انا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت
علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من
قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا
منهن كما قال انتم اشد خلقا ام السما بناها وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او
القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسما
فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون انتم تملكون فاضمر تملكون اضمارا
على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط
ما يتصل به اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه
علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان
الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني
وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل
المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على
خلقه ولقد بلغ بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا
من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا
بخيلا فان قلت هل يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك
عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور
الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر
والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب عن كلمة اللسان والطمس فقال له عمر كيف
تكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا هو بيض مكسور
نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض
اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فاوحى الله الى موسى ان قل لبني

وذكرتم فله الاسما الحسنى والضمير في له ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى
مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع
موضعه قوله فله الاسما الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما
منها ومعنى كونها احسن الاسما انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم بصلاتك
بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على
الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته
بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى لا تجهر حتى تسمع
المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى
ان ابا بكر كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع
صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض
قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان
تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الاية
منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغ السبيل مثل لانتحاء الوجه
الوسط في القراءة ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له لاعتزازه به او لم يوال احدا من
اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل
بكلمة التحميد قلت لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس
الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له
قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية وماية اوقية

سورة الكهف مكية وهي ماية واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل
نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب
نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في
الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شي منه من الحكمة والاصابة
فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب

فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره لم يجعل له عوجا وجعله قيما لانه اذا نفى عنه
العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي
احدهما غنى عن الاخر قلت فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو
من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل
مصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرايع وقرى قيما انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم
عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا والباس من قوله بعذاب
بيس وقد بوس العذاب وبوس الرجل باسا وباسة من لدنه من عنده وقرى من لدنه مع
اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي
انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه
تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر
به كما ذكر المبشرين في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة
ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد
للاباء وقد اشتملته اباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف
قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشي
اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به كبرت
كلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه
قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق
بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به
انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه
تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرى كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان
قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة
بها شبهه واياهم حين تولوا عنه لم يومنوا به وما تداخله من الاسف والوجد على توليهم برجل
فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على
فراقهم وقرى باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال
فيمن قرا ان لم يومنوا وللمضي فيمن قرا ان لم يومنوا بمعنى لان لم يومنوا بهذا الحديث بالقران

اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة
ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة ولا تعدوا في السبت فسل بني اسرائيل فقلنا له
سل بني اسرائيل اي سلهم عن فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن
حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل
فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الايات
لتزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول
ابرهيم ولكن ليطمئن قلبي **فان قلت** بم تعلق اذ جاءهم **قلت** اما على الوجه الاول
فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او فسال في القراءة الثانية واما على الاخير
فبايتنا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء اباءهم مسحورا سحرت فخولط
عقلك ولقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الايات الا الله بصائر بينات مكشوفات
ولكنك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وقرئ علمت بالضم
على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الايات منزلها
رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فاني اظنك
مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته
ومكابرتك لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة
امري اني اظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك
من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرا ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا
على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم
منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال فحاق به مكره بان استفزه الله
مع اغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء
وعد الاخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم
ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه
وبالحق نزل وما انزلنا القران الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا

بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بهم من تخليط
الشياطين وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالجنة ونذيرا للعاصي من النار فليس اليك وراء ذلك شي من
اكراههم على الدين او نحو ذلك وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرا ابي فرقناه بالتشديد
اي جعلناه نزوله مفرقا منجما عن ابن عباس انه قراه مشددا وقال انه لم ينزل في يومين او
ثلثة كان بين اوله واخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث
بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا
تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم وازدرائهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم
عنه وانهم وان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقران وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم
وهم العلماء الذين قروا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد امنوا به وصدقوه وسمعتهم
انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولمكانه
ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال الفرقان عليه وهو
المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القران لين قلب
ورطوبة عين **فان قلت** ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا **قلت** يجوز ان يكون تعليلا لقوله
امنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب
نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد امن به من هو
خير منكم **فان قلت** ما معنى الخرور للاذقان **قلت** السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو
مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه وعلى ذقنه واما معنى اللام في خر
لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم فمعناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه
به لان اللام للاختصاص **فان قلت** لم كرر يخرون للاذقان **قلت** لاختلاف الحالين وهما
خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول
يا الله يا رحمن فقال انه نهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا
انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله هذا الاسم فنزلت والدعا بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو
يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى والواو للتخيير
فمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين
في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين سميتم

اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال
رجل اسيف واسف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا
وما يستحسن منها ليبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها
ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض
بيضا لا نبات فيها بعد ان كانت خضرا معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به
زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر الايات الكلية ومن
الارض مما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم تكن ثم قال ام حسبت
يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقا حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع
في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص
فيه اسماوهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل الوادي
الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين عسفان وايلة دون فلسطين
كانوا اية عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن
رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعدا وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة
الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين واجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت
منك اسدا فضربنا على اذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم
منها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول
الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد
فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد
اي تضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلا يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا
لان ارتفاعه بالابتدا لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم اي
الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال
قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى

كان

فعل ماض اي ايهم ضبط اوقات لبثهم **فان قلت** فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل **قلت** ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القران ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره **فان قلت** كيف جعل الله العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على اذانهم **قلت** الله لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم واية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم وفي غيره هؤلاء مبتدا قومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من حجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون الا الله نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا تزاور اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار وتزوئر وكلها من الزور وهو الميل ومنه قولهم زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين

وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة
الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا في غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله تحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهوا وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من ايات الله اي ما صنعه الله من ازورار الشمس ولا تصيبهم لاختصاصهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من ايات الله ان شانهم وحديثهم من ايات الله من يهدي الله فهو المهتدي ثنا عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالاية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد له من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد ايقاظا جمع يقظ كانكاد في جمع نكد قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرا جعفر الصادق رضوان الله عليه وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا نوي حكاية الحال الماضية والوصيد الفنا وقيل العتبة وقيل الباب وانشد

بارض فضا لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر

ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها يا ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هولا فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما

انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرتنا على الاماتة والبعث جميعا ليتسالوا بينهم ليسال بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم الله به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطا قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكارا عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كانهم قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم وشعورهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا احدكم بما قبله قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شي اخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ انفا من ذهب بسكون الرا والواو مفتوحة ومكسورة وقرا ابن كثير بكسر الرا وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الرا وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك ومما حكي عن بعض صعاليك العلما انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وكان يقول من يتعوله منه ذلك وكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله وسل القرية ازكى طعاما احل واطيب واكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث قتلة وهو الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف وعدي بفي لتضمنه معنى الصيرورة اكثر شي في كلامهم

ان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا القول لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم والباقي على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سوال المتعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف قوله لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سوال المسترشد لان الله ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشي لاجل شي تعزم عليه اني فاعل ذلك غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد بعينه الا ان يشا الله كان معناه الا ان تعترض مشية الله دون فعله وذلك ما لا يدخل فيه النهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشا الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشا الله اي الا بمشيته وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشية الله قائلا ان شا الله وقيل نهي تاديب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اي مشية ربك وقل ان شا الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثنا ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطا يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقها انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثنا المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة

الاستثنا تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اذا الصلاة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يوتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيا فاذكر ربك عند نسيانه بان تقول عسى ربي ان يهديني لشي اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين يريد لبثهم فيه احيا مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية كلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلث مائة وقرئ ثلث مائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراءة ابي ثلث مائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجا بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشيا واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من ولي من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرا الحسن ولا تشرك بالتا والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقران غير هذا او بدله واتل ما اوحي اليك من القران ولا تسمع لما يتهددونك به من طلب التبديل لا مبدل لكلماته لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا اية مكان اية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من روسا الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هولا الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقرا المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انومن لك واتبعك الارذلون واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذويب

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع

بالغداة والعشي دائبين على الدعا في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة

يقولون ما عند فلان الا شراب العقل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث وكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس واراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف وكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فلما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد منهم تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين الذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم

اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله من اهل الكتاب والمؤمنين سالوا رسول الله عنهم فاخر الجواب فيهم الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي عليه السلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله عن لسان جبريل وعن علي رضوان الله عليه هم سبعة اسماؤهم يمليخا مكشلينيا مشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير **فان قلت** لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الاخرين **قلت** فيه وجهان ان تدخل الاخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير

وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلث بادغام الثا في تا التانيث وثلثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم **فان قلت** فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين **قلت** هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة كقولك جاني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت

وبالغداة أجود لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال وإدخال اللام على تأويل التنكير كما قال
والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره
وجاء القوم عدا زيدا وإنما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه
وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به فإن قلت أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل
ولا تعدهم عيناك قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ
ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك ولا تقتحم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ونحوه قوله ولا تأكلوا
أموالهم إلى أموالكم أي ولا تضموها إليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك
من أعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له
لأن معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تزدري بفقراء المؤمنين
وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى زي الأغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحياة
الدنيا في موضع الحال من أغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه
غافلا عنه كقولك أجبنته وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك أو من أغفل إبله إذا تركها
بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتب في قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم
المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ أغفلنا قلبه بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين
من أغفلته إذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم
فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت
العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وجيء
بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء
من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت
مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف
بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فأعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما أذيب من جواهر الأرض
وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله
عليه وسلم هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت
النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل
النار ولا اتكاء إلا أن يكون من قوله إني أرقت فبت الليل مرتفقا كأن عيني فيها الصاب مذبوح

أولئك خبر إن وإنا لا نضيع اعتراض ولك أن تجعل إنا لا نضيع وأولئك خبرين معا أو تجعل
أولئك كلاما مستأنفا بيانا للأجر المبهم فإن قلت إذا جعلت إنا لا نضيع خبرا فأين
الضمير الراجع منه إلى المبتدأ قلت من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ينتظمهما معنى واحد فقام من أحسن مقام الضمير أو أردت من أحسن عملا منهم فكان كقولك
السمن منوان بدرهم من الأولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير أساور لإبهام أمرها
في الحسن وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الإستبرق وهو الغليظ منه جمعا
بين النوعين وخص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين
أي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر
اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات
في قوله قال قائل منهم إني كان لي قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى
الكافر أرضا بألف فقال المؤمن اللهم إن أخي اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشتري
منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف دينار فقال اللهم إني
أشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم إني
اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على
طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل
الأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان زوج أم
سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الأسود بن عبد الأسد
جنتين من أعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين
وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار يقال حفوه إذا
طافوا به وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده
الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها أرضا
جامعة للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها
ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق ونعتهما بوفاء الثمار
وتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما
يسقى به وهو النهر الجاري فيها والأكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم

مستعليا لم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهرا
لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولأنه في معنى الندم عدي تعديته
بعلى كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي في عمارتها وهي خاوية على عروشها
يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم
قيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها يا ليتني تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة
شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز أن يكون توبة
من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الإيمان قرئ ولم تكن بالياء والتاء وحمل
ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم
فإن قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من
دون الله أي هو القادر وحده على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره
لصارف وهو استيجابه أن يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله
الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقرئ بهما والمعنى
هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا
يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أو
هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة
يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة ألجئ
إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون
المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم منهم ويشفي
صدورهم من أعدائهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى
ربي أن يؤتين خيرا من جنتك الآية ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه
وهنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ
الحق بالرفع صفة للولاية وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا
عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس
وأنصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة
فاختلط به نبات الأرض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع

في النبات الماء فاختلط بنبات حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط
بنبات الأرض ووجه صحته أن كل المختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه
والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه
الرياح من أذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال
النبات يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن وكان الله على كل شيء من الإنشاء
والإفناء مقتدرا الباقيات الصالحات أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان وتفنى كل ما
تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا
إله إلا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله خير ثوابا أي ما يتعلق بها من
الثواب وما يتعلق بها من الأمل لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة
قرئ تسير في الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباء منبثا وترى الأرض على البناء للمفعول
بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم إلى الموقف وقرئ فلم نغادر
بالنون والياء يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره
السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين
ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا لقد جئتمونا أي قلنا لهم لقد جئتمونا
وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز أن ينتصب بإضمار اذكر والمعنى لقد
بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولا كقوله
ولقد جئتمونا فرادى فإن قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة
على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال والعظائم كأنه قيل
وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث
والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الأعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها
خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هي عبارة عن الإحاطة يعني لا يترك شيئا من
المعاصي إلا أحصاها كلها كما تقول ما أعطاني قليلا ولا كثيرا لأن الأشياء إما صغيرة
وإما كبيرة ويجوز أن يريد ما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر
فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة
الزنا وعن الفضيل كان إذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر إلا أحصاها

ولم ينقص فحمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا
على التخفيف وقرا عبد الله كل الجنتين اتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي
انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اي كانت له الى
الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما وكان وافر اليسار
من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شا واعز نفرا اي انصارا وحشما وقيل
اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا
رجع وسايله فما حار بكلمة يعني قطروس اخا يهوذا المسلم يطوف به في الجنتين ويريه
ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة
بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعني لا نصيب له في
الجنة التي وعد المومنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا
واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض
بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته
لطول امله واستيلا الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر
في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنيا من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم
فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولين رددت الى ربي اقسام منه على
انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة
خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعا لكرامته عليه
ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا باستحقاقه واستيهاله وان معه هذا
الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا
منهما ردا على الجنتين منقلبا وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب
هذه لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب خلق اصلك لان خلق اصله سبب في
خلقه وكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله
كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا
لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت
النونان فكان الادغام ونحوه قول القايل

وترميني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك
وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع اليها الضمير وقراه ابو
عمرو باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من
حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالها
لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب لكن انا على الاصل
وفي قراة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله
اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مومن موحد كما تقول زيد غايب لكن عمرا
حاضر ما شا الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف
تقديره الامر ما شا الله او شرطية منصوبة الموضع والجزا محذوف بمعنى اي شي شا
الله كان ونظيرها في حذف الجواب قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا
قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شا الله اعترافا بانها وكل خير
فيهما انما حصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شا تركها عامرة وان شا خربها
وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته
وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة ابن الزبير انه
كان يثلم حايطه ايام الرطب فيدخل من شا وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج
من قرا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا
ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى
ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني
لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك الحسبان مصدر
كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها
وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا
مرامي الواحد حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا ارضا بيضا يزلق عليها لملاستها
زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط بثمره عبارة عن اهلاكه واصله من احاط
به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه
قوله الا ان يحاط بكم ومثله قوله اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاهم

الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا او عتيدا او جزا ما عملوا ولا يظلم ربك
احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقاب المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم
الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب ابايهم كان من الجن كلام مستانف جار مجرى
التعليل بعد استثنا ابليس من الساجدين كان قايلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن
ففسق يعني انه لو كان ملكا كان من سجد لادم لم يفسق عن امر الله لان الملىكة
معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله لصيانة الملىكة عن وقوع شبهة في
عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله ومن قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورييسا
على الملىكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه
خرج عما امره به من السجود قال فواسقا عن قصدها جوايرا او صار فاسقا كافرا
بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لادم افتتخذونه وذريته اوليا من دوني
وتستبدلونهم بي بيس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما
اشهدتهم خلق السموات والارض وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركا
لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركا فيها لو كانوا شركا في الالهية فنفى مشاركتهم بقوله ما اشهدتهم
خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم
خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا بمعنى وما كنت
متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا
عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركا في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان
تعتز بهم وقرا علي رضوان الله عليه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرا الحسن عضدا
بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه
واعانه يقول باليا والنون واضاف الشركا اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق
المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون
مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك
والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي

في شدتها هلاك كقوله ولا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفرا البين الوصل اي
وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز ان يريد الملىكة وعزيرا وعيسى ومريم
وبالموبق البرزخ البعيد وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في
قعر جهنم وهم في اعلى الجنان فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا
قال زهير هل من شيية من مصرف اكثر شي جدلا اكثر الاشيا التي يتاتى منها الجدال ان
فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل
الانسان اكثر من جدل كل شي ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها
مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة
الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا
انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم
وهو ازلاقها وازالتها عن موضعها وما انذروا من العقاب وما مصدرية بمعنى انذارهم
وقرئ هزؤا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزا وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو
شا الله لانزل ملىكة وما اشبه ذلك بايات ربه بالقران ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا
في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه
من الكفر والمعاصي غير متفكر فيهما ولا ناظر في ان المسي والمحسن لا بد لهما من جزا ثم علل اعراضهم
ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا
فلا يكون منهم اهتدا البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها
واذا جزا وجواب فدل على انتفا اهتدايهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون
سبب وجود الاهتدا سببا في انتفايه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا
ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة
ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مواخذة اهل مكة عاجلا من غير
امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر
لن يجدوا من دونه موىلا منجى ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك
القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا
والقرى صفة لان اسما الاشارة توصف باسما الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون

تلك القرى نصب باضمار اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا
لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته
وقرى لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم والموعد وقت او مصدر
لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن
نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح
ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد
من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال
فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي
ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف
المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغايب الى لفظ
المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب
ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين الذي وعد فيه موسى لقا
الخضر وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع
التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرى مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ
من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون
سنة روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره
الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه
فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله
تعالى فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام
افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال
ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي
يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان
يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى قال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني
عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به
قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني

فذهبا يمشيان فرقدا فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جا وقت الغدا طلب موسى الحوت
فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى
بارضنا السلم فعرفه موسى فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه
الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جا عصفور فوقع على حرفها فنقر في الما فقال الخضر ما ينقص
علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره
وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يذكره لموسى ونسي موسى ان
يامره فيه بشي وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا
ليلة على شاطي عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الما وبرده عاشت وروي
انهما اكلا منها وقيل توضا يوشع من تلك العين فانتضح الما على الحوت فعاش ووقع في الما
سربا امسك الله جرية الما على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب
معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا الموعد وهي الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان
منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما راى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة
الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولم
يجع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه
امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة
الماكول بعضها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الما وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في
مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى الظهر الغد
وحتى طلب موسى الحوت قلت قد شغله الشيطان بوسواسه فذهب بفكره كل مذهب
حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه قد شاهد امثاله عند موسى من العجايب واستانس
باخوانه فاعان الالف على قلة الاهتمام فان قلت ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت
الحوت قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية
فدهش فطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني
نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء في
انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراة عبد الله ان اذكر له عجبا ثاني مفعولي
اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله عجبا وهو كونه شبه السرب او قال عجبا في آخر كلامه

تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب
موسى وليس بذاك ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة
الظفر بالطلبة لقا الخضر قرى نبغ بغير يا في الوصل واثباتها احسن وهي قراة ابي عمرو
واما الوقف فالاكثر فيه طرح اليا اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في ادراجهما
قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا
هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب رشدا قرى بفتحتين
وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم
من اخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم
اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في امر الدين قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي
مثله وانما نغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا
ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب
عدو الله نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل
ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير لا يصبر عليها الرجل الصالح فكيف اذا كان
نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار وخبرا تمييز
اي لم يحط به خبرك او لان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا اعصي في
محل النصب عطفا على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا محل عطفا على ستجدني
رجا موسى لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عن
حقيقة الامر فوعد بالصبر معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان
الحمية التي تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شي لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم
الذي امره في الدين وانه لا بد ان تستتبع ظاهره من باطن حسن جميل فكيف
اذا لم يعلم قرى فلا تسالني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت
مني شيا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك
ان لا تفاتحني بالسوال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب
المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة

فلما ركبا قال اهلها هم من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه
الانبيا وقيل عرفوا الخضر فحملوهما فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع منها
لوحين مما يلي الما فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرى
ليغرق اهلها بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع جئت شيئا امرا اتيت
شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهيا اذا امرا بما نسيت بالذي
نسيته او بشي نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي واخرج الكلام في معرض
النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهم انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض
الكلام التي ينفى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم صلوات الله عليه
هذه اختي واني سقيم واراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة
يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه
اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضا وترك المناقشة وقرى عسرا
بضمتين فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحايط وعن سعيد بن جبير
اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فا وحتى
اذا لقيا غلاما فقتله بالفا قلت جعل خرقها جزا للشرط وجعل قتله من جملة الشرط
معطوفا عليه والجزا قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان الخرق لم
يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقا الغلام وقرى زاكية وزكية
وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها
صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس لم تقتل نفسا فتقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة
الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل
الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا
قرى بضمتين وهو المنكر قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من
اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن
تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة المكافحة بالعتاب
على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر بزيادة لك قلت الصبر عند الكرة الثانية بعد
بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرى

فلا تصحبني ولا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من
لدني عذرا قد اعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون
كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيا
فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لرأى اعجب الاعاجيب
اهل قرية هي انطاكية وقيل ابلة وهي ابعد ارض الله من السما ان يضيفوهما وقرئ ان
يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن
الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لياما وقيل شر القرى التي لا تضاف الضيف فيها ولا
يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير
الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه فلقت به هاماتها فلق الفؤوس اذا اردن نصولا
وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول
عزم السراج ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق
والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد
ولما لا يعقل فما بال الارادة قال اذ قالت الانساع للبطن الحق يقول سني للنواجذ
لا تنطق اللهو حين ينطق العود وشكا الي بعبرة وتحمحم وان يك طي صادقا وهو
صادقي ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق ولبعضهم
يابى على اجفانه اغفاؤه هم اذا انقاد الهموم تمردا
ان الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طائعين
ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه
من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى
ما هو عنده اصح وافصح وان ما كان ابعد من المجاز دخل في الاعجاز وانقض اذا
اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من
النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاض من انقاضت السن
اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاض ومنكثب وبالصاد غير معجمة فاقامه
قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل

كقوله اين شركاي الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر
خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين
حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي
العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي
زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك
الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلوا كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت
من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما
يختبر الرجل الشي ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن
عاصم نبلوا كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل
فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي
شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد
نصيب بالبلا وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ
تتلوا اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار
او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته
لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل
الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله
الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون
وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب
وشفاعة الالهة من السما والارض اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة
واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته من يملك السمع والابصار من يستطيع
خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما
من الآفات مع كثرتهما في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شي بكلائه وحفظه
ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا
تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال ذلكم الشان

الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر
فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع
في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة
الى الشقا كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال
او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا
في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفا
الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير
كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون
فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين
بالاعادة **قلت** قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه
دافع كان مكابرا رادا للبين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم
لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلا وقال الله تعالى لنبيه قل الله
يبدأ الخلق ثم يعيده وامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم
ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين
يقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي
وقرئ لا يهدي بفتح الها وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت
حركة الها وكسرت لالتقا الساكنين وقد كسرت اليا لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان
يهدي من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي
للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي
نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من
شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي للحق
مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي
اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من
الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه
الاهتدا الا ان ينقله الله عن حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما

لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا
ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو
العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها الهة وانها شفعا عند الله الا
الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد
الآبا وقرئ تفعلون بالتا وما كان هذا القرآن ان يفترى اي افترا من دون الله ولكن
كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو
عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله وهو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق
الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان
يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى
وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله
عليكم **فان قلت** بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين **قلت** هو داخل في
حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من
رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب
في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا
فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه على ان
الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان
كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافترا بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة
ومعنى بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من
استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على
ان ياتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا وحده ثم استعينوا بكل من دونه
ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في
بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله
ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم
كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان
كانت اضوا من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز

بنها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحته او فساده لانه لم يشعر
قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب **فان قلت** ما معنى التوقع
في قوله ولما ياتهم تاويله **قلت** معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر
ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم
بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجا بكلمة التوقع ليوذن انهم علموا بعد علو
شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا
عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من
قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبيا وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن
قلدوا الاباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى
ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى
تبين لهم اهو صدق ام كذب يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن
جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا
في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه
وكذبه ومنهم من يومن به يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالمكابرة
ومنهم من يشك فيه ولا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيومن به
ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك
وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرا منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله
فان عصوك فقل اني بري وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك
معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرايع ولكنهم لا
يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك معناه ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون
ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على
اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل
اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع السمع والعقل جميعا فقد تم
الامر واتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان
الاعمى الذي في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنى واما العمى مع الحمق فجهد البلا

يعني انهم في الياس من ان يقبلوا او يصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصاير
وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهداهم الا الله عز وجل بالقسر
والالجا كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر
راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيا اي لا ينقصهم شيا مما يتصل
بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب
ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق بهم على
سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان
سببا فيه الا ساعة من النهار يستقصرون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول
ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانه لم يتعارفوا الا قليلا وذلك عند
خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم **فان قلت** كان لم
يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما **قلت** اما الاولى فحال منهم اي نحشرهم مشبهين
بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان يكون مبينة لقوله
كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى على طول العهد وينقلب تناكرا قد
خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قايلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى
على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين
للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا
مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي
نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الاخرة **فان قلت**
الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم **قلت** ذكرت الشهادة والمراد
مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرا ابن
ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مود شهادته على افعالهم يوم
القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة
رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جا رسولهم
بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط
بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث

رسولا او لكل امة من الامم رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جا رسولهم الموقف
ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجي بالنبيين والشهدا وقضي بينهم متى هذا
الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر
ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شا الله استثنا منقطع اي ولكن ما شا الله من ذلك كاين
فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب
عند الله وحد محدود من الزمان اذا جا ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا
وقرا ابن سيرين فاذا جا اجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات **فان قلت**
هلا قيل ليلا او نهارا **قلت** لانه اريد ان اتاكم عذابه فبيتكم وانتم ساهون نايمون
لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم
وكذلك قوله نهارا اي وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه
بياتا وهم نايمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه
مر المذاق موجب للنفار فاي شي تستعجلون منه وليس شي منه يوجب الاستعجال
ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي هول شديد تستعجلون منه ويجب
ان تكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى **فان قلت** بم
تعلق الاستفهام واين جواب الشرط **قلت** تعلق بارايتم لان المعنى اخبروني ما
ذا تستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال
او تعرفوا الخطا فيه **فان قلت** فهلا قيل ماذا تستعجلون منه **قلت** اريدت الدلالة
على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على
اجرامه ويهلك فزعا من مجيه وان ابطا فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا
يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة
بارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان
ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفا في قوله افامن اهل القرى
اوامن اهل القرى الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب
الان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان
على جهة التكذيب والانكار وقرى الان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقا حركتها

على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على المضمر قبل الان ويستنبونك ويستخبرونك احق
هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزا وقرا الاعمش الحق هو وهو ادخل في
الاستهزا لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق
لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود واي بمعنى نعم في القسم
خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو
فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين بفايتين العذاب وهو لاحق
بكم لا محالة ظلمت صفة للنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم
من خزاينها واموالها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال
افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرويتهم ما لم
يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم
فلم يطيقوا عنده بكا ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة
في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس
بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر روساوهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حيا منهم
وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاها اخلاصها واما من قولهم
سر الشي لخالصه وفيه تهكم بهم وباخلاصهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا
الندامة اظهروها من قولهم اسر الشي واشره اي اظهره وليس هنالك تجلد وقضي
بينهم بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له
الملك كله وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو
القادر على الاحيا والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزايه المرجع ليعلم ان
الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون قد جاتكم موعظة اي جاكم كتاب
جامع لهذه الفوايد من موعظة وتنبيه على التوحيد وشفا اي دوا لما في الصدور
من العقايد الفاسدة ودعا الى الحق ورحمة لمن امن به منكم اصل الكلام بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور
عليه والفا داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما بالفرح وانه لا

مفروح بها من بينهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد
قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا
بالتاء وهو الأصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه
لتأخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا وهو راجع إلى ذلك وقرئ
يجمعون بالياء والتاء وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل
الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه
أرأيتم أخبروني ما أنزل الله في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في معنى أخبروني فجعلتم
منه حراما وحلالا أي أنزل الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا
حرام كقوله هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا
ومحرم على أزواجنا آلله أذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبروني
آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة
ذلك إليه ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا
للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام
وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان
وإتقان ومن لم يوقن فليتق وليصمت وإلا فهو مفتر على الله يوم القيمة منصوب
بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه
وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى بن
عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لأنه
كائن فكأن قد كان إن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم
بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا
إليه وما تكون في شأن ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشأن
الأمر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في منه
للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم
شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار
قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل ولا تعملون أنتم جميعا من عمل أي عمل كان إلا كنا عليكم

شهودا رقباء نحصي عليكم إذ تفيضون فيه من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه وما يعزب وقرئ
بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا أصغر من ذلك ولا أكبر
القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه
وفي العطف على محل من مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف إشكال لأن قولك
لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل **فإن قلت** لم قدمت الأرض على السماء بخلاف
قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض **قلت**
حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم
وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك أن قدم الأرض على السماء على أن العطف
بالواو حكمه حكم التثنية أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد
فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم إياه لهم البشرى في الحياة
الدنيا وفي الآخرة فهو توليه إياهم وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن
عباس رضي الله عنه الإخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله
عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن من عباد الله عبادا ما هم
أنبياء ولا شهداء ولكن يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله
خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم فقال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا
أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا
خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب أو رفع على المدح
أو على وصف الأولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين
المتقين في مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو
ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر
الحسن وعن أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه
الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة
بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما
البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون

ببه

مبين

من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا
تبديل لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا خلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك
إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين وكلا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك
من أحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر
ما يتكلمون به في شأنك إن العزة استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل ما لي لا أحزن فقيل
إن العزة أي إن الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منها لا هم ولا غيرهم
فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إنا لننصر رسلنا وقرأ أبو حيوة
أن العزة بالفتح على معنى لأن العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر
هو تخريجه لا ما أنكره من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون
ويعزمون عليه وهو مكافيهم على ذلك من في السموات ومن في الأرض يعني العقلاء المميزين
وهم الملائكة والثقلان وإنما خصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم
كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها
فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا ولا شريكا وليدل على أن من اتخذ غيره ربا من ملك
أو إنسي فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل تابع لما أدى إليه التقليد وترك النظر ومعنى
وما يتبع الشركاء أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله
في الربوبية محال إن يتبعون إلا ظنهم أنهم شركاء وإن هم إلا يخرصون يحزرون ويقدرون
أن يكونوا شركاء تقديرا باطلا ويجوز أن تكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني وأي شيء
يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان حقه الذين يدعون من دون
الله شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه
قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم وقرأ علي بن أبي
طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام أي وأي شيء
يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم
لا تفعلون مثل فعلهم كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ثم صرف
الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن وما يتبعون
وما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي

يستحق بها أن يوحدوه بالعبادة بأنه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون
في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب أرزاقهم
ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر سبحانه تنزيه عن اتخاذ الولد لأن
ما يطلب الولد من يلد وما يطلب له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه
كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الأرض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ
أحد منهم ولدا إن عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها
أن تتعلق بقوله إن عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم
بأرضكم موز كأنه قيل إن عندكم فيما تقولون سلطان أتقولون على الله ما لا تعلمون
لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله
فذاك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب بإضافة الولد إليه متاع في
الحياة الدنيا أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون رئاستهم في الكفر
ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده
كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخا
ويقال تعاظمه الأمر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان
وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه يعني خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهركم
ألف سنة إلا خمسين عاما أو مقامي وتذكيري لأنهم كانوا إذا
وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا
كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فا
أمركم وشركاءكم من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه قال
هل أغدون يوما وأمري مجمع والواو بمعنى مع يعني فأجمعوا أمركم مع شركائكم
وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل
لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيد وعمرو وقرئ فاجمعوا
من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول أو لأن الواو بمعنى مع وفي قراءة أبي
فاجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم **فإن قلت** كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء
قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون **فإن قلت** ما معنى

شعين

كم

جمعوا

الامرين امرهم الذي اجمعوا وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت اما الامر الاول
فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا
وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه
من كلائته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما
ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة
عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما
وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول
والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلم ولا غمة في فرائض الله اي
لا تستر ولكن يجاهر بها ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا
مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه
وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من
هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلون وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى
ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضا اي اصحروا به الي
وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سالتكم من اجر فما
كان عندي ما ينفركم عني وتتهمونني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم
ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا
لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين
شيا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به
والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن لتفريط منه
في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم
لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم
في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين
بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم
يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة

لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر
وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذ[بين]
بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد
كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى
الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتدا
ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن قبولها
وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها
وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا واجترؤا على ردها
فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهر[ون]
قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شي من السحر الذي
ليس الا تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر
فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق
اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف
القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله
سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف
مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون
يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قولهم اسحر هذا ولا يفلح
الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح السا[حرون]
كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان
ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه اباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون
لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف
بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله
ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك
ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبروا وتكبروا كما قال القبطي لموسى
ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما

به وقرئ نطبع ويكون لكما الكبرياء بالياء ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدا والسحر
خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ
آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شي جئتم به اهو
السحر وقرا عبد الله ما جئتم به سحر وقرا ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لما اتيت
به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح
عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته
بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيته فما آمن لموسى في اول امره
الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد
قومه وذلك لانه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم
مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مومن آل فرعون وآسية امراته
وخازنه وامراة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملائهم قلت
الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقول ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب ياتمرون له
ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم
كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله تعالى ان
يفتنهم يريد ان يعذبهم ان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين
في الفساد والعتو وفي دعائه الربوبية ان كنتم آمنتم بالله صدقتم بالله وباياته
فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام
وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل
لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا
على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله تعالى قبل
توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن
اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص
لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذابا يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم
يفتنون بنا ويقولون لو كان هولا على الحق لما اصيبوا تبوءا المكان اتخذه مباءة
كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما

ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو
القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم مامور[ين]
بان يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم
كما كان المومنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع
آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة
وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان
ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلم بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر
بها زينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت
لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت
فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعا بلفظ الامر كقوله ربنا
اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم ايات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم
النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كا[نوا]
عليه من الكفر والضلال المبين وراهم لا يزيدون على عرض الايات الا كفرا وعلى الانذار
الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة
انه لا يجي منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم
ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا عليهم بما علم انه
لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك
وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين
ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا
وليطبع الله على قلوبهم فلا يومنوا وما على منهم بمحق بذلك واحق كما يقول الاب
المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبوله نصيحته وحردا
عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها
حتى لا يدخلها الايمان فلا يومنوا جوابا للدعا الذي هو اشدد او دعا بلفظ النهي
وقد حمل اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم
اوتوها ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعا معترض بين المعطوف

والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي آتيك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قد اجيبت
دعوتكما قيل كان موسى يدعو وهارون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان
والمعنى ان دعاكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما
انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا خمسين
ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعا اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا
يعلمون اي ولا تتبعا سبيل الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان
العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلم اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ
ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقا الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التا
من تبع وقرا الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت
الاعشى فاذا تجوزها حبال قبيلة اخذت من الاخرى اليك حبالها لانه لو
كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال
كما جوز السكي في الباب فيتق فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرا الحسن وعدوا
وقرئ انه بالفتح على حذف البا التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا
من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلث مرات في ثلث عبارات حرصا على القبول ثم لم
يقبل منه حيث اخطا وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة
الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقا التكليف الآن اتؤمن الساعة في وقت
الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق
يعني جبريل شك ان يغرق وقيل قال بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال
آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم
ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادة
الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس
فحال البحر لا تمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاه على الكفر فهو كافر
لان الرضي بالكفر كفر المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون روي ان جبريل
عليه السلم اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد

حقه وادعى السيادة دونه وكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزا
العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل
خطه فعرفه ننجيك بالتخفيف والتشديد نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل
نلقيك بنجوة من الارض فرئي نجيك بالحا نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق
بجانب البحر قال كعب رماه الما الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اي في الحال
التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شي ولم يتغير او
عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرا ابو حنيفة بابدانك وهو على وجهين اما ان
يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزايه او يريد بدروعك كانه
كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن ورآك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في
انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا
وقيل اخبرهم موسى عليه السلم بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله تعالى على الساحل حتى عاينوه
وكان مطرحه على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون
ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل
محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبريا الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه
فما الظن بغيره او لان يكون عبرة يعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترات
عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي ليكون لخالقك آية
كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا
يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من
آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك مبوا
صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا
الا من بعد ما قراوا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة
وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني
اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعد ما
جاءهم العلم والبيان انه هو ولم يرتابوا كما قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون

ابناهم فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع
قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب
باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل
كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فاسل الذين
يقرون الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرا الكتاب ووصفهم
بان العلم قد جاهم لان امر رسول الله مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما
يعرفون ابناهم فاراد ان يوكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في
الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلما
المنبهين على الحق فسل علما اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقيلها
علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسايلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار
بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال
لقد جاك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق
الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفا المرية والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون
على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله
بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلم عند نزوله
لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال
احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته ومعناه فان
كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع
ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك
فسل يعني ما نامرك بالسوال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابرهيم عليه
السلم بمعاينة احيا الموتى وقرئ فسل الذين يقرون الكتاب حقت عليهم كلمة ربك
ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون
غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا

قرية آمنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان
قبل المعاينة ووقت بقا التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها
بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرا ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم
يونس استثنا من القرى لان المراد اهاليها وهو استثنا منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما
آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى
الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثنا وقرئ بالرفع على البدل روي
عن الجحدري والكسائي روي ان يونس عليه السلم بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه
فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة
وقيل لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت
خمس وثلثون اغامت السما غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى
مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النسا والصبيان والدواب واولادها فحن بعضها الى بعض
وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم
وكان يوم عاشورا يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان
الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ
من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي
محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا
ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما
نحن اهله ولو شا ربك مشية القسر والالجا لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة
والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله
افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى
الايمان هو لا انت وايلا الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور
عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على ان
يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان
لنفس اي لنفس من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف

ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها
بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان
رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرى بالرجز بالزاي وقرى ونجعل بالنون. وما تغني الايات
والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين
لا يعقلون وقرى وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية. ايام الذين خلوا من قبلهم
وقايع الله فيهم كما يقول ايام العرب لوقايعها. ثم ننجي رسلنا كلام معطوف على كلام
محذوف يدل عليه قوله تعالى الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم
ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية. والذين امنوا ومن امن معهم. كذلك ننجي
المؤمنين مثل ذلك الانجا ننجي المؤمنين منهم ونهلك المشركين. وحقا علينا اعتراض
يعني حق ذلك علينا حقا وقرى ننجي بالتشديد. يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك
من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا
فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي
تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما
وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شي وامرت
ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في
كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه اثبت ام اتركه واوافقكم
فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني
لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون. وامرت ان اكون اصله وامرت بان اكون فحذف
الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة
مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما
تؤمر. **فان قلت** عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان
تكون التي للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك
والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان حقها
ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب **قلت** قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر

والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون
معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال. اقم
وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا. وحنيفا حال من الدين او من الوجه.
فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا.
فانك اذا من الظالمين اذا جزا للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن
تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم
عظيم. اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز
وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل
احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده
بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا بان توجه العبادة اليه
دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني
برحمة هل هن ممسكات رحمته **فان قلت** لم ذكر المس في احدهما والارادة في
الثاني **قلت** كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر
والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر
المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه
قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشية مشية المصلحة.
قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره
الا نفسه ومن اثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر
وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح
الضلال. وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما
انا بشير ونذير. واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله
لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه
الاية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامرا
الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معوية

حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم يكن
عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال
معوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذا نصبر فقال عبد الرحمن
ابن حسان الا ابلغ معاوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي
بانا صابرون فمنظروكم الى يوم التغابن والخصام
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم احكمت اياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا
خلل كالبنا المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا
صار حكيما اي جعلت حكيمة كقولك ايات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد
من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير
ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت
من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلايد بالفرايد من دلايل التوحيد والاحكام والمواعظ
والقصص او جعلت فصولا سورة سورة واية اية وفرقت في التنزيل ولم تنزل
جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرى احكمت اياته
ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين
الحق والباطل **فان قلت** ما معنى ثم **قلت** ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في
الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم
الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن
حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت
اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها
اي شرحها خبير عالم بكيفيات الامور ان لا تعبدوا مفعول له على لان
لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل لا تعبدوا

الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله. وان استغفروا اي وامركم بالتوحيد والاستغفار
ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغرا
منه على اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله تعالى انني لكم منه نذير وبشير كانه
قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله فضرب الرقاب والضمير في منه لله
عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير
اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم. **فان قلت** ما معنى
ثم في قوله ثم توبوا اليه **قلت** معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة
او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم
استقاموا. يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة
واسعة ونعمة متتابعة. الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة
ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزا
فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل
الطاعات. وان تولوا عذاب يوم كبير عذاب يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف
بالعظم والثقل. ومن عذاب اليوم الكبير بان يرجعهم الى من هو على كل شي قدير فكان قادرا
على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرى فان تولوا من ولي. يثنون صدورهم
يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشي استقبله بصدره ومن ازور عنه
وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه. ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا
من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى
الى اضمار الاضمار في قوله وقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق
ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقوله نوح عليه
السلم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا ثم قال يعلم ما يسرون
وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم ولا وجه لتوصلهم الى ما يريدون
من الاستخفا والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق
عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
المحبة وله منطق حلو وحسن سياق الحديث وكان يحب رسول الله صلى الله عليه

وسلم مجالسته ومحادثته وهو مضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ
يثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة
قرئ بالياء والتاء وعن ابن عباس ليثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من
الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش
من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال ثم همز
كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي **فان قلت** كيف قال على
الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل **قلت** هو تفضل الا انه لما ضمن ان
يتفضل به عليهم رجح التفضل كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض
ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او
بيضة كل في كتاب كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح
يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق
السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا
مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك
وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كان احوج
اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن
لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن
شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر
قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون **فان قلت**
كيف جاز تعليق فعل البلوى **قلت** لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه
فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان
النظر والاستماع من طرق العلم **فان قلت** كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال
المومنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المومنين والكافرين
فتفاوتها الى حسن وقبيح **قلت** الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين
استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر
من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين

وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع
عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه
ان يكون من قولهم ائت السوق علك تشتري لحما وانك تشتري لحما بمعنى علك اي ولئن قلت لهم
لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر
مبين يعنون القول ببطلانه ويجوز ان تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا
سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا الى القرآن
لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث
وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب
الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من
الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء
يوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك
انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول
تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون
العذاب الذي كانوا يستعجلون وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان
استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره
الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة
انه ليؤوس شديد الياس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من
سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف
من التقلب في نعمة الله نساء له ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر
بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين
آمنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم ان يصبروا كانوا يقترحون
عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به
كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا
يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلون ويضحكون منه
[illegible] منه ويهيجه لاداء الرسالة

صبروا

وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك
تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه
عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن
من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس
عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا
او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل
عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى
استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم **فان قلت** لم عدل عن ضيق الى ضائق **قلت**
ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا
ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت
الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما نامين في بعض القراءات وقول السمهري
العكلي بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها افتراه ام منقطعة
والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير
في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال
قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحد منها له
مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من
عند الله فاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي
ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب
فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام **فان قلت** كيف يكون ما ياتون
به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى **قلت** معناه مثله في حسن النظم والبيان
وان كان مفترى **فان قلت** ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا
بعد قوله قل **قلت** معناه فان لم يستجيبوا لك وللمومنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمومنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان
يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان شئت حرمت النساء عليكم
ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني

وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل
الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك وآل الحجام ولكن اهلهما
واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في حكم الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان
كان بينه وبين فلان عدة ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق
له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم
آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سال عن قصتهم
وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وآله للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم
بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله
على النبي عليه السلم قصة يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى به وقيل اسماؤهم
يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودنية ودان ونفتالي وجاد واشر
السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة
وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام
لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة
فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل
احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا
كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن
عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا
منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا
بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في
ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة
تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه
ونحن عصبة وقيل معناه نحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري
عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال
لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا
آمرين ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الصفة

وابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة
واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان
ذكر الوجه ليتصور معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشي اقبل بوجهه ويجوز ان
يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف
من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر
اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تايبين الى الله مما جنيتم او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر
تمهدونه او تصلح دنياكم وينتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا
على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع وتكتموا الحق قايل منهم هو
يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم
القوه في غيابة الجب في غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم اسفله قال المتنخل
اذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل   اراد غيابة
حفرته التي يدفن فيها وقرى غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرا الجحدري غيبة
والجب البير لم تطو لان الارض يجب جبا اي تقطع من غير طي يلتقطه بعض السيارة بعض الاقوام
الذين يسيرون في الطريق وقرى تلتقطه بالتا على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم   ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم
على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي مالك لا تامنا قرى باظهار النونين
وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التا مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه
ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة
والمقة واراد بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه
منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يامنهم عليه نرتع نتسع في اكل الفواكه
وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرى نرتع من ارتعى يرتعي وقرى يرتع ويلعب
بالياء ونرتع من ارتع ماشيته وقرا العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على
الابتدا فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال
ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قولهم انا ذهبنا نستبق وانما سموه
لعبا لانه في صورته ليحزنني اللام لام الابتدا كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما

ذكره سيبويه من شبهي المضارعة اعتذر اليهم بشيين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه
مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذيب اذا غفلوا
عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل راى في النوم ان
الذيب قد شد على يوسف وكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم الحجة وفي امثالهم البلا
موكل بالمنطق وقرى الذيب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح
اذا اتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله لين اكله الذيب واللام موطية
للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزي عن جزا الشرط والواو في ونحن عصبة
واو الحال حلفوا له لين كان ما خافه من خطفة الذيب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة
رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون
ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال
خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذيب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ
بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين
فلم اجابوا عن احدهما دون الاخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه
اذانا صما ولم يعبا وابه ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه
فاجمعوا امركم وقرى في غيابات الجب قيل هو بير بيت المقدس وقيل بارض الاردن
وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف
ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا
يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاما فقال
يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها
من يديه فتعلق بحايط البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي
قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا ادع الشمس
والقمر والاحد عشر كوكبا تونسك ودلوه في البير فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في
البير ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم
فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه

بطعام روي ان ابرهيم صلوات الله عليه حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص
من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في
تميمة علقها في عنق يوسف فجاه جبريل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي
اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع
عشرة سنة لتنبينهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليونسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما
يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا
يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبريا سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول
العهد المبدل للهيات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم
له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا
الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان ابوكم يدنيه دونكم وانكم انطلقتم
به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس ويجوز
ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة
وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرى لننبينهم بالنون
على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير
عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا ورواه ابن جني عشى بضم العين
والقصر وقال عشوا من البكا وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي
يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جا اخوة يوسف ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر
ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل
اصابكم في غنمكم شي قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق
والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتما والترامي وغير ذلك
والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجا في التفسير ننتضل بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سي الظن
بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب اي وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس
الكذب او عينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه
فهن به جود وانتم به بخل   وقرى كذبا نصبا على الحال كانه جاوا به كاذبين ويجوز

ان يكون مفعولا له وقرات عايشة كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال
ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث
كانه دم قد اثر في قميصه وروي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم
ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص
فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم
ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلث
ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على برا
يوسف حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت النصب على الظرف كانه قيل
وجاوا فوق قميصه بدم كما تقول جاوا على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان تكون
حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه سولت سهلت من السول
وهو الاسترخا اي سهلت لكم انفسكم امرا ان تكتموه من يوسف وهونته في
اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وسلامة القميص او اوحي
اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدا لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل
او فصبر جميل امثل وفي قراة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جا في الحديث المرفوع انه
الذي لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا
اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يوسف على
عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان
فاوحى الله اليه اتشكوني قال يا رب خطية فاغفرها لي والله المستعان
اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت
سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القا يوسف في الجب
فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا
للرعاة وقيل كان ماوه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال له مالك
ابن دعر الخزاعي ليطلب لهم الما والوارد الذي يرد الما ليستقي للقوم يا بشراي
البشرى كانه يقول تعالي فهذا من اوانك وقرى يا بشرى على اضافتها الى نفسه
وفي قراة الحسن يا بشري بالياء مكان الالف جعلت اليا بمنزلة الكسرة قبل يا الاضافة

وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي
نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان
يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فاذا هو بغلام
احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه
صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل
اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه اهل الما لنبيعه لهم بمصر وعن ابن
عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه
منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة
والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم
او هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم والله عليم بما فعل اخوة يوسف بابيهم
واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا
ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن
لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل
للقليلة معدودة لان الكثيرة تمنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت
عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين من الراغبين عما
في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشي متهاون به لا يبالي بما باعه
ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول
مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه اشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من
الزاهدين لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يخاطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته
اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة من الزاهدين لان الصلة
لا تتقدم على الموصول بل يتعلق بمحذوف بينه الزاهدين وانما هو بيان كانه قيل
في اي شي زهدوا فقال زهدوا فيه الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو
العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد
آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى
الاسلام فابا واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة

47

سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة واتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن
ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون
موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون
موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين
ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا
وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي
حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقده بالاحسان وتعهده بحسن
الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك
وام مثواك لمن نزل به من رجل وامراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق
نزولك به واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض
للامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته
او نتخذه ولدا نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال
ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى
ان ينفعنا والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي
الامين وابو بكر حين استخلف عمر وروي انه سال عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك
الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز والكاف منصوب بتقديره ومثل
ذلك الانجا والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في
ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان
ذلك الانجا والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم والله غالب على امره لا
على امر نفسه لا يمنع عما يشا ولا ينازع فيما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره ولا يكله الى
غيره فقد ارادوا اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبر ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الامر كله بيد الله قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون
وقيل اقصاه ثنتان وستون اتيناه حكما حكمة وهو العمل بالعلم واجتناب ما يجهل وقيل حكما بين
الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان
امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزا على احسانه المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء

وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشي الذي لا يريد
ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة هيت لك بفتح الها وكسرها مع فتح التا وبناوه كبنا اين
وغيط وهيت كجير وهيت كحيث وهيت بمعنى تهيات يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيا
وهيت لك واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما
تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي سيدي ومالكي
يريد قطفير احسن مثواي احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه فما جزاوه ان اخلفه في اهله سو
الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسي وقيل اراد الله
تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت به وهم بها قصد مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشي
قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله
هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قوله لا افعل
ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه
والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف
ولقد همت مخالطته وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف
لان قوله وهم بها ما دل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني
خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها
قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا
يشبه الهم به والقصد اليه كما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول
والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من
وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه
ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلا على حسب عظم الابتلا
وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين ويجوز ان
يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد
مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم
القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القاري
اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما براسه ان يقف على قوله ولقد همت به

48

ويبتدي قوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان
قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما
قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام
وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما
حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده
ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن
بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما
بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله قد جا بالهمين على التفصيل
حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان تفصيلهما قاضيا بان يكون التقدير ولقد
همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلهما الى ما هو حظهما من قضاء
شهوتهما وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان راى برهان ربه فترك التوصل
الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده فسر هم يوسف بانه
حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع
وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه
ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته
وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر
ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح
به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما
ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى
فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة
فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفها وانت مكتوب في ديوان الانبيا
وقيل راى تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى صنم هناك فسترته وقالت استحي ان يرانا
فقال يوسف استحيت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحي من السميع البصير العليم بذات
الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه

صح

واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولقد وجدت
من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على
آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم
واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام
الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه
القبح حتى استحق من الله الثنا فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر
كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفا قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل
له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده ابرهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر
الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اوليك في ايرادهم
ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين
ليقتدى بنبي من انبيا الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع
عليها وفي ان ينهاه الله ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث صيحات بقوارع
القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطاير الذي سقط ريشه
حين سفد انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى تداركه
الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم
وجها لقي بادنى ما لقي به مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك
فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل
اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء
من خيانة السيد والفحشاء من الزنى انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم
لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات
الفاحشة من القبلة والنظر لشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا المخلصين معناه بعض
عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشي منهم لانه من ذرية ابرهيم الذين
قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى الباب فحذف الجار
وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها
يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراه لتمنعه الخروج **فان قلت** كيف

غير

49

وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب **قلت** اراد الباب البراني الذي هو المخرج
من الدار والمخلص من العار فقد روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط
حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي
انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها وصادفا بعلها وهو
قطفير تقول المراة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم
يكن سيدا له على الحقيقة وقيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم
للمراة لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يؤ
جات بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب
على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من
مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولين لم يفعل ما امره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاوه
الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شي جزاوه الا السجن كما تقول ما في
الدار الا زيد **فان قلت** كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوا **قلت**
قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما
قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت به وعر
للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا
ذلك لكتم عنها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة
على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراة يوسف وانفى للتهمة
عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك
ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر
فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في
المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشا
يوسف وصاحب جريج وعيسى **فان قلت** لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ
الشهادة **قلت** لما ادى مودى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها
سمي شهادة **فان قلت** الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة
قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان

اتها

ضته

هد

كان قميصه **فان قلت** ان دل قد قميصه من دبر على انها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه
اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها **قلت** من وجهين احدهما
انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع
خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب
الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن
جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرا من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين
للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بسكون العين **فان قلت** كيف جاز
الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان **قلت** لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد
ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد
ان يمتن علي امتن عليك فلما راى يعني قطفير وعلم براة يوسف وصدقه وكذبها قال
انه ان قولك ما جزا من اراد باهلك سوا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن
الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النسا لانه وان كان في الرجال الا ان النسا الطف
كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر
النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوايق وعن بعض
العلما انا اخاف من النسا اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان
كان ضعيفا وقال للنسا ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى
قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث
به واستغفري انت لذنبك انك كنت من الخاطين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال
خطي اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما
كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النسا
وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن
وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة
ولذلك لم تلحق فعله تا التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة
العزيز تريد قطفير والعزيز الملك بلغة العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي
اي غلامي وجاريتي شغفها حبا خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفواد والشغاف

50

حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة
وقد حال هم دون ذلك داخل دخول الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شعفها بالعين
من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوة الرجل الطالي
وحبا انتصب على التمييز في ضلال مبين في خطا وبعد عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن
وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب
مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها
فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات
واعتدت لهن متكا ما يتكين عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكيات
والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رويته ويشغلن عن نفوسهن فيقع على
ايديهن فيقطعنها لان المتكي اذا بهت لشي وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين
المكر به وبهن فيضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فيبكتهن بالحجة وليهول
يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن
يثبن عليه وقيل متكا مجلس طعام لانهم كانوا يتكيون للطعام والشراب والحديث
كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكيا واتين السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن
وقيل متكا طعاما من قولك اتكانا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته
ليطعم عندك اجلسته تكاة قال جميل
وظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا
كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكي على المقطوع بالسكين وقرئ متكا
بغير همز وعن الحسن متكا بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف
كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد
فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت اهدت اترجة وكانها
الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على
جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع
من متك الشي بمعنى بتكه اذا قطعه وقرا الاعرج متكا مفعلا من تكي يتكا اذا
اتكا اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرايع والجمال الفايق قيل كان فضل

بمن

ـت

يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السما وعن النبي صلى الله
عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السما فقلت لجبريل من هذا فقال
يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف
اذا سار في ازقة مصر يرى تلالو وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من السماء
عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه ادم يوم خلقه ربه
وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والها للسكت يقال اكبرت
المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد
الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق قطعن ايديهن
جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشى كلمة تفيد معنى
التنزيه في باب الاستثنا تقول اسا القوم حاشى زيد قال
حاشى ابي ثوبان ان به ضنا على الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت
موضع التنزيه والبراة فمعنى حاشى الله براة الله وتنزيه الله وهي قراة ابن مسعود
على اضافة حاشى الى الله اضافة البراة ومن قرا حاشى لله فنحو قولك سقيا لك
كانه قال براة ثم قال لله لبيان من يبرا وينزه والدليل على تنزيل حاشى منزلة المصدر
قراة ابي السمال حاشيا لله بالتنوين وقراة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الاخرة
وقراة الاعمش حشا لله بحذف الالف الاولى وقرى حاش لله بسكون الشين على
ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقا الساكنين على غير
حده وقرى حاشى الاله فان قلت فلم جاز في حاشى لله ان لا ينون بعد اجرايه مجرى
براة لله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه
كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى قوله غدت من عليه ينقلب الالف الى اليا
مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله
واما قوله حاشى لله ما علمنا عليه من سو فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله
ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن
الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع

ان لا احسن من الملك كما ركز ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في القبح والحسن
بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من
الشياطين ولا اجمع للخير من الملايكة الا ما عليه الفية الحشوية من المجبرة من تفضيل
الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقايق وجحودهم للعلوم الضرورية
ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القران
ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرا على سليقته من بني تميم قرا بشر بالرفع وهي قراة
ابن مسعود وقرى ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لييم ان هذا الا ملك كريم
تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى اي
بكرا والقراة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقته بشر لملك قالت فذلكن ولم
تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاقا لان يحب ويفتتن به وربا
بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني
تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم
تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به
الاستعصام مبالغة يدل على الامتناع والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد
في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي واستفحل
الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلم لا مزيد عليه وبرهان لا شي انور
منه على انه بري مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت
الضمير في امره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما امر
به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير ويجوز ان يجعل ما مصدرية فيرجع الى
يوسف ومعناه ولين لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه وقرى وليكونن
بالتشديد والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف
وذلك لا يكون الا في النون الخفيفة وقرى السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني
باسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء
نفسك في السجن والصغار فالتجا الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي
من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه

اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه واثر عنده
نظرا من حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحد
منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه
الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبيا والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه
نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على العفة والالجا اليها اصب اليهن
امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها
وروحها وقرى اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون
لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سوا او من السفها لان الحكيم لا يفعل القبيح واما
ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعا لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف
والدعا باللطف السميع لدعوات الملتجين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم بدا
لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بدا اي ظهر لهم
راي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الايات وهي الشواهد
على براته وما كان ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب
وكان مطواعة لها وجميلا ذلولا زمامه بيدها حتى انساه ذلك ما عاين من الايات
وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته
لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراة الحسن لتسجننه بالتا على
الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى
حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراة ابن
مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك
فقال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل القران فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقري
الناس بلغة قريش ولا تقريهم بلغة هذيل والسلم مع تدل على معنى الصحبة واستحداثها
تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين
له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى
السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال
ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يول اليه وقيل الخمر بلغة عمان

اسم للعنب وفي قراة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرويا
اي يجيدونها راياه يقص عليه بعض اهل السجن روياه فيوولها له فقالا له ذلك او من
العلما لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن
الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما راينا ان كانت لك يد في تاويل الرويا روي انه كان
اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان
في السجن ناس قد انقطع رجاوهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا توجروا
ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك
لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل
الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في
اي بيوت السجن شيت وروي ان الفتيين قالا انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما
بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلا لقد احبتني عمتي فدخل علي
من حبها بلا ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلا ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها
بلا فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اراني في
بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلث عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك
وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع
الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبينا بتاويله قلت الى ما
قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه قيل نبينا بتاويل ذلك لما استعبراه
ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلما وهو
الاخبار بالغيب وانه ينبيهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه
لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا
الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه
طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم
الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه
مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه
بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية

بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما
اشارة لهما الى التأويل اي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي
ولم اقله عن تكهن وتنجم انى تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله
اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة
الحنيفية واراد بهم اولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكرير هم
للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم قوم مؤمنون وهم الذين على ملة
ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا
من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين او دعوه
السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد
الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما
ذكر من اخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به
صنما لا يسمع ولا يبصر ذلك التوحيد من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة
التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت
ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين
يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة
فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب
وانما المصحوب غيره وهو يوسف ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما
الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين
لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة
أأرباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أان يكون ارباب شتى
يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب
ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده
ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء
يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون

الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا
ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم
بين ما حكم به امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين اما
احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه خمرا وقرأ عكرمة فيسقى ربه خمرا اي يسقى ما يروى
به على البناء للمفعول روي انه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن
حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت
عليه وقال للثاني ما رأيت السلال ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان
فيه من امركما وشأنكما فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد
قلت المراد بما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما رأياه في معنى ما نوكيهما
فكانهما كانا يستفتيان في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر
الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا
وقالا ما رأينا شيئا على ما روي انهما تحالما فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما ام كذبتما ظن انه
ناج الظان هو يوسف ان كان تأويله بطريقة الاجتهاد وان كان تأويله بطريق الوحي
فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي
وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي
ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره بضع سنين
البضع ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر
الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى
يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من
آية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة
المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكر ربه او
عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان
ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف الاستعانة
بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن
عيسى من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم

من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد
فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاطعمة والاشربة
وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم
والغرق والحرق ونحو ذلك قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن
الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى
ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا تشمت به الكفار ويقولوا
لو كان هذا على الحق وكان له رب لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها
ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما دنى فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن
الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف
فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات
قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد
في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت
هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع
بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بجنس البقرات
لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف
على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده
فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب
ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك
لا تقول عندي ثلاثة ضخام وثلاثة غلاظ فان قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله
لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات
قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء
بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده
والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمع على فعال حمله على سمان لانه
نقيضه ومن دأبهم حمل النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل على

ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في
البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الآخر السبع ويكون قوله
واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات
خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان يدخل
في حكمها فيكون معها مميزا للسبع المذكور ولفظ الآخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه
انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين
بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين
قعود تدافع ففسد يا ايها الملأ كأنه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا
اما ان يكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان يدخل لان العامل اذا تقدم عليه
معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل
اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان
كما تقول فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر او حالا وان
يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا
ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو
عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو
الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت
على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب
رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا
اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما
يكون منها حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط
النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث
من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث
احلام فجمعوا قلت كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا
واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم
بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا
غيرها وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة

تعبرون

فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا
بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير فيرى واذكروا بالدال وهو الفصيح وعن
الحسن واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه
بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تأويلها
حينئذ تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه ان يذكره عند الملك وقرأ
الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة والاكل عربي
ثم بعد الفلاح والملك والامة كان بهم هناك القبور اي بعدما انعم عليه بالنجاة وقرئ
بعد امه اي بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطي
انا انبئكم بتأويله انا اخبركم عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتأويله فارسلون
فابعثوني اليه لاسأله وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف
فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق
احواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول وكذلك كلمه كلام محترز
فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من
علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من
محنتك تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون وانما
يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المأمور به فيجعل كانه يوجد فهو
يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة و
تحريكها وهما مصدرا داب في العمل وهو حال من المأمورين اي دائبين اما على انه
دابا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي داب فذروه في سنبله لئلا يتسوس ويأكل
من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتخبأون يغاث
الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية
غثنا ما شئنا يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون
الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة
ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي
يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان

٥٥

اما ان يتضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف
الجار واوصل الفعل تأويل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف
واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل بان العام الثامن يجي مباركا خصيبا
كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم
ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلتم ان علم ذلك
من جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي انما اتى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال
النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح
امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين
الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الا
حتهاد
في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال صلى الله عليه وسلم للمار به في معتكفه وعنده
بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعنه عليه السلام عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله
يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت
ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك فاسأله ولو كنت مكانه
ولبثت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان
لحليما ذا اناة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان
السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد
في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا او يتميز فيه
الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته وما
صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي
ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره واستشهد
بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به واراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن
فمجازيهن عليه ما خطبكن ما شأنكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن
قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها

قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول
وهو من حصحص البعير اذا احكم ثفناته للاناخة قال
فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة
والنزاهة واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت
المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا من ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته ذلك
ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه
بالغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى انا غائب عنه
خفي عن عينه او هو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو
الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين
لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة
الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تأكيدا لامانته وانه
لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا
يكون مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته
فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا تخلو اما
ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية
لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد
الجنس اي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي
الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي
وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان
يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون
الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من
كلام امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة
امراة
وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته
حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد

٥٦

الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله
بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت
وان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل عليه قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى
ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن
ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فسأله ما
بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة زعموا ان يوسف
حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا
حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله يقال
استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه
ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين امين ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا
عا
لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس
بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء
وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا
جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابي وكان
الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق
اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان
خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفا
فقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك
ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك اجعلني على خزائن الارض ولني ارضك اني
حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالامانة
والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام
الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان

احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغا وجه الله لا لحب الملك والدنيا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزاين الارض لاستعمله
من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر
ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روي مجاهد انه كان قد اسلم وعن قتادة
هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جاير وقد كان السلف
يتولون القضا من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر
الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل
كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى وكان في حكم التابع له
والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في ارض مصر روي
انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوا منها حيث يشا بالنون والياء اي كل مكان
اراد ان يتخذه منزلا ومتبوا له لم يمنع منه لاستيلايه على جميعها ودخوله تحت ملكه
وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا
من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك
ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابايي فقال
فقد وضعته اجلالا واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض
الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل بها
قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذرا فولدت له ولدين افرايم ومنشا واقام
العدل بمصر واحبته الرجال والنسا واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من
اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم
شي منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف
رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك فقال اني اشهد الله واشهدك
اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين
اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس فاصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب
مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين نصيب برحمتنا بعطايانا في الدنيا

من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشا من اقتضت الحكمة ان نشا له ذلك ولا نضيع اجر
المحسنين ان ناجرهم في الدنيا ولاجر الاخرة خير لهم قال سفين بن عيينة المومن يثاب على
حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وتلا هذه
الاية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك
ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك
والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البير مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل
لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب
والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا
على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا
من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوايج وانما عرفهم
لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم
وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم اي
اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركايبهم بما جاوا
له من الميرة وقرى بجهازهم بكسر الجيم قال ايتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت
له معهم حتى اجتر القول هذه المسلة روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني
من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجينا نمتار
فقال لعلكم جيتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو
شيخ صديق نبي من الانبيا اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنا عشر فهلك منا واحد قال
فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا عند ابيه يتسلى به من الهالك قال
فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا احد فيشهد
لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة واتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى
اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه
عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا
في حكم الجزا مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا

تقربوا وان يكون بمعنى النهي سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونستجهد ونحتال حتى
ننتزعه من يده وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا
محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في جمع اخ
وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق
ردها وحق التكرم باعطا البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم
يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم
وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيهم من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ
من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها
فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها منع منا الكيل يريدون
قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون لانهم اذا انذروا بمنع
الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه
وقرئ يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكون سببا للاكتيال فان امتناعه
بسببه هل امنكم يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم
بضمانكم فما يومنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم
وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ
حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين
فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة
الدال المدغمة نقلت الى الرا كما قيل قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الرا فيمن
سكنها الى الضاد ما نبغي للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان
الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان
رجلا من ال يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيا ورا ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام
يعني اي شي نطلب ورا هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة
اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل
بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا
في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا ان يصيبه شي مما نخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق

بعير زايدا على اوساق اباعرنا فاي شي نبتغي ورا هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع
ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد لاحد على حمل بعير للتقسيط
فان قلت هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كما مر الجملة
الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لانا لصدقهم وانتفا التزيد عن قولهم فما تصنع بجمل
البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت
ويجوز ان يكون كلاما مبتدا كقوله ونبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجته واجتهدت
في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد وما نبغي وما ننطق الا با
فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا والواو في بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا
ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن
ذلك كيل يسير اي ذلك كيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا
اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شي قليل يجيبنا
اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب
وان حمل بعير واحد شي يسير لا يخاطر لمثله بالولد ذلك ليعلم لن ارسله معكم منافي حالي
وقد رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله
اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به
العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتاتنني به جواب اليمين لان
المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا
ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثنا ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم
مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتاتنني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون
من الاتيان به الا للاحاطة بكم فهو استثنا من اعم العام في المفعول له والاستثنا
من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتاول
بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل على
ما نقول من طلب التوثيق واعطايه وكيل رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا من باب
واحد لانهم كانوا ذوي بها وشارة حسنة وقد اشهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك
والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم وكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود

وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان
وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك
ان يدخلوا كبكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك
لم يوصهم في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس **فان قلت** هل
للاصابة بالعين وجه تصح عليه **قلت** يجوز ان يحدث الله عند النظر الى الشيء والاعجاب
به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز
المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين
كما قال فما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ
الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن شر كل هامة
وما اغني عنكم من الله من شيء يعني اذا اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت
به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم
ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان
الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن
حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به
وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر آوى اليه اخاه ضم اليه
بنيامين روي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون
ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى
وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه على مائدته فجلس معه وجعل يواكله وقال انتم
لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته
حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هالك فقال
له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن
بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير فلا تعلمهم ما اعلمتك
وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس

بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت
اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل
قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته
ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل
كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل
كانت اناء مستطيلا تشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه وتشرب
بها الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة من ذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة
بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال اذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن
لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا
ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة
الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما
فعل والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرا ابن مسعود وجعل السقاية على
حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى
انطلقوا ثم اذن وقرا ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا
وقرئ صواع وصاع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا
به زعيم يقوله المؤذن وانا بالحمل كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من
طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم
فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم
للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من
اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا
نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته
ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء
سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك
استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه
هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم عليه فذلك حقه اي فهو حقه ليقرره

ما ذكرته من استحقاقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على
اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء
موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو
يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر
ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من
وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم
ثم تقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدأ باوعيتهم قيل قال لهم
من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم
قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله
ما نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرا
الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرا سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو
همزة **فان قلت** لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه **قلت** قالوا رجع بالتانيث على
السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده
صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا
كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك
مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان
يشاء الله اي ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في
العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل
ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو
الله **فان قلت** ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد
وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم
لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين **قلت** هو في صورة البهتان وليس ببهتان
في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف
وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء

براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم
كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وحكم هذا الكيد
حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب وخذ
بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر
وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله في
هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة
وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا اخ له ارادوا يوسف روي انهم لما استخرجوا
الصاع من رحل بنيامين نكسوا رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي
صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا
الصاع فقال بنو راحيل لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا
الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف
من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق
وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان
في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم منطقة يتوارثها
ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته
بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت
الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا
من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه
يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها يوسف اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم
شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام
كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا لان قوله انتم شر مكانا
بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم
شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله
اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون استعطفوه
باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب

اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس باخيه فحرا صنا ما مكاتة فخفه بدله على وجه الاسترهان والاستعباد انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتياكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غيره من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف ومعنى معاذ الله ان نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من وان ذا جواب لم وجزاء الان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل وادهم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال لهم نجي كما قيل صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية ويجوز ان يقال لهم نجي قال الى اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا للمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن هو روبيل وقيل يهوذا وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا اي ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله النصب او الرفع

على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج او الانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حتى اعطيناك الموثق وما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرأ سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم نشعر القرية التي كنا فيها هي مصر ارسل الى اهلها سلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعا معناه ارجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتياكم وتعليمكم به جميعا بيوسف واخيه روبيل او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتليني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهية لما جاؤا به يا اسفى اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمد فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون صنعا من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا فان قلت كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده غضا عنده طريا ولم تنسه او في المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة المصيبات التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن والحزن وكان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن وقيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين

لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله منه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب وهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ باكظامه تفتأ اراد لا تفتأ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا معنى لا تفتأ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه ومعناه انما اشكو الى الله لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وبلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب تشكوني الى

خلقي فقال رب ان خطيئة اخطاتها فاغفر لي فغفر له وكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه راى ملك الموت في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وعن الحسن حزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلا احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قيل للمشاعر الانسان الحواس والجواس من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيا بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا يلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي وارحمني قال هل علمتم ما فعلتم اي هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصيحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق

نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويشتفي المغيظ
والمحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبيا ما اوطاها واسجحها ولله حصى
عقولهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علما ولكنهم لما لم يفعلوا
ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في
حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة وروي انهم لما قالوا مسنا واهلنا
الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هل علمتم وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب
من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما جدي فقد
رمي به الى النار ليحرق فنجاه الله وجعلت عليه النار بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين
على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته
الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذيب فذهبت عيناي من بكاي
عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ورجعوا وقالوا انه سرق
وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت
عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلم فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره
فقال لهم ذلك وروي انه لما قرا الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما
ظفروا **فان قلت** ما فعلهم باخيه **قلت** تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه
وامه وجفاوهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم واحدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاوهم
له بانواع الاذى وقرى اينك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراة ابي اينك او انت
يوسف على معنى اينك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام
متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات **فان قلت** كيف عرفوه **قلت**
راوا في روايه وشمايله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به
لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم لا عن بعض اعزا مصر وقيل تبسم عند ذلك
فعرفوه بثناياه وكانت كاللولو المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه
فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضا **فان
قلت** قد سالوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه **قلت**
لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن

عن

المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين وان شاننا وحالنا انا كنا
خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك
لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية
الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب
كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض
ويذهب بما الوجه **فان قلت** بم تعلق اليوم **قلت** بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى
الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم
بغيره من الايام ثم ابتدا فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك
ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح
بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم
على خطيئتهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح
فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال
اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جا ليسلم قال له العباس
اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى
طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان
ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من
حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان
من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي
يات بصيرا يصر بصيرا كقولك جا البنا محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يات
الي وهو بصير وينصره قوله واتوني باهلكم اي ياتني هو وياتني اله جميعا وقيل يهوذا هو
الحامل قال انا احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة
ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل
منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس فلما انفصل العير قال لولده ومن حوله من قومه

ش

اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة الى
الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها
لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني لفي ضلالك
القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجايك للقايه
وكان عندهم انه قد مات القاه طرحه البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب
فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح
يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدا لم يقع عليه القول
ولك ان توقعه عليه وتريد قوله روي انه سال البشير كيف هو فقال هو ملك مصر فقال ما
اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة سوف استغفر لكم
قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل
ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي
انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت
السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر
لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد
غلبتهم الكابة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف الله عنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت
لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قايما يدعو وقام يوسف خلفه يومن وقاموا
خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل
فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف
في استنبايهم فلما دخلوا على يوسف قيل توجه يوسف والملك في اربعة الاف من الجند
والعظما واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكا على يهوذا فنظر الى الخيل والى
الناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب
السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت حتى ذهب
بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك
وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا
منها مع موسى ومقاتلتهم ستماية الف وخمسماية وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية

قال

الف الف ومايتي الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابي اسحق كانت امه تحيا
وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما
لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله ابايك ابرهيم واسمعيل
واسحق **فان قلت** ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر **قلت** كانه حين استقبلهم نزل
لهم في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شا الله
امنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه
فرفعهما على السرير وخروا له سجدا يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا او يجوز ان
يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه
فدخلا عليه القبة فاواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما وقال بعد ذلك ادخلوا مصر
فان قلت بم تعلقت المشية **قلت** بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن
في دخولهم فكانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم ان شا الله فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقا
ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكتنفا بهما والتقدير ادخلوا مصر امنين ان شا الله
دخلتم امنين ثم حذف الجزا لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزايية بين الحال وذي الحال
ومن بدع التفاسير ان قوله ان شا الله من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله
سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظايره **فان قلت**
كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله **قلت** كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كا
والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في
التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحنا دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا ياباه وقيل
معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا فيه ايضا نبوة يقال احسن به واليه
وكذلك اسا اليه وبه قال اسيئي بنا او احسني لا ملومة من البدو من البادية لانهم كانوا
اهل عمد واصحاب مواشي يتنقلون في المياه والمناجع نزغ افسد بيننا واغرى واصله من
نخس الرايض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه لطيف لما يشا
لطيف التدبير له رفيق حتى يجي على وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف اخذ
بيد يعقوب فطاف به في خزاينه فادخله خزاين الورق والذهب وخزاين الحلي وخزاين
الثياب وخزاين السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزاين القراطيس قال يا بني ما اكثر عندك

لقيام

هذه القراطيس وما كنت الا على ثمان مراحل فقال امرني جبريل فقال وما تسله قال انت ابسط اليه مني فسله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق مصر ولم تزل بنوا اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم من في من الملك ومن تاويل الاحاديث للتبعيض لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض ملك مصر وبعض التاويل انت وليي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الاسلام وان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل والحقني بالصالحين من آبائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات عنده فراه كثير البكاء والمسالة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين **فان قلت** علام انتصب فاطر السموات **قلت** قيل انه وصف لقوله رب العالمين كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء ذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتدا وقوله من انباء الغيب صلته وقوله نوحيه اليك الخبر والمعنى ان هذا النبا غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم اخاهم في البير كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا

الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل وما اكثر الناس يريد العموم ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسئلهم عليه على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله وكاين من اية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرا السدي والارض بالنصب على يطوون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون من اثار الملوك الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم في اقرارهم بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل الطريق يذكر ويؤنث ثم فسر سبيله ادعوا الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدا وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدا بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وانزهه من الشركاء الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة وقيل في سجاح المتنبئة ولم يبعث انبياء الله ذكرانا

وقرئ يوحى اليهم بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الاخرة ولدار الساعة او الحال الاخرة خير للذين اتقوا خافوا الله فلم يشركوا ولم يعصوه وقرئ او لا يعقلون بالياء والتاء حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استياسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم كقولهم رجاء صادق وكاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجاة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين على الاخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ وكذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصر عليهم وقرا مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعودهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعودهم فنجي قرئ بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرا ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان يشاء الله نجاتهم وقد دل على ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرا قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته **فان قلت** فالام يرجع الضمير فيما كان حديثا يفترى فيمن قرا بالكسر **قلت** الى القرآن اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه

اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مكية وهي ثلث واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ايات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الايات ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من القران كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله مبتدا والذي رفع خبر بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الايات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل صفة لعمد ويعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل اياته في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرا الحسن ندبر بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعدما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مدبر موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الانواع والاجناس وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات وقرئ

وقرى وزرع ونخيل بالجر عطفاً على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلها واحد وقرى بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس يسقى بالياء والتاء ونفضل بالنون والياء والنبا للفاعل والمفعول جميعاً في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما قص عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب اذا كنا ترابا الى اخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلاً من قولهم وان يكون منصوبا بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار او وعيد وكقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالاً ونحوه

لهم عن الرشد اغلال واقياد او هو من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بالانذار وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها يقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرى المثلات بتخفيف اتباع الفا العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كالثقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه وجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه اية من ربه لم يعتدوا بالايات المنزلة على رسول الله عنادا فاقترحوا نحو ايات موسى وعيسى من انقلاب العصى حية واحيا الموتى فقيل لرسول الله انما انت منذر رجل ارسلت منذرا تخوفهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باي اية كانت والايات كلها سوا في حصول

حجة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي اية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبيا شرعا واحدا في ايات مخصوصة ووجه اخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك ايات عنادا فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله ولقد دل بما اردفه من ذكر ايات علمه وتقدير الاشيا على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر خلاف ايات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا او مصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هو قادر على هداية هو العالم وحده على هداية العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدي فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة ولما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله وغيض الماء وما تزداد اي تاخذ ازيد يقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله وازدادوا تسعا يقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في امه ومنه جسد الولد فانه قد يكون تاما ومخدوجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من التسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شي من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان

الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون للسقط لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة الغايب عن الحس والحاضر له الكبير العظيم الشان الذي كل شي دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سوا عنده من استخفى اي طلب الخفا في مختبا بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال وهو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستوا المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على مستخف لا على من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذيب يصطحبان كانه قيل سوا منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا به وهو مفعلات من عقبه اذا جاء عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسالتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه من توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرى له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حرف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا

على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وطمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق

وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونسا كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستوا الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا اياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوصدانية باتخاذ الشركا والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد المحال المماحلة وهو شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ويحل بفلان اذا كاد

وسعى به الى السلطان ومن الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى
فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر
والكيد لاعدائه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرا الاعرج بفتح الميم على انه
مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى
شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جا فساعد الله اشد وموساه احد لان
الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى
الى قوله فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه دعوة الحق فيها وجهان
احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة
الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان
الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوة
ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعا لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف
ما لا ينفع ولا يجدي دعاوه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة
المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعا اليه دعوة الحق فان
قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان
اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم احبسهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة
دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة
دعوة رسول الله ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار
من دون الله لا يستجيبون لهم بشي من طلباتهم الا كباسط كفيه اليه يطلب منه ان
يبلغ فاه والما جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب
دعاه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر
على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الما بيديه ليشربه
فبسطهما ناشرا اصابعهما فلم تلق كفاه منه شيا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرى تدعون
بالتا كباسط كفيه بالتنوين الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله
لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراده

١

فيهم من افعاله شاوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وينقاد له ظلالهم حيث يتصرف
على مشيته في الامتداد والتقلص والفي والزوال بالغدو والايصال من اصلوا اذا دخلوا
في الاصيل قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات
والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي
قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا
القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه
ولا يقدرون ان ينكروه افاتخذتم من دونه اوليا ابعد ان علمتموه رب السموات والارض
اتخذتم من دونه اوليا فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب
الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او
يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد اثرتموه على الخالق الرازق المثيب
المعاقب فما ابين ضلالتكم ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار خلقوا صفة
لشركا يعني انهم اتخذوا لله شركا عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا
على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شي لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له
شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار
لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه
كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالما الذي ينزله
من السما فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون
به من صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي
فيه الباس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الما في
منابعه وتبقى اثاره في العيون والابار والحبوب والثمار التي تنبت مما يدخر ويكنز وكذلك
الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله
وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي تطفو فوقه اذا
اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت لان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين
البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض فان قلت فما معنى قوله بقدرها قلت

بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله فاما ما ينفع الناس
لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع من المضرة
ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله ابتغا حلية او
متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الما والفلز في النفع في قوله
واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الما والفلز فذكر وجه الانتفاع مما يوقد
عليه منه وابدله وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغا حلية او
متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبريا في ذكره على وجه التهاون به كما هو
هجيرى الملوك نحو ما جا في ذكر الاجر فاوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتدا الغاية اي
ومنه ينشا زبد مثل زبد الما او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على
وجه السيل جفا وفي قراة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا تقرا بقراة رؤبة
لانه كان ياكل الفار وقرى يوقدون بالياء اي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة
بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمومنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا
اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى
وقوله لو ان لهم كلام مبتدا في ذكر ما اعد الله للمستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك
يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستانف والحسنى مبتدا خبره للذين استجابوا والمعنى
لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما في حيزه سوء
الحساب المناقشة وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شي دخلت همزة
الانكار على الفا في قوله افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من
علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب
كبعد ما بين الزبد والما والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على
قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدا واولئك لهم
عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة
لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته اشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم
من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر

لو

الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقرابة المومنين الثابتة بسبب الايمان انما المومنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب
الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم
وبينهم وافشا السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب
والخدم والجيران والرفقا في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن
الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا
الله وكونوا من حيث شيتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاسا
اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون سو الحساب
ويحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصايب في النفوس
والاموال ومشاق التكليف ابتغا وجه ربهم لا ليقال ما اصبرهم واحملهم للنوازل
واوقرهم عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعدا كقوله
وتجلدي للشامتين اريهم اني لريب الدهر لا اتضعضع ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا
مرد فيه للفائت كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه
يعمل عليها فعلى المومن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان
فعلا كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية
يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة
ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد
عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا
وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة
الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها جنات عدن بدل
من عقبى الدار فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها
ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرى يدخلونها على البنا للمفعول وقرا ابن ابي عبلة
صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانسان لا ينفعه اذا انفرد من الاعمال الصالحة واباوهم
جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم سلام عليكم موضع الحال لان
المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف

نيه
وقرى

تقديره هذا بما صبرتم تعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر
ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لان تعبتم في الدنيا فقد استرحتم الساعة كقوله
بما قراري فيها واسر بونا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور الشهدا على
راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي
نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول
سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد
بالدار جهنم وسوءها عذابها الله يبسط الرزق يقدره دون غيره وهو الذي يبسط رزق
اهل مكة ويوسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من ذلك فرح بطر واشر لا فرح سرور
بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم
ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله
من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك فان قلت كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية
من ربه قل ان الله يضل من يشا قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات
الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن
وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كان آية لم ينزل عليه قط
كان موضعا للتعجب والاستنكار فكان قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم
ان الله يضل من يشا من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل
الى اهتدايهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى
الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير والذين آمنوا بدل من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر
الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلايله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه
معجزة بينة تطمئن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدا وطوبى لهم خبره
ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين
الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا
ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراة
في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدرك على محليهما واللام في لك للبيان مثلها في

سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن يا لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرا مكوزة الاعرابي
طيبى لهم بكسر الطا لتسلم اليا كما قيل معيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك
يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على ساير الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال
في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت
خاتم الانبيا لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا
اليك وهم يكفرون وحالهم انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت
رحمته كل شي وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن
المعجز المصدق لساير الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركا عليه توكلت في نصرتي
عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه محذوف
كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال
عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او
كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار
والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وهذا المعنى قد اقترنت به قوله لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي
الى رسول الله من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض
وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة
وكلمهم الموتى الآية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير
لنا بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطايع كما سخرت لداود ان
كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام
ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع الشاقة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا به
رجلين او ثلثة ممن مات من آبايها منهم قصي بن كلاب فزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها
بالسير ومجاوزتها وعن الفرا هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان
قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد وقيل قطعت به الارض شققت
فجعلت انهارا او عيونا بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شي
وهو قادر على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني

بل لله ان يلجيهم الى الايمان وهو قادر على الالجا ولولا انه بني امر التكليف على الاختيار ونقضه
قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشا الله يعني مشية الالجا والقسر لهدى الناس جميعا
ومعنى ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه
معناه لان اليايس من الشي عالم انه لا يكون كما استعمل الرجا بمعنى الخوف والنسيان في
معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي
اقول لهم بالشعب اذ يأسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا
وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قراوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل
انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله
الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي
الامام وكان متقلبا في ايدي اوليك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا
يغفلون عن جلايله ودقايقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي
عليها البنا هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشا بآمنوا على اولم
يقنط عن ايمان هولا الكفرة الذين آمنوا بان لو يشا الله لهدى الناس جميعا ولهداهم
تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسو اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في
كل وقت من صنوف البلايا والمصايب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة
قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى
ياتي وعد الله وهو موتهم او القيمة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله كان لا يزال
تبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد
قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد
وعده ذلك الاملا الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة
يمكن لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اعتراضهم الآيات على رسول الله صلى الله
عليه وسلم استهزا به وتسلية له افمن هو قايم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله انا
لله الذي هو قايم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد
لكل جزاه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا

وتمثيله افمن هو بالصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده
شركا قل سموهم اي جعلتم له شركا فسموهم له من هم ونبيوه باسمايهم ثم قال ام
تنبيونه على ام المنقطعة كقوله للرجل قل لمن زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل
اتنبيونه شركا لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم
انهم ليسوا بشي يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركا ونحوه قل اتنبيون الله بما
لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل ان سميتموهم شركا بظاهر من القول
من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسما
سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها منادية على نفسه بلسان
طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين
وقري اتنبيونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا وقري بالحركات
الثلث وقرا ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي
فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحياة الدنيا وهو ما نالهم
من القتل والاسر والمحن وما يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا
وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عقابه او وما لهم من جهته من واق من رحمته
مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتدا والخبر محذوف على مذهب
سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار
كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة التي تجري من تحتها الانهار
على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقري على امثال الجنة على الجمع
اي صفاتها اكلها دايم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دايم لا ينسخ كما
ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله
ابن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا وقيل اربعون
باثنان وثلثون بارض الحبشة وثمانية نجرانيون يفرحون بما انزل اليك يعني ومن احزابهم وهم
كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقا
بعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت

الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع
فان قلت كيف اتصل قوله انما امرت ان اعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين
معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده
فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع في
رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز
ان يكون في موضع الحال على امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا
لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم
وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة
اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه
على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يوافقهم عليها منها
ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له فان تابعتهم على دين ما هو الا اهوا
وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك
ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهو من باب الالهاب والتهييج والبعث
للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزال عنه الشبهة بعد استمساكه
بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان كانوا
يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا
يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج
وذرية وما كان لهم ان يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح
تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض
عليهم ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت
بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما
ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل
يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض
الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها

واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح
المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت واما نرينك كيف ما دارت الحال اريناك
مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا
تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على
المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة
والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا
في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما
وعدناك من الظفر فلا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب
نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب
لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه
بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال
لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر
بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب
الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه
قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد
حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى
مكره فقال فلله المكر جميعا ثم اتبع ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر
لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم
من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافر والذين كفروا والكفر
اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر
كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم
القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل
الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح
المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي

يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده
علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ
ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ ومن عنده علم الكتاب
فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم
بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده
على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول
بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن
كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم عليه السلم مكية سوى آيتين

نزلتا في الذين بدلوا نعمة الله كفرا والتي تليها فانهما انزلتا بالمدينة في قتلى بدر
من المشركين وهي اثنتان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم كتاب هو كتاب يعني
السورة لتخرج الناس من الظلمات الى النور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم
بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من
اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله
للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف كانه قيل الى
اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى
مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم
على الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك
الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة
معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من الظلمات الى
النور بالايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد
بالويل قلت لان المعنى يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله
دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان
يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون

اي هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر
للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن
ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال
اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير المتعدي
الى المتعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء
استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله
زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية ويبغون لها فحذف
الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان
قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة
للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد
في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان
قومه ليبين لهم ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم
نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت فان قلت لم
يبعث رسول الله الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم
الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب ايضا حجة قلت لا يخلو اما
ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب
عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد وكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول
لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه
كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق
اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على
كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل
الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية
الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه
لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل

واحد منها او كلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا
لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن
واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة
وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه
وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه
وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التوراة من
السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله
فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه
يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك
كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يخذل الا اهل
الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول
كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل
بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره
سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل
فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه
التي وقعت على الامم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار
ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه
فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك
القرون صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم
او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن
لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه
عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو اما ان يكون صلة
للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم فما الفرق
بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تكون الصلة
او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم

وهو بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون
مع الواو فما الفرق قلت ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث
اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر
فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء
من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون بالنعمة والمحنة
جميعا قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو
واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم
كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى
تاذن ربكم نظير تاذن واذن توعد واوعد تفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة
معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه
والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول
وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها
من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم
ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان
تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد
لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه
وان لم يحمده الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت
اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من
الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون
وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب
وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاء به
الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع
يده على فيه واشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا
جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا

افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها
على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي
اي ردوا ايادي الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع
والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم
ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرئ
تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من اراب الرجل وهي
قلق النفس وان لا يطمئن الى الامر افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان
الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها
عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم
لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي وقال
دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من
ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم
من ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى
به الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لكم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من
المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم
والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم
ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس
افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما
ارادوا بالسلطان آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم
بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها واما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا
فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه
قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استاثروا
بها على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية التي قد اقترحتموها ليس الينا ولا في
استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين
كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان

نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا ان
لا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب
توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت
كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم او
لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم او عودكم حالفين على ذلك فان قلت كانهم
كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير
في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد
لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة
على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول واجرى الايحاء مجرى القول لانه
ضرب منه وقرا ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة
ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان
لي خال يظلمه عظيم القرية منها التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله
ضيعته فرايت يوما ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون
وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا لله شكرا ذلك
اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المسلمين ديارهم اي ذلك الامر حق
لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة
او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله
والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
او استحكموا الله وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن
اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل
واستفتح الكفار على الرسل ظنا بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم

ولم يفلح باستفتاحه. من ورائه من بين يديه قال: عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو
وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف. **فإن قلت** علام عطف ويسقى **قلت** على محذوف
تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه أشد عذابها فخصص بالذكر
مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت. **فإن قلت** ما وجه قوله من ماء صديد
قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فأبهمه إبهاما ثم بينه بقوله صديد وهو
ما يسيل من جلود أهل النار. يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة
يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف يكون الإساغة كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها
فكيف يراها. ويأتيه الموت من كل مكان كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه
وأحاطت به من كل الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده
حتى من إبهام رجله وقيل من أصل كل شعرة. ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ أي في كل
وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها
في الأجساد. ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا والفتح المطر في سني
القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه
ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد
أهل النار. واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل. مثل الذين
كفروا بربهم مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا
بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير
سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز أن يكون المعنى مثل أعمال الذين
كفروا بربهم وهذه الجملة خبر للمبتدأ أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد
عرضه مصون وماله مبذول أو يكون أعمالهم بدلا من الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرماد
الخبر. وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الرياح
كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وإنما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالإضافة
وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسارى وعقر
الإبل للأضياف وإغاثة الملهوفين والإجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها

من أعمال

وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته
الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا على شيء أي لا يرون له أثرا من ثواب كما
لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء. ذلك هو الضلال البعيد إشارة إلى بعد ضلالهم
عن طريق الحق أو عن الثواب. بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والأمر العظيم ولم يخلقها
عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات. إن يشأ يذهبكم أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق
مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم إعلاما منه باقتداره على إعدام الموجود
وإيجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده. وما ذلك على الله بعزيز بل هو هين عليه
يسير لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فإذا خلص له الداعي إلى شيء
وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك إصبعك إذا دعاك إليه داع ولم يعترض
دونه صارف. وهذه الآية بيان لإبعادهم في الضلال وعظيم خطائهم في الكفر بالله تعالى
لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق
بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الآخرة. وبرزوا لله ويبرزون يوم القيامة
وإنما جيء بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى
أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى
عنه شيء حتى يبرز أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش
ويظنون أن ذلك خاف على الله عز وجل فإذا كان يوم القيامة انكشفوا
لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب
الله وحكمه. **فإن قلت** لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة **قلت** كتب على لفظ من
يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ونظيره علمؤا بني إسرائيل. والضعفاء الأتباع
والعوام. والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم
وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم. تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم
وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الأتباع يقال تبعه تبعا. **فإن قلت** أي
فرق بين من في من عذاب وبينه في من شيء **قلت** الأولى للتبيين والثانية للتبعيض
كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن يكونا للتبعيض
معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله

فإن قلت ما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم **قلت** لما قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم
وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم هل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لأنهم
قد علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو
هداهم إلى الإيمان لهدوهم ولم يضلوهم إما موركين الذنب في ضلالهم وإضلالهم على الله كما حكى
الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ويجوز أن
يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم إلى الإيمان وقيل
معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق
النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة. سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مستويان علينا الجزع
والصبر والهمزة وأم للتسوية ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم. وروي
أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر
فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا. **فإن قلت** كيف اتصل قوله سواء علينا بما
قبله **قلت** اتصاله من حيث أن عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا سواء علينا
أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا
مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والأمر
من ذلك أطم أو لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم فأنجيناكم أتبعوه
الإقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن
يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك
ليعلم أني لم أخنه. والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف
ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد. لما قضي الأمر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر
الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار وروي أن الشيطان يقوم عند ذلك
خطيبا في الأشقياء من الجن والإنس فيقول إن الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء
على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وما كان لي عليكم
من سلطان من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها إلا أن دعوتكم

إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك
ما تحيتهم إلا الضرب. فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حيث اغتررتم وأطعتموني إذ دعوتكم
ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة
ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما
تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه
فإن قلت قول الشيطان باطل لا يصح التمسك به **قلت** لو كان هذا القول منه باطلا
لبين الله بطلانه وأظهر إنكاره على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام ألا ترى
إلى قوله إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله
وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من
اتبعك من الغاوين. ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا
يغيثه والإصراخ الإغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت
مجهول: قال لها هل لك يا تا في * قالت له ما أنت بالمرضي. وكأنه قدر ياء الإضافة
ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح
لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء
فإن قلت جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكأنها ياء وقعت ساكنة
بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الأصل **قلت** هذا قياس حسن ولكن الاستعمال
المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات. بما أشركتمون ما
مصدرية ومن قبل متعلق بأشركتموني يعني كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا
اليوم أي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بإشراكهم إياه
تبرؤه منه واستنكاره له كقوله إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل
من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي
أشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فإذا نقلت بالهمزة قلت أشركنيه
فلان أي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى إشراكهم
بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا قول إبليس وقوله
إن الظالمين قول الله عز وعلا ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله عز وجل

لكم

الاستعمال

آخر

ما سبقوا له في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما
لابد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما
يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات
كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمة الله ورضوانه
عليهما وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على انه من قول الله
لا من قول ابليس. باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلهم الملائكة الى الجنة باذن الله وامره
فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت
الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحييهم الملائكة باذن ربهم وقرئ الم تر
ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة
نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك
شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي
ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى
هي كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها ورأسها
في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرا انس بن مالك كشجرة طيبة
ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس
اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من مررت برجل
قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة
كالتسبيح والتحميد والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله
واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك
وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة
فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول
الله ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني
لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها
النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود لم يرد
المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي

ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في
ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي
صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك
وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل
والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة اصلها ثابت ومعنى اجتثت
استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشيء
قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي
يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول
في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى
يوافي بها القيامة القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه واعتقله
واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم
اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس
وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم
ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن
البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في
جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي
الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد
كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا
يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الاخرة اضل وازل ويفعل الله ما
يشاء اي ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم وعصمتهم
عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم بدلوا نعمة
الله كفرا اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم
غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر
رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما

حيش
بينهم

كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل
مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة
الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين
فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا
وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم
الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم من تابعهم
على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان وقرئ ليضلوا
بفتح الياء وضمها فان قلت الضلال او الاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام
قلت لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني
نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم
لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم آمر
مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم
على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية
ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه
وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلاة وينفقوا ويجوز ان يكون يقيموا وينفقوا
بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل
عوض عنه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام نصب
سرا وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي
وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع
به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق
وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود
المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا
بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة
تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله

في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات
والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله
مبتدا والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من
الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق
بامره بقوله كن دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان
من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم
وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ
من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز
ان تكون موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم
سألتموه او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا
اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله لظلوم
كفار يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع
كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان فيه
هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب دعوة خليله ابرهيم
آمنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد
امنا قلت قد سال في الاول ان يجعله في جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون وفي الثاني
ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله
آمنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل
الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني ثبتنا وادمنا على
اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب
الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة
البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا
يقال دار بالبيت انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما
جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم

اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو
بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض
المومنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له
ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما
دون الشرك ربنا اني اسكنت من ذريتي بعضا وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير
ذي زرع لا يكون فيه شي من زرع قط كقوله قرانا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج
ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به
وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشي المحرم الذي
حقه ان يجتنب او لانه محرم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه
كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلاة اللام متعلقة باسكنت اي
ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم
ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها
على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف
به والركوع والسجود مستنزلين الرحمة التي اثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس افئدة
من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم
عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى العجم والترك والهند ويجوز ان
تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت
المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الاية نكرة لتتناول بعض الافئدة
وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم ادر في ادور
والثاني ان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة وجماعات يرحلون اليهم
ويعجلون نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان يطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان
تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا
ونزاعا من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البنا للمفعول
من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى ينزع فعدي تعديته
وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شي منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون

النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرات في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء
لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما امنا تجبى اليه ثمرات كل شي رزقا من لدنه
ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي
اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي
اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في
يوم واحد وليس ذلك من اياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه
وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من ذلك القلب السليم
الندا المكرر دليل التضرع واللجا الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما
تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا
وما يصلحنا وما يفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعا
والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا
الى ما عندك واستعجالا لنيل ايادك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده
رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم
فابطا عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن
حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد
لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكا والدعا وقيل ما نخفي من كابة الافتراق وما نعلن
يريد ما جرى بين ابرهيم وبين هاجر قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم
قالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شي
من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون او من كلام
ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شي في كل مكان ومن للاستغراق كانه
قيل وما يخفى عليه شي ما على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله
اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب
لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق
وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين
وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبعة عشر سنة وانما ذكر حال الكبر

ذي
زا

لان المنة في هبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر
بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن
كانت اية لابرهيم ان ربي لسميع الدعا كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي
من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعا اجابه
او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن
حمده ومن الحديث ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران فان قلت ما هذه
الاضافة اضافة السميع الى الدعا قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع
الدعا وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا
ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من
اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعا الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع
الله ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام
الله انه يكون في ذريته كفار وذلك لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعاي اي عبادتي
واعتزلكم وما تدعون من دون الله في قراءة ابي ولابوي وقراءة سعيد بن جبير ولوالدي على
الافراد يعني اباه وقرا الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو
والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف
ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وهما كافران قلت هو من مجوزات
العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه ادم وحوا وقيل بشرط
الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان
استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى
فيه بابرهيم يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل
عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها
كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون
مثل واسال القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سال فلم يعبد احد من ولده صنما
بعد دعوته وجعل البلد امنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم
الصلاة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه قال كانت الطائفة من ارض

فلسطين

بفلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الاية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا
للحرم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف تحسبه رسول الله وهو اعلم
الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان
احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها اخر كما جاء في الامر يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والثاني ان
المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يعمل الظالمون لا يخفى عليه منه شي وانه
معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد
الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة
الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا
لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل
له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه
الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل
الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤوسهم رافعيها لا
يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة
من غير تحريك للاجفان او لا يرجع نظرهم اليهم فينظروا الى انفسهم الهوا الخلا الذي لم
تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هوا اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراة
ويقال للاحمق ايضا قلبه هوا قال زهير من الظلمان جؤجؤه هوا لان النعام
مثل في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هوا وعن ابن جريج افئدتهم هوا
صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة لا عقول لهم يوم ياتيهم العذاب مفعول
ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من
الزمان قريب نتدارك ما فرطنا من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم
هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقا الملائكة بلا بشرى
وانهم يسالون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
او لم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما
استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا

فلا
ده

تزولوا بعيدا وما لكم جواب للقسم وانما جا بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ
المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفنا
وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك
قر في الدار وغني فيها واقام بها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن
الدار كما قيل تبواها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمانوا
طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من
ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار
والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرى ونبين لكم بالنون وضربنا لكم
الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل
ظالم وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله
مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله
مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على
معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه ياتيهم
من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم
وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم
مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام موكدة لها كقوله وما كان
الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله
وشرايعه لانها بمنزلة الجبال الراسيه ثباتا وتمكنا وتنصره قراة ابن مسعود وما
كان مكرهم وقرى لتزول بلام الابتدا على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول
منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرا عمر وعلي رضي الله عنهما وان كاد مكرهم مخلف
وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي **فان قلت** هلا
قيل رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول **قلت** قدم الوعد ليعلم انه لا
يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليوذن انه اذا لم يخلف

وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرى
مخلف وعده رسله وهذه في الضعف كمن قرا قتل اولادهم شركايهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام
لاوليايه من اعدايه يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم ياتيهم او على الظرف من
للمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات
والتبديل التغير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا
غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها
وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاوليك يبدل الله سياتهم
حسنات واختلف في تبديل السموات والارض فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض
جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض
وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم
وتبدل السما بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها
ابوابا وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس على ارض بيضا لم يخطى
عليها احد خطية وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن
الضحاك ارضا من فضة بيضا كالصحايف وقرى يوم نبدل الارض بالنون **فان قلت** كيف
قال الواحد القهار **قلت** هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا
كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في
غاية الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين او قرنت ايديهم
الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما
ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد
لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق
القطران فيه ثلث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون
الطا وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب
بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار
وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاوه
لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع

النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت
بين النارين وكل ما وعد الله او اوعد به في الاخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا
يقادر قدره وكان ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمه فبكرمه الواسع نعوذ
من سخطه ونساله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرى من قطر آن والقطر النحاس او الصفر
المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سو العذاب
يوم القيمة يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه
كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافيدة وقرى تغشى وجوههم النار بمعنى تتغشى
اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة
ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين باجرامهم علم انه يثيب المطيعين بطاعتهم هذا بلاغ للناس
كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب
ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ وقرى بفتح اليا من
نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم
المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد
الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والكتاب
والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك ايات الكتاب الكامل
في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال **فان قلت** لم دخلت
على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي **قلت** لان المترقب في اخبار الله بمنزلة
الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود **فان قلت** متى تكون ودادتهم
قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا راوا المسلمين
يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة **فان قلت** فما معنى التقليل **قلت** هو
وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل
ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا

فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلا يتحرزون من التعرض للغم المظنون
كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الاية لو كانوا
يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل
ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جي بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم
كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قلت حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا
سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في
بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوايهم ودعهم
عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة كلهم يتمتعوا بدنياهم وتنفيذ
شهواتهم وليشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا
يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سو صنيعهم والغرض الايذان بانهم من
اهل الخذلان وانهم لا يجي منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون
به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله ان يخليهم وشانهم
ولا يشتغل بما لا طايل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة
وفيه الزام الحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ
والتنعم وما يودي اليه طول الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق
المومنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين ولها كتاب معلوم جملة
واقعة صفة لقرية والقياس ان لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله وما اهلكنا من قرية
الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال
جاني زيد عليه ثوب وجاني وعليه ثوب وكتاب معلوم مكتوب معلوم وهو
اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها
وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستاخرون بحذف
عنه لانه معلوم قرا الاعمش يا ايها الذي القي اليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه
الاستهزا كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول
الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزا والتهكم مذهب
واسع وقد جا في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد

وقد تو حلت في كثير كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل
عليك الذكر لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشي لوجود غيره ومعنى
التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل
لولا الحيا ولولا الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عودي والمعنى هلا
تاتينا بالملئكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على اهل الانذار كقوله لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا وهلا تاتينا بالملئكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت
صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلنا قرى تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البنا
للمفعول من نزل ونزل الملئكة بالنون ونصب الملئكة الا بالحق الا تنزيلا
ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان ياتيكم عيانا تشاهدونهم وتشهدون
لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون على اضطرار ومثله
قوله وما خلقنا السموات والارض الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب وما ذا
جواب وجزا لانه جواب لهم وجزا الشرط مقدر تقديره ولو انزلنا الملئكة ما كانوا
منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها
الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات
وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ومن يديه ومن خلفه رصد
حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من زيادة ونقصان
وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها
الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القران الى غير
حفظه **فان قلت** ان كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف
اتصل به قوله وانا له لحافظون **قلت** قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده اية
لانه لو كان من قول البشر او غير اية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على
كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله كقوله والله يعصمك في شيع الاولين
في فرقهم وطوايفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا فيهم
نباناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل
على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال نسلكه الخيط



في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرى نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك
السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه نلقيه في قلوبهم مكذبا
مستهزا به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام
تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية وفي محل قوله لا يؤمنون به النصب
على الحال او غير مؤمن به او بيان لقوله نسلكه سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله
في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم
قرى يعرجون بالضم والكسر سكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او
السكر وقرى سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرى سكرت
من السكر كما يحار السكران والمعنى ان هولا المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو
فتح لهم باب من ابواب السما ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان
ما راوا لقالوا هو شي نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملئكة
اي لو اريناهم الملئكة يصعدون في السما عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل
عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول
بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار من استرق السمع في محل النصب على الاستثنا
لتحفظناها من كل شي الا من ابليس وامرتك على جميع القبايل الا على نفس المستثنى ههنا اي
محل النصب على الاستثنا كما تقول اجوزتك جميع القبايل الا قبيسا فكما ان قبيسا ليس
ببدل وانما هو نصب على الاستثنا لا غير فكذلك الواقع موقعه الذي هو من فسر ولو
حرفنا الكاتم يجوز لانه تكون من لا جنبيه والبدل لا مساغ له وعن ابن عباس انهم
كانوا لا يحجبون عن السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون بميزان الحكمة
وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب
النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها
معايش ما يعاش به من المطاعم والمشارب والملابس ونحوها فان تصريح اليا فيها خطا والصواب
الهمزة او اخراج اليا بين بين وقرى معايش بالهمزة على التشبيه ومن لستم له
برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش
ومن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم

ويخطيون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة
مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير
المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور ذكر الخزاين تمثيل والمعنى وما من شي
ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا
بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزاين مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه
قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جات بخير من انشا سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير عقيم
والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوايح يريد المطاوح جمع
مطيحة والوجه الصحيح في اللواقح والطوايح المشبهة لقوله انا ارد عاني القدر من يستعيرها
وما انشده من النحويين ان الاصل الملاقح والمطاوح فبات من التعسف ونحوه قول
ابي علي في قيد الاوابد انه محذوف من مقيد والصحيح انه القيد المعروف واللام في
الاوابد كاللام في قوله ولقد امر على اللئيم وقرى وارسلنا الريح على تاويل الجنس
فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفي عنهم ما اثبته لنفسه في قوله
وان من شي الا عندنا خزاينه كانه قال نحن الخازنون له على معنى نحن القادرون على خلقه في
السما وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار العجز ونحن
الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت
لانه يبقى بعد فنايه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعايه واجعله الوارث منا ولقد
علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين او من خرج من اصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد ومن تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المتقدمين
في صفوف الجماعة والمتاخرين وروي ان امراة حسناء كانت في بعض الصلوات خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يتقدم لئلا ينظر اليها وبعض يتاخر ليبصرها
فنزلت هو يحشرهم اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم
وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل
على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط بكل شي الصلصال الطين اليابس الذي
يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو
صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن واكماه

الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي
افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المسنن من
سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا
ما صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كاين من حما وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون
صفة لصلصال كانما افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل
ثم غيره بعد ذلك الى جوهر اخر والجان للجن كادم للناس والجان ابو الجن من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هي السموم جز من سبعين جزا من سموم النار
النار التي خلق الله عز وجل منها الجان واذ قال ربك اذكر وقت قوله سويته عدلت
خلقته واكملتها وهياتها لنفخ الروح فيها معنى ونفخت فيه من روحي واحييته وليس
ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه
كان بينهم ماموريا معهم بالسجود فغلب اسم الملئكة ثم استثني بعد التغليب كقولك
رايتهم الا هندا وابى استيناف على تقدير قول قايل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك
واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في
ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في ابايك السجود واي داع لك اليه اللام في
لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم
شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة
ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد عنها والضمير في منها راجع الى
الجنة او السما او الى جملة وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في
كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو
عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جا ذلك اليوم
عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى
واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار
الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك
وانظر الى اخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن
والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن لهم ومعنى اغوايه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لادم

فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر
الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بري من غيه ومن ارادته والرضى
به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما
اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر
قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من
التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض
في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض واتبع هواه واراد اني اقدر على الاحتيال لادم
والتزيين له الاكل من الشجرة في السما فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد
لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم
بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح
في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا
طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار
اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين
وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن
عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر
لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف
والتثقيل وقرا الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك
خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوقف مجرى الوصل المتقي على الاطلاق
من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب
تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرا الحسن ادخلوها بسلام
سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد الكامن في القلب من انغل
في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على اخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب
نفوسهم عن علي رضي الله عنه ارجوا ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث
الاعور كنت جالسا عنده اذ جا ابن طلحة مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون

مكان

انا وابوك ممن قال الله جل وعز ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل
من ان يجعلك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الاية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم
من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب
واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيث
ما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما انه ادنى في النفوس وعن ابن عباس غفور
لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب
بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان
عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليكم سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون
وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرا الحسن
لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى
اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل
للنهي عن الوجل ارادوا انك بمثابة الامن المبشر فلا توجل يعني البشرى على مس
الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون
هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم
تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شي تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة
بشي لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شي ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا
عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في
العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين
الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله عز وجل ووعده وانه قادر
على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون
بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشرون بادغام نون الجمع
في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلث في النون
اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا
له في العادة التي اجراها **فان قلت** قوله الا ال لوط استثناء منقطع او متصل **قلت**

لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام
فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه
قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
فان قلت فهل يختلف المعنى باختلاف الاستثنائين **قلت** نعم وذلك ان ال لوط
مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم
يرسلوا الى ال لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم
الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن ال
لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا
ليهلكوا هولا وينجوا هولا فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما
في الوجه الاول **فان قلت** فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين **قلت** اذا انقطع
الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بال لوط لان المعنى لكن ال لوط منجون واذا
اتصل كان كلاما مستانفا كان ابرهيم قال لهم فما حال ال لوط فقالوا انا لمنجوهم **فان**
قلت فقوله الا امراته مما استثني **قلت** فقد هو استثناء من الاستثناء في شي لان
الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا ال لوط الا
امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان
علي عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما فاما في الاية فقد اختلف الحكمان لان الا ال لوط متعلق
بارسلنا او بمجرمين والا امراته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ
لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل **فان قلت** لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها
لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب **قلت** لتضمن فعل التقدير معنى العلم
ولذلك فسر العلما تقدير الله اعمال العباد بالعلم **فان قلت** فلم اسند الملائكة فعل التقدير
وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله **قلت** لما لهم من القرب والاختصاص بالله
الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والامر
هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا
بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر
بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما

فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون
فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر
بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى روى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في
اخر الليل قال افتح الباب وانظر في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد
ما يمضي من الليل شي صالح **فان قلت** ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات
قلت قد بعث الله الهلاك على قومه والنجاة واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا
فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا
يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما
منه اي من لوط ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد
لغرض فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به
ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا انفسهم على
المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراهم كالذي يتحسر على مفارقة
وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغا ليتا واخدعا
او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت
لا بد له من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى
الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه وعدي وقضينا
بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر
بقوله ان دابر هولا مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرا
الاعمش ان بالكسر على الاستيناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هولا
ودابرهم اخرهم يعني يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم
التي ضرب بقاضيها المثل في الجور يستبشرون بالملائكة فلا تفضحون بفضيحة ضيفي
لان من اسا الى ضيفه او جاره فقد اسا اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرمه ولا تخزون
ولا تذلوني باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحيا
عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون
لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض

لهم ما عرفوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم
وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها
رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا ضيفي فلا
تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما
اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك على
ارادة القول اي قالت الملائكة للوط لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت
عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين
الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة
له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان
الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك ما اقسم به كما حذفوا
الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبريل مشرقين
داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل
ودليله قوله حجارة من طين مسومة اي معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتاملين
وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال
توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها
وان هذه القرى يعني اثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم
يبصرون تلك الاثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين اصحاب
الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا
كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه
لانها مما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين
يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه
من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر مررنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا

باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر راحلته فاسرع حتى خلفها آمنين لوثاقة
البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث
الدهر او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة
والاموال والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا ولا عبثا او بسبب العدل
والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك
واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح
فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ باية السيف
ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو
العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم
وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف
ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك
قطع الثوب الثياب سبعا سبع ايات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف
في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لا يفصل بينهما باية
التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي ال حم اراد الحواميم او سبع صحائف وهي الاسباع
والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها او من
الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للاية واما السور
والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما
فيها من الثناء كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او
للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة والطوال وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان
يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون
القران بعضها فان قلت كيف صح عطف القران العظيم على السبع وهل هو الا عطف
الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم
القران لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القران يعني سورة يوسف
واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع
لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما
متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت

يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة
وهي القران العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس
منا من لم يتغن بالقران وحديث ابي بكر من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل
مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل اتت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود
بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون
لو ان هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد
اعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم تعني ولا تتمن اموالهم
ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع
لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء الاقوياء وقل لهم
اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق
قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا عليك
مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمين الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا
بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما
فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزءون به فيقول بعضهم
سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة ال عمران لي ويجوز ان يراد بالقران ما يقرءونه
من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض
والنصارى اقرت ببعض وهذه تسلية لرسول الله عن صنيع قومه بالقران وتكذيبهم
وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم
والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب
على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع
وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين
منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين الاثنا عشر اقتسموا مداخل ايام الموسم
فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر
شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بافات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل
والاسود بن عبد المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الذين تقاسموا على ان يبيتوا

رهط

صالحا والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد
اتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى اخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم
والتاسف على كفرهم من الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها
عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى
قيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون
للساحر عاضه ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة
نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل نسألهم سؤال
تقريع وعن ابي العالية يسال العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين
فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح
بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل
بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في
المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والحرث بن طلاطلة وعن
ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر وقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت
ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما
لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت
فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني
الاسود بن عبد المطلب فعمي واشار الى انف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات والى
الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح براسه الشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القران فسبح فافزع
فيما نابك الى الله والفزع اليه الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم
ودم على عبادة ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار

والمستهزئين صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون

آية وتسمى سورة النعم بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون ما وعدوا
من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم أتى
أمر الله أي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي أنه
لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيمة قد قربت فأمسكوا عن
بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس
حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما
تخوفنا به فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا
تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ يستعجلوه بالياء والتاء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ جل
عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم شركاء أو عن إشراككم على أن ما موصولة أو مصدرية
فإن قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك
من الشرك وقرئ تشركون بالتاء والياء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل أي تتنزل
بالروح من أمره بما تحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح
في الجسد أن انذروا بدل من الروح أي ينزلهم بأن انذروا وتكون أن مفسرة لأن تنزل الملئكة
بالوحي فيه معنى القول لكم انذروا أنه لا إله إلا أنا اعلموا بأن الأمر ذلك
من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا فاتقون ثم
دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات
والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه وما لا بد له من خلق البهائم لأكله وركوبه وجر أثقاله
وسائر حاجاته وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلائقه ومثله متعال عن أن يشرك به
غيره وقرئ يشركون بالتاء والياء فإذا هو خصيم مبين فيه معنيان أحدهما فإذا هو
منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعدما كان نطفة من مني جمادا
جسما لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل
من يحيى العظام وهي رميم وصفا للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في
كفران النعمة وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم الأنعام الأزواج

الثمانية وأكثر ما تقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه
ويجوز أن يعطف على الإنسان أي خلق الإنسان والأنعام ثم قال خلقها لكم أي ما
خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان والدفء اسم ما يدفأ به كما أن الملء
اسم ما يملأ به وهو الدفاء من اللباس معمول من صوف أو وبر أو شعر وقرئ دف بطرح
الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فإن قلت
تقديم الظرف في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت
الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها من
الدجاج والبط وصيد البر والبحر فغير معتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل
أن طعمتكم منها لأنكم تحرثون بالبقر والحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون
بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها من الله بالتجمل بها كما من
بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معاظمها لأن الرعيان
إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية
وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم في عيون الناظرين
إليها وأكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة تواري سوآتكم
وريشا فإن قلت لم قدمت الإراحة على التسريح قلت لأن الجمال في الإراحة
أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها
وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون وتسرحون وصف
للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله يوما لا تجزي بشق الأنفس
بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو أن المفتوح
مصدر شق عليه شقا وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع وأما الشق فالنصف
كأنه يذهب نصف قوته بما يناله من الجهد فإن قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه
كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم قلت معناه وتحمل
أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الإبل إلا بجهد أنفسكم لا بهم
لم تكونوا بالغيه في الحقيقة فإن قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل
أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حاملها إليه قلت طباقه من حيث أن معناه وتحمل

أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على
ظهوركم أثقالكم ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس وقيل أثقالكم
أجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير
هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الأنعام أي خلقها للركوب والزينة وقد
احتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره في
الأنعام فإن قلت لم انتصب وزينة قلت لأنه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها
فإن قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لأن الركوب فعل
المخاطبين وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو أي وخلقها
زينة لتركبوها أو تجعل زينة حالا من هاء أي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما
لا تعلمون يجوز أن يكون ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من
بالأشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا
دلالة على اقتداره بالإخبار بذلك وإن طوي عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق
في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف
إليها القصد وقال ومنها جائر والقصد بمعنى القاصد وهو المستقيم يقال سبيل قصد
وقاصد مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله
قصد السبيل أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه كقوله إن علينا للهدى فإن قلت
لم غير أسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين وما
لا يجوز ولو كان الأمر كما زعمت المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر
وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم
أجمعين قسرا وإلجاء لكم منه شراب متعلق بأنزل أو بشراب خبرا له والشراب ما يشرب شجر يعني
الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت يعني الكلأ تسيمون
من سامت الماشية إذا رعت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهي من السومة وهي العلامة
لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض وقرئ ينبت بالنون والياء فإن قلت لم قيل ومن كل
الثمرات قلت لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة
يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدالة الواضحة

وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ أبي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب
بالرفع قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو على أن معنى تسخيرها للناس تصييرها
نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب
بسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات
لما خلقن له بأمره ويجوز أن يكون المعنى أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى التسخير
من قولك سخره الله مسخرا كقوله شرقه ممزقا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ
بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات
بالرفع وما قبله بالنصب وقال إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل
لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة وما
ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف
الهيئات والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيسارع
إلى أكله خيفة الفساد عليه فإن قلت ما بال الفقهاء قالوا إذا حلف الرجل لا يأكل لحما فأكل
سمكا لا يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الأيمان على العادة وعادة الناس إذا
ذكر اللحم على الإطلاق لا يفهم منه السمك وإذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذا الدرهم لحما فجاء
بالسمك كان حقيقا بالإنكار ومثاله أن الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله إن شر الدواب
عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ
والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأنهن من حليتهم ولأنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكأنها
زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء
الفضل التجارة أن تميد بكم كراهة أن تميد بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به إذا ركب
البحر قيل خلق الله الأرض فجعلت تمور فقالت الملئكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت
وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملئكة مما خلقت وأنهارا وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه
معنى جعل ألا ترى إلى قوله ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وعلامات هي معالم
الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس
كقولهم كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش
والجدي وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون

تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن
الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلا خصوصا يهتدون فمن
المراد به قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتدا بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم
لم يكن مثله لغيرهم وكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان قلت
قلت اوجه ثلثة احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى
الى قوله على اثره والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيا وهم يخلقون والثاني المشاكلة
بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا
علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها ولهم ايد واذان وقلوب لانهم احيا وهم اموات
فكيف تصح لهم العبادة لانها لو صحت لهم هذه الاعضا لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام
للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله عز وجل فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق
فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في
تسميته باسمه في العبادة وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها
بها فانكر عليهم ذلك افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم
فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من ادا الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراها
ما لا ينحصر ولا ينعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في ادا شكر النعمة ولا
يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
من اعمالكم وهو وعيد والذين تدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرى
يدعون على البنا للمفعول نفى عنهم خصايص الالهية بنفي كونهم خالقين واحيا لا يموتون
وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون
بالغيب ومعنى اموات غير احيا انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احيا غير اموات اي غير
جاير عليهم الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين
اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف
يكون لهم وقت جزا منهم على عبادتهم وفيه دليل على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف
ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على
نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها يعني ان الاموات ما يعقب موته

93

مكة الى المدينة وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر انه كان اذا اعطى
رجلا من المهاجرين عطاه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخره الله لك في
الآخرة اكثر وقيل لنبوينهم مباة حسنة وهي المدينة آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا
كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلا المستضعفين في ايديهم في
الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون
ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على هم الذين صبروا او اعني الذين
صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب
في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في
سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملايكة فاسئلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم
ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت
له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثنا مع رجالا اي وما
ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا
ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلنا فقيل بالبينات فهو على
كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اي نوحي اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على
ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله
فاسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل الكتاب
الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر
مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا لعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى
تنبيهاته فيتنبهوا ويتاملوا مكروا السيات اي المكرات السيات وهم اهل
مكة وما مكروا به رسول الله في تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم واسباب
دنياهم متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم بالعذاب وهم متخوفون
متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من تخوفته وتحوفته اذا
تنقصته قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
اي ياخذهم على ان ينقصهم شيا بعد شي في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر انه

قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال
فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس
عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم
فان ربكم لرؤف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم قرى اولم تروا وتتفيؤا بالتا
والتا وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شي يتفيؤا ظلاله والمعنى الايمان وسجدا
حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل
له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلا او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى
اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمايلها اي عن جانبي كل
واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشي اي ترجع الظلال من جانب
الى جانب منقادة لله عز وجل في افعاله فيها لا تمتنع من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات
وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون
بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملايكة وكرر ذكرهم على معنى والملايكة خصوصا من بين
الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملايكتهن وبقوله والملايكة
ملايكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام
خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم
وعبادتهم وبسجود غيرهم انقيادها لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين
يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جي
بمن دون ما تغليبا للعقلا من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جي بمن لم يكن فيه دليل على التغليب
فكان متناولا للعقلا خاصة فجي بما هو صالح للعقلا وغيرهم ارادة العموم يخافون يجوز ان
يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خايفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار
وتاكيدا له لان من خاف الله لا يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافون
ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان
الملايكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كساير المكلفين وانهم بين الخوف
والرجا فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما ورا الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال
ثلثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس

94

وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقول رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه
قوله الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيين على الجنسية
والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد
شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده
بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل الكلام عن الغيبة
الى التكلم وجاز لان الغالب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من
قوله واياه فارهبوه من ان يجي ما قبله على لفظ التكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف
والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة على كل منعم عليه ويجوز ان
يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزا دايما
ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شي حل بكم واتصل بكم من
نعمة فهو من الله فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت بالدعا والاستغاثة
قال الاعشى يصف راهبا يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا
وقرى تجرون بطرح الهمزة والقا حركتها على الجيم وقرا قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى
فعل وهو اقوى من كشف لان بنا المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا
فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما
ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال
فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا
فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرى فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وا
فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر لما لا يعلمون اي لآلهتهم
ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله
وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا تضر ولا تنفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا
يعلمون للآلهة اي لاشيا غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم
وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسئلن وعيد عما كنتم تفترون
من الافك في زعمهم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها كانتخراعة وكانه يقول الملايكة

بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون
يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات
اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى
بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود
الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المراة يتوارى من القوم يستخفي
منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على
هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على
التانيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هو محال لله عز وجل
ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى
الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح
البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد
الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها اي على الارض من دابة قط ولاهلكها
كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال
بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره
بذنب ابن آدم او دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك
الآباء بكفرهم لم تكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء
في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له اراذل اموالهم
ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى
ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا
قال الله هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال
الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك
الموقف وقرا هذه الآية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى
بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون قرئ مفتوح الراء
ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت
فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته

ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم
فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم
في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا او بمعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم
الحال الآتية وهي حال كونهم معه في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي
هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة
معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب
ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل
فاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء
من التحريم والتحليل والانكار والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع
بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة
على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين
فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل
وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم
وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقيل
نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه
وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك
كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه
لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في
العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف
حكمته لمن تفكر وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز
اللبن من فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ
بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت
الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية
لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقوله

سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا
من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر لكان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج
بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وانه
ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت
بم يتعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات
النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه
سكرا بيان وكشف عن كيفية الاسقاء ويتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد في
قولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان
من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا
لانهم كانوا ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير في منه
اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله او هم
قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد
رشدا ورشدا قال وجاؤونا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي
وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي
والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر
اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج
بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد
صنف شيخنا ابو علي الجبائي رحمه الله غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت
منه السن العالية قيل لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله
فقال تناولته الدعارة فيسمج في المروءة وقيل السكر الطعم وانشد
جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك
في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب ويجوز ان
يجعل السكر رزقا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الايحاء الى النحل
الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا
فتنبهها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة

على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم وقرا يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين
وقرئ بذكر النحل وتانيثه على المعنى ان اتخذي هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا
بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها ويرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل
في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما
معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت
اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبل وفي كل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها
من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة
تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي
ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا في اجوافك ونوافذ
ماكلك او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك
لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني ان النحل ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في
طلب النجعة واراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك
ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها ووطاها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة شراب
يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس
لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه
العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي
فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال
ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكانما انشط من
عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم
بالشفائين القرآن والعسل ومن بدع تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال
عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما
يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم الى ارذل
العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي وتسعون سنة وعن قتادة لانه لا يعلم

اشتوا حالا بعد عمر الهرم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان
وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل يعقل بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا
يعلم زيادة علم على علمه فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم
افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه
عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تكسون واطعموهم مما تطعمون فما روي عبده بعد ذلك الا
ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جحود النعمة
وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت
به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء
فلا تحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه لهم على
ايديهم دقيق يجحدون بالتاء والياء من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حوا من ضلع ادم والحفدة
جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد
قال حفد الولايد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الاختان
على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم
حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله
سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما
طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها
وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه
شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم يكفرون بها
منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم
البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت
المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام يتيما على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان
شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا لا يملك اي لا يملك شيئا من الملك من السموات والارض بيانا لان
صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الالهة بعد ما قيل لا يملك على
اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيعون هم مع انهم احيا متصرفون اولو الباب من

ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك
وهل هما الا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا
والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة
التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك منهم ولا يستتب فلا تضربوا
لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة
ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على حسب الاثم
وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجراكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك
ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف
تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين مملوك عاجز عن التصرف وبين حر
مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على
شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما
جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعله غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على
التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن
رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان
تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد
الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقيل وعيال على من يلي امره ويعوله
اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي
هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو
في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض
على عباده ويشملهم من اثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات
لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما توجه بمعنى اينما يتوجه من قولك وجه بمعنى توجه وقرا ابن
مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب
فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب
عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان
تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه

ونحو قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات
من الاولين والاخرين يكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم
الساعة ويبعث الخلق لانه من بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال امهاتكم بضم
الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة
قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق
المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل
لكم معناه وما ركب فيكم هذه الالات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل
به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة
في غراب وهي من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء
شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى وقرئ الم تروا بالتاء والياء مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت
العلو واللوح مثله والسكاك ابعد منه ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله
بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول
وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا وهي القباب والابنية من الادم والانطاع
تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او
هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به
الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون
مما خلق من الشجر وسائر المظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال
والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها
تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا
وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم يريد الدروع والجواشن
والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه الفايضة
فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم

وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت
ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله
التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي
من الله ولكنها بشفاعة الهتنا وقيل انكارهم قولهم لولا فلان لما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما
لا يجوز التكلم بمثل هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها
واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم
قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف
لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن
للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذلك
الخنس ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست
بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء بما هو اطم
منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف
تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك اذا راوا العذاب بغتهم
وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الاية ان ارادوا
بالشركاء الهتهم فمعنى شركاؤنا الهتنا التي دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم
في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعو بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انهم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على
الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم لم تكن عبادة والدليل قول الملائكة كانوا يعبدون
الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم
شركاء والهة تنزيها لله عز وجل عن الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين
في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل
والقوا يعني الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في
الدنيا وضل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم
وتبرؤوا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما
ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع

اخوان للشفعة فيجير صاحبها لحينها الرعين وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة
برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من
انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك تبيانا
بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن **فان قلت** كيف
كان القرآن تبيانا لكل شيء **قلت** المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها
واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا
على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته
اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا
وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد
مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه
على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما
جميعا لان الفرض لا بد ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت فقال افلح ان صدق فعقد الفلاح
بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فلا ينبغي ان يترك
ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفحشاء ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول
والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي رضوان الله عليه
اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها
نكالا وغضبا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن
مظعون عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام الى نزول الآية ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم
الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان
الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمرأة التي انحت على
غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت
سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت
هي تغزل وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال دخلا احد

مفعولي اتخذ ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودخلا ان تكون امة بسبب
ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة جماعة المؤمنين
انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر
أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون
بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من
مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار
وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم
عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى
ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء
من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما
اثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم
ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل
الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها
سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان
لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا
من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا
بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم
ويمنونهم ان رجعوا انما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم
من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون
والياء الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام **فان قلت** لم وحدت القدم
ونكرت **قلت** لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف
باقدام كثيرة **فان قلت** من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما **قلت** هو
مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى
على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله
ولنجزينهم وعدهم الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة

وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا
مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله واما الفاجر
فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه
وعن ابن عباس الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل
حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب
والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك
اذا اكلت فسم الله **فان قلت** لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل **قلت** لان الفعل يوجد عند
القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن
عبد الله بن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من
الشيطان الرجيم فقال يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل
عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون
منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون
الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الآية مكان الآية
هو النسخ والله ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون
مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما
يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن
فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من
اصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق
بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا
الهوان والمشقة **فان قلت** هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله
ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس **قلت** فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه
بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله فاما
الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها نزله يعني وما فيها
من المنزل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح

كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل
اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس والمقدس
المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة
يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا
والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل
الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير
تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت
بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه
عائش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان
جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله اذا
مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان
الفارسي واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة
فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه
ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل
الذي يميلون اليه قولهم عن الاستقامة لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن
اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان **فان قلت** الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي ما محلها **قلت** لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث
يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان
الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل
الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم
انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة
الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او اولئك هم الكاذبون على
الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او اولئك الذين عادتهم
الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم

انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بايات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا
بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم
يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اى طاب به نفسا واعتقده فعليهم
غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذى هو اولئك على واولئك هم من كفر بالله شرطا
مبتدا وحذف جوابه لانه جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من
اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روى ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا
عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره واجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد
للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد
ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر
وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول
الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه
فاتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد
لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما
وهاجرا **فان قلت** اى الامرين افضل فعل عمار ام فعل ابويه **قلت** بل فعل ابويه لان في
ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال
لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما
تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه
فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق
فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب لحقهم بسبب استحبابهم الدنيا
على الاخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين
لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك لدلالة
على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم
بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا
منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء
للفاعل اى من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعد هذه الافعال

بعد ايمانه ويجوز
ان ينتصب على الذم
وقد جوزوا ان يكون
من كفر بالله

في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
وقيل هم الثلاثة اى كونوا مثلهم في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب
اى كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل
لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد
احدكم صبيه ثم لا ينجز له اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا
بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه في البأساء والضراء وان يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط
واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها
عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت
فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان
يربؤوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح
لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان
لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا
تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيلهم واخفاف رواحلهم
وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم
شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح استوجبوا
الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة
لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر
كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا
مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم وينكيهم
ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود
ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة
ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم
وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد
ابو بكر الصديق المهاجر بن ابي امية وزياد بن لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس
فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرا عبيد بن

عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماء وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا
كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي
كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه
الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم الا
كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم
متعلق بكتب اى اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء اللام لتاكيد النفي والمعنى ان نفير الكافة عن اوطانهم
لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب
التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة
ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم
النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه وليتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها
ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة
لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر
والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم
بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة
جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله
عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا
عملا صالحا ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث بعثا بعد غزاة
تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الايات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى
النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة
منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد
الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق
الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم
النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة
النافرة الى المدينة للتفقه يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة
قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين

وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل
هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا سكان الشام والشام اقرب
الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من يليهم ما لم
يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم
وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة
ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة
والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله مع المتقين ينصر
من اتقاه [illegible] على عدوه فمنهم من يقول فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته
هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة
العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرا عبيد بن عمير ايكم بالنصب على
اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا لانها ازيد لليقين
والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع
على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما
جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم وقرئ
اولا يرون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا يتوبون
ولا ينتهون من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته
وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون
انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر
على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في
تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت
سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في
قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا
من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة

من النابح بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم
ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم
حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم
ومن غيركم رؤف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنها وقيل لم يجمع الله اسمين
من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله رؤف رحيم فان تولوا
فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم
ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي الله عنه العرش
لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب آخر اية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما نزل علي القرآن الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة
براءة وقل هو الله احد فانهما نزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك اشارة
الى ما تضمنته السورة من الايات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها
ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى
وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها
الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما
وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء
والاجود ان تكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب **فان قلت** فما معنى اللام في
قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين اكان عند الناس عجبا **قلت** معناه انهم
جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم
وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من
افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله
الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وان ينذرهم بالنار ويبشر بالجنة وكل
واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله

تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار
لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من
تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على
الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في
العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول
ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر
الناس وان لهم الباء معه محذوفة قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة
كبيرة **فان قلت** لم سميت السابقة قدما **قلت** لما كان السعي والسبق بالقدم سميت
المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان
صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل
وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا الكتاب وما جاء به محمد لسحر
ومن قرأ الساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم
به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر يدبر يقضي ويقدر
على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعله المتحري للصواب الناظر في الامور وعواقبها
لئلا يلقاه ما يكره آخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض
والعرش **فان قلت** ما موقع هذه الجملة **قلت** قد دل بالجملة قبلها على عظمة
شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء
على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور
من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة
والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن ذلكم
اشارة الى المعلوم بتلك الصفة من العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به
هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه
من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى التفكر والنظر
ينبهكم على الخطا فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه

فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد
لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع
اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم
وقرئ انه يبدأ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد
الله وعدا بدء الخلق واعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ
الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق
كقوله احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا علي رقيب وقرئ حق انه
يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى
ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم او بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين امنوا
وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لـ
انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء
لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل
في عاق عقي والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى قدر مسيره منازل او
ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا
ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء خص المتقين لانهم
يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا
ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن
التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا
الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا واثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله
ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها
فبنوا شديدا واملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة
على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا
لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الاخرة بنور
ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له

انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة
سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار **فان قلت** فلقد دل بهذه
الاية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية التوفيق والنور يوم القيامة هو
ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح
فصاحبه لا توفيق له ولا نور **قلت** الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها
بين الايمان والعمل الصالح كانه قيل ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم
اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل وهو بين واضح لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم لان
اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد
ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون على معنى ان لا
تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة
انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا
مكاء وتصدية واخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب
العالمين ومعنى تحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم
اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد
لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله
بالتشديد ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر تعجيلهم الخير فوضع استعجالهم
بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى
كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني
ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم
لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره
قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم **فان قلت** كيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا وما معناه **قلت** قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل فكانه قيل ولا
نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة
مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي
دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما **فان قلت** فما فائدة ذكر هذه الاحوال **قلت** معناه

ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته
كلها ان كان منبطحا عاجزا عن النهوض متخاذل النوا وقاعدا لا يقدر على القيام
او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها
والمسحة ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش
ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون
عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى
قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه
لا عهد له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كذلك
مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه
وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما ظرف
لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد
على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا
وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم
وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب
في اهلاكهم تكذيبهم للرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة
الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة
على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم
الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد
القرون التي اهلكنا لننظر كيف تعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب
عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه
عامله **فان قلت** كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة **قلت** هو مستعار
للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه
غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن
آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب
اية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامر ان يجيب عن التبديل لانه داخل

تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان اية عذاب اية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الالهة
واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل لي كقوله
ما يكون لنا ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح
التاء من غير ان يامرني ربي بذلك ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتي ولا اذر شيئا الا متبعا الوحي
الله واوامره ان نسخت اية تبعت النسخ وان بدلت اية تبعت التبديل وليس الي نسخ
ولا تبديل اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم
فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز حين اتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا
قلت بلى ولكنهم لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون
افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمون انه كان قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم
بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز
فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من
جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله **قلت** يرده قوله اني
اخاف ان عصيت ربي **فان قلت** فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وامكرهم في هذا
الاقتراح **قلت** الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه
من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه اخر واما اقتراح التغيير والتبديل
فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا
منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه
على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا
عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء
ساعة في عمره ولا نشا في بلد فيه علماء فيقرا عليهم كتابا فصيحا يبهر كل كلام
فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الاصول والفروع واخبار
ما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين
سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك
ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على
لساني وقرا الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته

وارضيته ويعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادراتكم به
بالهمزة وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قالوا لبات الحج ورثات
الميت وذلك بان الالف والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة
انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادراته اذا جعلته دارئا
والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير
ولادراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم
ولا علمكم به على لسان غيري ولكنه من على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة
ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد
اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه
ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس
الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة
الافتراء اليه ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في
قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ما لا
يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا على ضر وقيل ان عبدوها
لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة
معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة يعبدون العزى
ومناة وهبل واسافا ونايلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن
النضر بن الحرث اذا كان يوم القيمة يشفع لي اللات والعزى اتنبئون الله
بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم
يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما
يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه **فان قلت** كيف انبأوا الله بذلك
قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان
الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه
كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبيونه بالتخفيف وقوله في السماوات ولا
في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم تشركون قرئ

بالتاء والياء وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما
كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير اختلاف بينهم وذلك
في عهد ادم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا
ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا
فيما اختلفوا فيه ولتميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون
هذه الدار دار تكليف وتلك الدار دار ثواب ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه
ارادوا اية من الايات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الايات
العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن اية باقية على وجه الدهر
غريبة بديعة في الايات دقيقة المسالك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول
وكانه لم ينزل عليه اية قط حتى قالوا لولا انزل عليه اية واحدة من ربه وذلك لفرط
عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص
بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الايات
المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من
المنتظرين لما يفعل الله بكم بعنادكم وجحودكم الايات سلط الله القحط على اهل
مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون
في ايات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه واذا الاولى للشرط والثانية
جوابها وهي المفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية المكورة المطوية
الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم **فان قلت** مما وصفهم
بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا **قلت** بلى دل على ذلك كلمة المفاجاة
كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان
يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى
دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام ان
رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم
وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة ان
الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون

مطرنا بنو كذا وقرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم
بشر تنتشرون **فان قلت** كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير
في البحر انما هو بالكون في الفلك **قلت** لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن
مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا
وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن
بالهلاك والدعاء بالانجاء **فان قلت** ما جواب اذا **قلت** جاءتها **فان قلت** فدعوا
قلت بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به **فان قلت**
ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة **قلت** المبالغة كانه يذكر لغيرهم
حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح **فان قلت** ما وجه قراءة ام
الدرداء في الفلكي بزيادة يا النسب **قلت** هما زايدتان كما في الخارجي والاحمري ويجوز
ان يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك
لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء للفلك ايضا لان الفلكي
يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان
من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له
الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة
القول او لان دعوا من جملة القول يبغون في الارض يفسدون فيها ويعبثون مترامين
في ذلك ممتعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد **فان قلت** فما معنى قوله
بغير الحق والبغي لا يكون بحق **قلت** بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم
دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني
قريظة قرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب **فان قلت** ما الفرق بين القراءتين **قلت**
اذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم
ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة
الحياة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة ومعناه انما بغيكم وبال
على انفسكم ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع
الحياة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن

النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا
تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا
البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن
ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المامون يتمثل بهذين البيتين في اخيه

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم
على انفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض
نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف
وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط
بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها
على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت
بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغمت وبالاصل قرا عبد الله وقرئ
وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت
بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون
لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم
انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه
واستيصاله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم ينبت على حذف المضاف في هذه
المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرا الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف
المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قرا على المنبر كان لم تتغن بالامس من قول
الاعشى طويل الثواء طويل التغني والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل
كان لم تغن آنفا دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة
لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم
الا قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم
لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا

المهتدون للحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهو التفضل ويدل
عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة
وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة
ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان
تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت
المجبرة والمشبهة ان الزيادة النظر الى وجه الله وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل
الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب
اليهم منه لا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان
وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى
الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة **فان قلت** فما وجه قوله والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم **قلت** لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا
على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي تجازى
سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على
عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه
دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء
من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن
عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا بالسكون
من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم
قطع من الليل مظلم **فان قلت** اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه **قلت** لا
يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف
كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا مكانكم
لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد
قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل
فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل
التي كانت بينهم تعالى نجمع بينهم في الموقف ونتبرأ شركاؤهم منهم ومن عبادتهم

يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله
الله يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة تأتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء يعني ان تاتيهم
لقبض الارواح او يأتي امر ربك العذاب المستاصل او القيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل
من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا جزاء سيئات
اعمالهم كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم
من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء
بهم وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله
وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرها ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل
وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما
نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء
الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من
افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على
جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد امددنا ابطال قدر السوء
ومشيئته الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة
الله واجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه
من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف
لانه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى
لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر
عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت
عليهم الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث
لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى اي لا يقدر احد على هدايته وقد
خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو
نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة
ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرا لا يهدى على البناء للمفعول

وفي قراءة عبد الله يهدّي بادغام تا يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرأ
ان تحرص بفتح الراء وهي لغة واقسموا بالله جهد ايمانهم معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما
كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا تدوينا لذنوبهم على مشيئة الله
وانكارهم البعث مقسمين عليه بلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وعدا عليه مصدر
مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق واجب عليه في
الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب
على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي
يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين الذي يختلفون فيه هو
الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم
لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه
ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب قولنا مبتدأ
وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا
وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فيحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان
مراد الله لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند
امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور
على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ
فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه واصحابه ظلمهم
اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين
ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله
كلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال
لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر
فلما رآه ابو بكر قال ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف
الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف في الله في حقه ولوجهه
حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم
ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل

فان لم يستجيبوا لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه
وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا
الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك انه لا اله الا الله
وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون بالاسلام
بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه
فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند
الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون نوف اليهم نوصل اليهم
اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق
وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن
وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال وقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان
جريء وقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا
رحما عجل جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله
عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وقرئ الحسن نوفي بالتخفيف
واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي وحبط ما صنعوا
فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به
الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان
عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على
الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وينتصب
بيعملون ومعناه باطلا اي باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا
ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على
بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا
بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على
برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك
البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من

القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اي
ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه
على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن
كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة
اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني
من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن
ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده فلا تك في مرية
وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في
الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكاذبون
على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فوا خزياه وافضيحتاه
والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف ويبغونها عوجا يصفونها
بالاعوجاج وهي مستقيمة اي يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد
كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون
الله في الدنيا ان يعاقبهم في الدنيا لو اراد عقابهم وما كان لهم من سواه من ينصرهم منه
ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام
الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم
لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة
يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل
لسان هذا كلام لا استطيع اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان
لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة
من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا
انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة
وشفاعتها لا جرم فسروا في مكان آخر هم الاخسرون لا ترى اخسر ابين خسرا منهم

واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت
وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدنيء الخبيت وقيل التاء فيه بدل من الثاء مثل الفريقين
الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق
وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف
والعناب وان يشبهه بالذي جمع العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان يكون
الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب
هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها انا ارسلنا نوحا اني لكم نذير ومعناه ارسلناه
ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح
كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة
القول ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون
ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم
فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو
المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده الملأ الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا
اذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالامر لانهم ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها
او لانهم متمالؤون اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس
ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم
احق منهم بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب
انك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم
علينا من فضل وارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل
كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ بادي الرأي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك
اول الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف واصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت
حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما
هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم
في الاسباب الدنياوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا
فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك

لم

ذلك ويسوّون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زلّ عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرّب احدا من
الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا عن ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل
لها على ان الانبيا بعثوا مرغّبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهّدين فيها مصغّرين لشانها
وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة
عند الله من فضل من زيادة شرف علينا تاهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما
تدعونه ارايتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي
وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة
المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على
الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدّر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه
للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعمّيت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابيّ
فعمّاها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة
ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة
فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة
ابيّ قلت المعنى انهم صمّموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية
تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها
ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء
بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها
ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه
ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند
الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة
الشعر والضمير في قوله لا اسالكم عليه راجع الى قوله اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا
الا الله وقرئ وما انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قوله
انهم ملاقوا ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم
على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منه وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك
مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق قلوبهم

واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الآية وهم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة
تجهلون تسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا
او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان
طردتهم وكانوا يسالونه ان يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء
اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اقول
انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى
تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى
الكذب والافترا او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضماير قلوبهم ولا اقول اني
ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان
الله لن يؤتيهم في الدنيا والآخرة خيرا لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم
اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدرا افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى (زري)
به قصّر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فاكثرت معناه اردت
جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جادل فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا
من العذاب المعجل انما ياتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به
وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس فاكثرت جدلنا
فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم (يكم)
جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما
وصل الجزا بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت ما
معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله تعالى من الكافر الا (صرار)
فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب
ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى
الفصيل اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي
لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وساير الطافه كيف ينفعكم نصحي فعلي اجرامي
واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحوه جرم

واجرام وقفل واقفال ونصرا الجمع ان فسره الاولون بآثامي والمعنى ان صح وثبت
اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتالبوا
علي وانا بريء يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد
الافترا الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم لن يؤمن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال
الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد
للتوقع وقد اصاب محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال
ما تقسم الله اقل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه
من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم باعيننا في
موضع الحال يعني اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله اعينا تكلؤه
ان تزيغ في صنعته عن الصواب وان لا تحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا
وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع وعن ابن عباس لم يعلم صنعة الفلك فاوحى الله
اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطاير ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك
واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق
قد وجب ذلك وقضي به القضا وجف القلم ولا سبيل الى كفه كقوله يا ابرهيم اعرض عن
هذا انه قد جا امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال
ماضية ينحر وامته ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء في ابعد موضع من
الما وفي وقت عز الما فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت
نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي
نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة
وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض
لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا وان تستجهلونا فانا نستجهلكم
في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبنا على ظاهر الحال
كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقايق وروي ان نوحا عليه السلم اتخذ السفينة
في سنتين وكان طولها ثلث مايه ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السما
ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاول

الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن
معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا
بين الرجال والنسا وعن الحسن كان طولها الفا ومايتي ذراع وعرضها ستمايه ذراع وقيل
ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها
فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا
قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن
الله فاذا هو قايم ينفض التراب من راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت
قال لا مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة
نوح قال كان طولها الف ذراع ومايتي ذراع وعرضها ستماية ذراع وكانت ثلث طبقات (ث)
طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت
فعاد ترابا من ياتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه ويعني
به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم
الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام
ادخلت على الجملة من الشرط والجزا فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع
الفلك اي وكان يصنعها الى ان جا وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع
فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه
كلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما قلت سخروا منه
اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استينافا على تقدير سوال سايل او تجعل سخروا بدلا
من مر او صفة لملا وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل
اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما
سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى
الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامراته الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساوهم وعن محمد بن اسحق كانوا
عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واجلة
واولاد نوح سام وحام ويافث ونساوهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال

وتضعهم بسم الله يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرايها ووقت ارسايها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجرا والارسا حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكانا الاجرا والارسا وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة مقتضبة من مبتدا وخبر اي بسم الله اجراوها وارساوها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراوها وارساوها اي بقدرته وامره وقرى مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرا مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله **فان قلت** ما معنى قولك جملة مقتضبة **قلت** معناه ان نوحا عليه السلم امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاونا به سكرا علينا فلا يكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما انجاكم **فان قلت** بم اتصل قوله وهي تجري بهم **قلت** بمحذوف دل عليه قوله اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها **فان قلت** الموج ما يرتفع فوق الما عند اضطرابه وزخيره وكان الما قد التقى وطبق ما بين السما والارض وكانت الفلك تجري في جوف الما كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الما **قلت** كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الما قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الها يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال

قتادة سالته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمرو بن ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبيا عليهم السلم وقرا السدي ونادى نوح ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المومنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرى بكسر اليا اقتصارا عليه من يا الاضافة من قولك يا بنيا او سقطت اليا والالف لالتقا الساكنين لان الرا بعدهما ساكنة لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحمه الله من المومنين ومكان لهم غفور رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الما قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ما دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثنا منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرى الا من رحم على البنا للمفعول ندا الارض والسما بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين ساير المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سما ثم امرهما بما يومر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشا غير ممتنعة عليه كانها عقلا مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطا والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلعت المطر واقلعت الحمى وغيض الما من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل

وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعا السو ومجي اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبريا وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماك ويا سما اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهايل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علما البيان هذه الاية ورقصوا لها رووسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان الكلام لا يخلو من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازا تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الما خمسين وماية يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشورا وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلم صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ندا ربه دعاوه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضا وعده في تنجية اهله **فان قلت** فاذا كان الندا هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفا **قلت** اريد بالندا ارادة الندا ولو اريد بالندا نفسه لجا كما جا قوله اذ نادى ربه ندا خفيا قال رب بغير فا ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفا به وقد وعدت ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحكام فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحايض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفا كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وانت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا

غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لندا نوح عليه السلم اي ان نداك هذا عمل غير صالح وليس بذاك **فان قلت** فهلا قيل انه عمل فاسد **قلت** لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيا وقرى عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح قرى فلا تسلن بكسر النون بغير يا الاضافة وبالنون الثقيلة بيا وبغير يا يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسلة دليل على ان الندا كان قبل ان يغرق حين خاف عليه **فان قلت** لم سمى نداه سوالا ولا سوال فيه **قلت** قد تضمن دعاوه معنى السوال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجا اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سوال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة وموعظة انه لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين **فان قلت** قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سواله جهلا **قلت** ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجا اهله مع استثنا من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه ان اسلك ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تادبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا وقرى يا نوح اهبط بضم البا بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرى وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فيراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتدا الغاية اي

امم ناشية ممن معك وهي الامم الى اخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع بالابتدا وسنمتعهم
وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون
الى النار وكان نوح عليه السلم ابا الانبيا والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في
السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مومن ومومنة الى يوم
القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض
ثم اخرج نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود
وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلم ومحلها الرفع على الابتدا
والجمل اخبار اي تلك القصة بعضها من انبا الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند
قومك من قبل هذا من قبل ايحاي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته
بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح
وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح عليه السلم ولقومه ان
العاقبة في الفوز والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم
على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل
منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده اخاهم واحدا وانتصابه للعطف
على ارسلنا نوحا وهو داعطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرى
غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم
الاوثان له شركا ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة
والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم في شي منها لم تنجع
ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب
الاخرة ولا شي انفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم امنوا به ثم توبوا
اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بالايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار
وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم
كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج
شي الى الما وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين
بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح

وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسايهم وعن الحسن بن علي رضي الله
عنهما انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي
فعلمني شيا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى
ربما استغفر في اليوم الواحد سبعماية مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية
فقال هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسال الرجل فقال الم تسمع قول
هود يزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا
عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم ما جيتنا
ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه
اية من ربه مع فوت اياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه
قيل وما نترك الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمومنين وما يصح من امثالنا
ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة اعتراك مفعول نقول
والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض الهتنا بسوء اي خبلك ومسك
بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سو فعلك
بسو الجزا فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من
اولئك ان سموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد
الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم سموا التايب عن ذنبه مجنونا
والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجلهم فعله على غير ما كانوا عليه في ايام جاهليته
من الموادة وما ذاك الا لعرق من الالحاد ابى الا ان ينبض وضب من الزندقة
اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ
الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا
الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم
ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الايات ان يواجه
بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك
لثقته بربه وانه يعصمه منهم ولا ينشب في مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلم
لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من الهتهم وشركهم ووثقها بما جرت

به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل
الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهدا على اني لا افعله فان قلت
هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد
صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون
بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما
وجي به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي
اني احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم الهة
من دونه او مما تشركون من الهة من دونه اي انتم تجعلونها شركا ولم يجعلها هو
شركا ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم والهتكم اعجلوا ما تفعلون من
غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم
الاقويا الشداد فكيف تضرني الهتكم وما هي الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف
تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر
توكله على الله وثقته بحفظه وكلائه من كيدهم وصفهم بما يوجب التوكل عليه
من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت
قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيلا لذلك ان ربي على صراط مستقيم
يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به
فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزا للشرط
قلت معناه فان تتولوا فلم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت
به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف
كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجي بقوم اخرين يخلفونكم في دياركم
واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار
والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك
ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف
قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على كل شي حفيظ اي رقيب عليه مهيمن
فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على الاشيا

كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين
امنوا معه قيل كانوا اربعة الاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين
اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم
السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد
بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد
بسبب الايمان الذي انعم عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم كانه
قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا
بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق
بين احد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد روساهم
وكبراهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين
لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله
والا ان تكرارها مع النداء على كفرهم والدعا عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث
على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعا بالهلاك فما معنى الدعا به عليهم
بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله
اخوتي لا يبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت
ما الفايدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفايدة فيه ان يوسموا بهذه
الدعوة وسما وتجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا
عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم هو انشاكم
من الارض لم ينشيكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاوهم منها خلق ادم
من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح
ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا
الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبيا زمانهم ربه عن
سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن
ابي سفيان انه اخذ في احيا الارض في اخر امره فقيل له في ذلك فقال ما حملني عليه الا
قول القايل ليس الفتى بفتى لا يستضا به ولا تكون له في الارض اثار

وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقا وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما
ان يكون استعمر في معنى اعمر كقوله استهلكه في معنى اهلكه والمعنى اعمركم فيها
دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضا اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين
دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره
ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله فينا فيما
بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك
وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع
رجاونا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل
كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه تعبد اباونا حكاية حال
ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفا الطمانينة
باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل ان كنت على بينة
من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال
قدروا اني على بينة من ربي وانني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في
اوامره فمن ينصرني من عذاب الله فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي غير تخسير يعني تخسرون
اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم
اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون آية نصب على الحال قد عمل
فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل **فان قلت** فبم يتعلق لكم **قلت** بآية
حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على
الحال عذاب قريب عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلثة
ايام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد
الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حول
مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم
الاربعا وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف
الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه
او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير

كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي
يومئذ قرئ بفتح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب
فان قلت علام عطف **قلت** على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال
ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذلته ومهانته
وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد
بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة وقرئ الا ان ثمودا
والثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه
للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملئكة عن ابن عباس جاء جبريل
وملكان معه وقيل جبريل وميكايل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد
عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا
عليكم سلاما سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلم وقيل سلم وسلام
كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
فما لبث ان جاء فما لبث في المجي به بل عجل فيه او فما لبث مجيه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل وا
لحبش
بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ
يقطر دسمه من حندت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل
سمين يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن
منكر ومستنكر وانكرك قال الاعشى وقال الاعشى
وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في
طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كان عادتهم انه اذا مس من يطرقهم
طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملئكة ونكرهم لانه تخوف ان
يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم تعرف فيم ارسلوا واوجس فاضمر وانما قالوا
لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم
ملئكة موجب للخوف لانهم لا ينزلون الا بعذاب وامراته قائمة قيل كانت قائمة وراء
الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله قائمة

وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث وكان ضحكها ضحك
انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك
فاني اعلم انه ينزل بهؤلا القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل
فضحكت فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحا يعقوب رفع بالابتدا
كانه قيل ومن ورا اسحق يعقوب مولود او موجود اي من بعده وقيل الورا ولد
الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الورا وكان ولد ولده وقرئ
يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن ورا اسحق يعقوب على طريقة قوله
ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الالف في يا ويلتا مبدلة من يا الاضافة وكذلك
في يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم
الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدا
وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها تسعون وتسع وتسعون سنة ولابرهيم مائة
وعشرون سنة ان هذا لشي عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة
التي اجراها الله تعالى وانما انكرت عليها الملئكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها
كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر
ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النسا الناشيات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله
وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملئكة صلوات الله عليهم في قولهم
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم رب العزة
ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته وحكمته
وقوله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب
فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات
الاسباط من بني اسرائيل لان الانبيا منهم وكلهم من ولد ابرهيم عليه السلم حميد فاعل
ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب
على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن
الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمان قلبه بعد الخوف
وملى سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة **فان قلت** اين جواب لما

هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على
الجواب تقديره اجترا على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدا فقال
يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما جي به مضارعا لحكاية الحال او على
معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم
انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المومنين اتهلكو
نها
قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم لو
كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن
فيها لننجينه واهله من قوم لوط في شفاعتهم وعن ابن عباس قالوا له ان فيها خمسة يصلون رفع
عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كانوا فيها اربعة الالف
الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اسا اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب
تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين
ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجا ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة
والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت له الملئكة اعرض
عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فايدة فيه انه قد جا امر ربك وهو قضاوه
وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال
ولا دعا ولا غير ذلك سيء بهم ساته مساءة لوط وضيق ذرعه لانهم حسبهم انسا فخاف عليهم
خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى
تشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر
هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك
اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها فقال
يوم عصيب وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون يسرعون
كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيات ومن قبل كانوا يعملون الفواحش ويكثر
ونها
فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم
حيا وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلا بناتي اراد
ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلا بناتي فتزوجوهن وكان تزويج

المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب
وابي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما
ابنتيه وقرا ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان
في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرا اطهر لكم فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على
ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هذا من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل
مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان
الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون
هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا
اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني ولا
تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا خزي
ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة اليس
منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرى ولا
تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة
امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه
مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد
علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري
وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه وكان عندهم هو الحق وان نكاح
الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا
الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة جواب لو محذوف
كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال بمعنى لو ان لي بكم قوة لفعلت وصنعت يقال ما لي به
قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لكم بها وما لي بها يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل
به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم
فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقالوا وجدت
عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن
شديد وقرى او اوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها

للبس عباءة وتقر عيني وقرى الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم
ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا
يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب
فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون عليها فنشر
جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم
فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم
يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للذي قبلها
لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره وقرى فاسر بالقطع والوصل
والا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد
اسرع من ذلك قالوا اليس الصبح بقريب وقرى الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة
من قرا الا امراتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة
عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب لا يلتفت على اصل الا
وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله
روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها
اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل
جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل
قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله
لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجيل لفلان منضود نضد في
السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب
وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما تعرف بها انها ليست من حجارة
الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من رمي به وما هي من الظالمين ببعيد وما هي من كل
ظالم ببعيد فيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل
فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة

وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز ان
يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي
اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه اني اراكم بخير بثروة وسعة تغنيكم
عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه
عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن ال فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن
ينصرنا من باس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو
فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم قلت بل وصف اليوم لان اليوم
زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا
احاط بنعيمه فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا
عن القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا
له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث
عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا
نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز حد العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف
على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه
ثلث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير
وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا ياخذون من كل شيء يباع
شيئا كما تفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون
من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز
ان يجعل التطفيف والبخس عيثا منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد
التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية
الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت
لظهور فائدتها مع الايمان لحصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقد
الايمان لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه
ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم
عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافه الى الله

الى الله عز وجل من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا
يسمى رزقا واذا اريد به الطاعات فكما تقول طاعة الله وقرى تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته
التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم
عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت كان شعيب عليه
السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم
اصلواتك تامرك السخرية والهزء والصلاة وان جاز ان يكون امرا على طريق المجاز كما كانت ناهية
في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلاة تامره بالجميل والمعروف كما
يقال تدعوه الى الخير وتبعثه عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة
آمرة على سبيل التهكم بصلاته وارادوا ان هذا الذي تامر به من ترك عبادة الاوثان
باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك بمثله فطنة فلم يبق
الا ان يامرك به امر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك
ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض
الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف
المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرى اصلاتك على التوحيد
وقرا ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به من
ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم
عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعهما وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته
الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره
فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك
يعنون ان ما يامرنا به لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني منه رزقا حسنا وهو
ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس وتطفيف
فان قلت اين جواب ارايتم وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف
وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى
اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا امركم
بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني

الى كذا اذا قصدته وانت مولٍ عنه وخالفني عنه اذا ولي عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل
صادرا عن الما فتسئله عن صاحبه فيقول خالفني الى الما يريد انه قد ذهب اليه واردا
وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان
اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح
ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت
ظرف اي مدة استطاعتي الاصلاح وما دمت متمكنا منه لا الو فيه جهدا او بدل من
الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على
ولكن الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا به كقوله ضعيف النكاية اعداءه
اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني
موفقا لاصابة الحق فيما اتي واذر ووقوعه موافقا لرضى الله الا بمعونته وتاييده والمعنى
انه استوفق ربه في امضا الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه
تهديد الكفار وحسم لاطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديته الى مفعول واحد والى
مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
ومنه قوله ولا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرا ابن
كثير بضم اليا من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي
الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته
اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا
تفاوت بينهما الا ان المشهور افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد
بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور واكثر استعمالا
وقرا ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد
قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما
يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه
قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشي بعيد او بزمان او بمكان بعيد ويجوز
ان يسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة

المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل
بهم ما يفعله البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول
لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك
على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبا بحديثه ما ادري ما تقول
او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب
الانبيا وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع
منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي
المكفوف ضعيفا كما سمي ضريرا وليس بسديد لان فينا يابا ه الا انه لو قيل انا لنراك
فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قالوا ولولا رهطك حيث
جعلوهم رهطا والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى التسعة وانما قالوا ولولا رهطك
احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك
لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل
ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك
دوننا وقد دل ايلا ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه
قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز
عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت والكلام واقع
فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله اعز عليكم من الله قلت تهاونهم
به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله
الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراكم ظهريا ونسيتموه
وجعلتموه كالشي المنبوذ ورا الظهر لا يعبا به والظهري منسوب الى الظهر والكسر
من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون محيط قد
احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شي منها على مكانتكم ولا تخلو المكانة من ان تكون
بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن
مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن

لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يوتيني الله من النصرة
والتاييد ويمكنني من ياتيه يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله
فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان تكون من موصولة
قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب
فان قلت اي فرق بين ادخال الفا ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفا وصل
ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو
جواب لسوال مقدر كانهم قالوا فما ذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت
فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفا وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما
هو عادة بلغا العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو من ابواب علم البيان
تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر
والرقيب بمعنى المراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب
كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت
قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه
ومنهم فكان القياس ان يقول من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من
ياتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث
اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب
يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين
جاتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفا قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر
الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجي بالفا الذي هو للتسبيب
كما تقول وعدته فلما جا الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم يقعا تلك المثابة
وانما وقعتا مبتداتين فكان حقهما ان يعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة
على قصة والصيحة اللازمة لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق
روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا في ديارهم
احيا متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا
ترى الى قوله كما بعدت وقرا السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناين واحد وهو

نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البنا
كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراه السلمي جا على الاصل اعتبارا
لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا
لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها باياتنا وسلطان مبين فيه وجهان احدهما ان يراد
ان هذه الايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا
لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين
لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من عقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر
بالعسف والظلم والشر الذي لا ياتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا
وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد
اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلا من يرشد
ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الايات والسلطان المبين في امر موسى
عليه السلم وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط
يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز
ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله
يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد
يستعمل في كل ما كان يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال
قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة
الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم
ولم جي بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم
فيوردهم النار لا محالة والورد المورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم
الواردة الى الما وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بيس الورد الذي يردونه النار
لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه
لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الاخرة بيس الرفد المرفود رفدهم اي بيس العون
المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الاخرة
وقيل بيس العطا المعطى ذلك مبتدا من انبا القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك

النبا بعض انبآ القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق
وبعضها عاف الاثر كالزرع القايم على ساق والذي حصد فان قلت ما محل هذه
الجملة قلت هي مستانفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم
بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم باس الله يدعون
تعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته
تتبيب تخسير يقال تبّ اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران محل الكاف الرفع
تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرا وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل
وقرى اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ
وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها
بل لكل من ظلم نفسه او غيره بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم
الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم
الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا
وما هو الا انموذج مما اعد الله لهم في الاخرة فاذا راى عظمه وشدته اعتبر به عظم
العذاب الموعود فيكون له عبرة وموعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من
الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الاخرة دل
عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس
فان قلت لاي فايدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على
ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه
الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه
ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته
ما ليس في الفعل فان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما
قلت لك ومعنى يجمعون له لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود
يوم مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرايه مجرى المفعول به كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلايق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد
بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال

في محفل من نواصي الخيل مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه
دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت
الغرض وصف ذلك اليوم بالهول العظيم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا
في نفسه فساير الايام كذلك مشهودات كلها ولكن تجعل مشهودا فيه حتى يحصل
التمييز كما ميز يوم الجمعة عن ساير الايام بكونه مشهودا فيه دونها فلم يجز ان يكون
مشهودا في نفسه لان ساير ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا وكذلك الضمير
في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني من كان منكم مريضا
حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما
يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الاجل يطلق على مدة التاجيل
كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا
حل اجلهم يراد آخر مدة التاجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نوخره
الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرى وما يوخره بالياء وقرى
يوم يات بغير يا ونحوه قولهم لا ادر حكاه سيبويه وحذف اليا والاجتزا عنها بالكسرة
كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل ياتي ما هو قلت الله تعالى كقوله عز وجل هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله او ياتي ربك وجا ربك ويعضده قراة من قرا وما يوخره بالياء وقوله
باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الساعة
فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتها
المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم ياتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير
اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشي بنفسه قلت المراد اتيان
هوله وشدايده لا تكلم لا تتكلم ونظيره قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت
كيف توفق بين هذا وبين قوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا
ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها
يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام ولا يوذن لهم وفي بعضها يوذن لهم
فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير

لاهل الموقف ولم يذكر لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر
الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لاساءته والسعيد
الذي وجبت له الجنة لاحسانه قرا العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا كما
قرى سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ
بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات
والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الاخرة وارضها وهي دايمة مخلوقة للابد
والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله
تعالى واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم
اما سما يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سما والثاني ان يكون عبارة عن
التابيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب
الى غير ذلك من كلمات التابيد فان قلت ما معنى الاستثنا في قوله الا ما شا
ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار والابد من غير استثنا قلت هو استثنا من
الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب
النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو
اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسوه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة
لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا وهو رضوان الله كما قال تعالى وعد الله
المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان
من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا
هو فهو المراد بالاستثنا والدليل عليه قوله عطا غير مجذوذ ومعنى قوله تعالى في
مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة
عطاه الذي لا انقطاع له فتامله فان القران يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه
قول المجبرة ان المراد بالاستثنا خروج اهل الكباير من النار بالشفاعة فان الاستثنا
الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترايهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى
لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليايين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها
ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا

الحديث واعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان
المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولين
صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير وذلك
خلو جهنم وصفق ابوابها واقول اما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته
بهما علي بن ابي طالب رضوان الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ
غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون لما قص قصص
عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية
مما تعبد هولا اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سو عاقبة
عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة بالانتقام
منهم ووعيدا لهم ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم يريد ان حالهم في الشرك مثل
حال ابايهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بابايهم فسينزل بهم مثله وهو
استيناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان يكون مصدرية
وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون
منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا اباهم انصباهم فان قلت
كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى في
وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا
فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القران ولولا كلمة يعني كلمة
الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية
ايضا وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين
فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطية للقسم وما مزيدة والمعنى وان
جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرى وان كلا
بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرا
ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراة عبد الله مفسرة لها وان
وان كل الا ليوفينهم وقرا الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين
كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا

كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة
التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معطوف على المستتر في استقم
وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم
انت وليستقم من تاب عن الكفر وامن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون
بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في جميع القران اية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال
شيبتني هود والواقعة واخواتها وروي ان اصحابه قالوا لقد اسرع فيك
الشيب فقال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم
فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبيا وهلاك الامم قال لا ولكن قوله
فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى
الله بصحة العزم قرى ولا تركنوا بفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حرف التا وقرا
ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البنا للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط
في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى
باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم
لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي
الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا
هذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف
بالظالم وعن الحسن رضي الله عنه جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا
ولما خالط الزهري السلاطين كتب له اخ في الله عافانا الله واياك ابا بكر من
الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت
شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس
كذلك اخذ الله الميثاق على العلما قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه
واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت
سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور

عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلاياهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون
الشك بك على العلما ويقتادون بك قلوب الجهلا فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا
عليك وما اكثر ما اخذوا فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله
فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك
تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك
فقد حضر السفر وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السما والسلام وقال سفين في
جهنم واد لا يسكنه الا القرا الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله عز
وجل من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب
هولا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله
في ارضه ولقد سيل سفين عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ما فقال لا
فقيل يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من
عذابه لا يقدر على منعكم غيره ثم لا تنصرون فان قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد
لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضا حكمته له طرفي النهار غدوة
وعشيه وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من اخر النهار من ازلفه
اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد
الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشا وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما
مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله واخره تنصب
هذا كله على اعطا المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرى وزلفا بضمتين
وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون
نحوه والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى
القربة وهو ما تقرب من اخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها
على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة اي اقم الصلاة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم
صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان
احدهما ان يراد تكفير الصغاير بالطاعات وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما
ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكون لطفا في تركها كقوله ان

الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع
التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته
فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب
فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر رضي الله عنه فاخبره فقال استر على نفسك
وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال
عمر هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضا وضوا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات
يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين
ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جا بما هو خاتمة للتذكير وهو الكرور لفضل خصوصية
ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق
بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتها عما نهيت عنه فلا يتم شي الا به
فان الله لا يضيع اجر المحسنين جا بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتها
عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون
فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القران فمعناها هلا الا التي في الصافات وما
صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعرا ولولا رجال
مومنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولوا بقية اولو فضل وخير وسمي الفضل
والجود بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل
ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم
ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية
بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقا على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه
وقرى اولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره فالمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة
وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثنا منقطع
معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في

ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله تعالى
وانجينا الذين ينهون عن السو واخذنا الذين ظلموا فان قلت هل لوقوع هذا الاستثنا متصلا
وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون
تحضيضا لاولي بقية على النهي عن الفساد الا القليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرا قومك
القران الا الصلحا منهم تريد استثنا الصلحا من المحضضين على قراة القران فان قلت
في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية
الا قليلا كان استثنا متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثنا وان كان
الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن
المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة
وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما ورا ذلك ونبذوه ورا ظهورهم وقرا ابو عمرو
في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزا ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون في القراة
المشهورة انهم اتبعوا جزا اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجا كانه قيل الا قليلا ممن انجينا
منهم وهلك السائر فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه
واتبعوا جزا كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد
واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزا الاتراف
فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاهم فان قلت فقوله
وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات
مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا
مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون [illegible]
واللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك
الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين
من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة
يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه

ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق
على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم
الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف
بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام
الاول وتضمنه يعني ولذلك التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب
مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهو قوله للملائكة
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض عن
المضاف اليه كانه قيل وكل نبا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
فوادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل
نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول
نقص ومعنى تثبيت فواده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت
للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها
ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم
وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم
نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا تخفى عليه
خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه
امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك
بغافل عما يعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء

سورة يوسف عليه السلم مايه واحدى عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه
السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله
لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين
فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين

سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انزلناه هذا الكتاب الذي
فيه قصة يوسف في حال كونه قرانا عربيا وسمي بعض القران قرانا لان القران اسم جنس
يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس
عليكم ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته القصص على وجهين يكون
مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا
اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبا والخبر بمعنى المنبا
به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد
المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا
القران اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته
اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القران مغن عنه ويجوز
ان ينتصب هذا القران بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القران
بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا
ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب
منها مقاربا لاقتصاصه في القران وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك
احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب
التي ليست في غيره والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وا
فضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص
الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القران اذا قراه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ
منه اية بعد اية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والضمير
في قبله راجع الى قوله بما اوحينا والمعنى ان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من
الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ
قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص
وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي
وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فان قلت
فما تقول فيمن قرا يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي

لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل
قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة
واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي
لانه في لغتين منها بوزن المضارع من انس واونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من
الكريم فقولوا الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
يا ابت قرئ بالحركات الثلث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء
الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث
بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت
فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد
منهما زيادة مضمومة الى الاسم في اخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت
قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت
فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك
فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها
ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلم يجز تسكينها فان قلت
يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا
قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين
العوض والمعوض عنه الا والكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على
الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو
ووجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرا
بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما
فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي
واما من ضم فقد راى اسما في آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابه
كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ اني رايت بتحريك الياء
واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذلك الى تسعة
عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم

انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت
اية عظيمة ليعقوب عليه السلم ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب
قلت روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم
التي راهن يوسف فسكت رسول الله فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان
والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راهن يوسف
والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس
والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن
سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا
صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك
ثم راى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال
له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون
سنة وقيل ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب
على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر
جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي
رايت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار
انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب قال له عند قوله اني
رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها قال رايتهم لي ساجدين فان قلت لم اجريت مجرى العقلاء
في رايتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكم
كانها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما
من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب دلالة الرؤيا على ان يوسف
يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بابائه
فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في
المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب
الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك ورياك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة

لان الواو في تقدير الهمزة فلا تقوى ادغامها كما لم يقوا الادغام في قولهم اتزر من الازار
والحجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت
هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل
الكيد مع افادة الفعل المضمن فيكون اكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك
الا ترى الى تأكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بادم وحوا وقوله لافعدن
لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورطهم من جملة ولا يومن ان
يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتبا يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه
الرويا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبر شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله
ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك
والاجتبا الاصطفا افتعال من جبيت الشي اذا حصلته لنفسك وجبيت الما في الحوض
جمعته والاحاديث الرويا لان الرويا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها
عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرويا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد
بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبيا وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها
ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث
لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى
قوله فباي حديث بعده يومنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس
بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة بان جعلهم
انبيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجا
من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق من الذبح وفداية بذبح عظيم وباخراج يعقوب
والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبيا استدلالا
بضيا الكواكب فلذلك قال وعلى ال يعقوب وقيل لما بلغت الرويا اخوة يوسف حسدوه
وقالوا ما رضي ان سجد له اخوته حتى سجد له ابواه وقيل كان يعقوب موثرا له بزيادة
المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى
الرويا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا تصبر عنه فتبالغوا في الحسد
وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل

وتهدي العالمين كما ثبت الناس بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان
محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع
في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا واكتب لنا واثبت لنا واقسم في
هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الاخرة الجنة
هدنا اليك تبنا اليك وهاد يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هايد وهو التايب
ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد واسجد كانك هدهد وقرا ابو وجزة السعدي
هدنا بكسر الها من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل
والمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامِلناها او حُركنا اليك وامِلنا على تقدير فعلنا
كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت
باخلاص الضمة فيمن قال عُود المريض وقُول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون
هدنا بالضم فعلنا من هاده يهوده عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من اشا اي
من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة واما
رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شي ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع
ولا عاصي الا وهو متقلب في نعمتي وقرا الحسن من اسا من الاساة فساكتبها هذه
الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرايل للذين يكونون في اخر الزمان من امة
محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع اياتنا وكتبنا يومنون لا يكفرون بشي منها
الذين يتبعون الرسول الذي يوحى اليه كتابا مختصا به وهو القران النبي صاحب
المعجزات الذي يجدونه يجدون نعته اوليك الذين يتبعونه من بني اسرايل مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشيا الطيبة كالشحوم
وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح وما خلا
كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبايث ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب
الخبيثة الاصر الثقل يأصر صاحبه اي يحبسه عن الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم
وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما
كان في شرايعهم من الاشيا الشاقة نحو بت القضا بالقصاص عمدا كان او خطا من غير

شرع الدية وقطع الاعضا الخاطية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب
واحراق الغنايم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطا كانت بنو اسرايل
اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته
وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ
اصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف
واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا
ترى الى تسميته الحد والحد هو المنع والنور القران فان قلت ما معنى قوله انزل
معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباه كان مصحوبا
بالقران مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا اي واتبعوا القران المنزل مع اتباع
النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه اي واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين
له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى ودعايه قلت
لما دعا لنفسه ولبني اسرايل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرايل على استجازتهم
الروية على الله وكفرهم بايات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله
والذين هم باياتنا يومنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جا به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين
لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق
بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله تعالى التي وسعت كل شي اني رسول الله اليكم
جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة
الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك
السموات والارض ما محله قلت الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي
يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف
بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض
وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو
الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحيا
والاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه

وقرئ وكلمته على الافراد وهي القران او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم
عليه السلام وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى
كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم
تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول
الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي اجريت
عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه
هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يومن بالله كاينا من كان انا او غيري اظهارا
للنصفة وبعادا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة هم المومنون التايبون من
بني اسرايل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة
العجل واستجازة روية الله تعالى ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس
بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون
او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وامن به من اعقابهم وقيل ان بني
اسرايل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا
واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا
فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من ورا الصين وهم هناك حنفا مسلمين يستقبلون قبلتنا
وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلم ذهب به ليلة الاسرا نحوهم فكلمهم
فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون فقالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فامنوا به
وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك احمد منكم فليقرا عليه مني السلم فرد
محمد على موسى السلم ثم اقراهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير
الصلوة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا
السبت وعن مسروق قرى بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني
لمن كان في مجلسه من المومنين وهل تزيدون صلاحا وكم عليهم شيا من يهدي بالحق وبه
يعدل وقيل معناه الاستفهام يعني من الذي على صفته منكم لو كانوا على طرف من
الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها لكانوا معذورين وهذا من باب
الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل افق

ويتغلغل في كل نفق ولم يترك الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملا به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سايلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم وصيرناهم قطعا اى فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرى وقطعناهم بالتخفيف اثنتى عشرة اسباطا كقولك اثنتى عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتى عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلم فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيه مجموعا وهلا قيل اثنى عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحى مالك ونهشل امما بدل من اثنتى عشرة وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تاتلف وقرى اثنتى عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربى دالج تبجسا فان قلت فهلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحا بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفا الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتى عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الثنتى عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتوام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسوا قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم

خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القايل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا وكانوا يظلمون ويفسقون من واد واحد وقرى تغفر لكم خطيياتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيتكم على البنا للمفعول وسلهم وسل اليهود وقرى واسالهم وهذا السوال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحى فاذا اعلمهم به من لم يقرا كتابهم علم انه من جهة الوحى ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية وعن ابى عمرو بن العلا ما رايت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعنى رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطيه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرى يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التا في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقرا عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرى لا يسبتون بضم اليا من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البنا للمفعول اى لا يدار عليهم السبت ولا يومرون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل واسالهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثانى فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الما وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا

كذلك نبلوهم مثل ذلك البلا الشديد نبلوهم بسبب فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحايهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لاخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اى مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اى موعظتنا ابلا عذر الى الله تعالى ولئلا ننسب في النهى عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقا وقرى معذرة بالنصب اى وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعنى اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السو واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت الذين قالوا لم تعظون قوما من اى الفريقين هم امن فريق الناجين ام من المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سايلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهى حال المنهى وان النهى لا يوثر فيه سقط عنه النهى وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على الماصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهى بك واما الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعرى ما فعل بهولا الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلنى الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروى ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا

كانها المخاض لا يرى الما من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا يقدرون على الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد فاخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له انى ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثنى عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيية فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلم فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباها من الانس والانس لا يعرفون انسباهم من القرود فجعل القرد ياتى نسيبه فيشم ثيابه ويبكى فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة والله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بيس شديد يقال بوس يبوس باسا اذا اشتد فهو بيس بوزن فعيل وبيس بتخفيف العين ونقل حركتها الى الفا كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة يا كذيب في ذيب وبيس على فيعل بكسر الهمزة وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيس يا وادغام اليا فيها وبيس على التخفيف بيس كهين في هين وبايس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البيس هو المسخ تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويوذنها بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب

بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على
اليهود إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الخراج إلى المجوس إلى أن
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر
ومعنى ليبعثن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد وقطعناهم في الأرض
أمما وفرقناهم فيها فلا تكاد تخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا بالمدينة
أو الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه
وهم الكفرة والفسقة فإن قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف
محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم
بمعنى وما منا أحد إلا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم
ينتهون فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها
ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون
عرض هذا الأدنى أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله
هذا الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو وهو القرب بمعنى أنه عاجل قريب
وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام
وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا
وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون
وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى
مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا غفران له ألم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة
ودرسوا ما فيه ما في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة
هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار يأتي على الناس زمان إن قصروا
عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لأنا لم نشرك بالله شيئا كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيه المداهنة
فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا هذه الآية والدار الآخرة خير
من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله وقرئ ادّرسوا الكتاب

وأفلا تعقلوا بالتاء وادّارسوا بمعنى تدارسوا وأفلا تعقلون بالتاء والياء فإن قلت ما موقع
قوله أن لا يقولوا على الله إلا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب
الميثاق المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب
وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا
مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن يكون أن مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم
يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق فإن قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه
قلت على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما
فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره
إنا لا نضيع أجر المصلحين والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب
كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا والثاني أن يكون
مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد
ويعضده قراءة أبي تمسكوا بالكتاب فإن قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة
ومنها إقامة الصلوات فكيف أفردت قلت إظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين
وفارقة بين الكفر والإيمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب وإذ نتقنا
الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا
نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء
من أطل عليه إذا أشرف وظنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا
أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم
وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل
خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه
فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت بها
عنا العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق شجر ولا جبل ولا حجر
إلا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه خذوا
ما آتيناكم على إرادة القول أي وقلنا خذوا ما آتيناكم أي قائلين خذوا ما آتيناكم من
الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الأوامر

والنواهي ولا تنسوه أو اذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم وارغبوا فيه ويجوز أن
يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن استطعتم أن
تنفذوا من أقطار السماوات فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة
والإنذار لعلكم تتقون ما أنتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى
وتذكروا من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من
ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلا وأشهدهم على أنفسهم وقوله ألست بربكم قالوا
بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته
وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى
فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا
شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله
وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون
فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله
إذ قالت الأنساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما
هو تمثيل وتصوير للمعنى أن يقولوا مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة
على صحتها العقول كراهة أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه أو
كراهة أن يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا
بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه
والإقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد
منصوبة لهم فإن قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عني ببني آدم أسلاف
اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها في المشركين
وأولادهم قوله أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل والدليل على أنها في اليهود الآيات
التي عطفت والتي عطفت عليها هي على نمطها وأسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية
وإذ قالت أمة منهم وإذ تأذن ربك وإذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
أفتهلكنا بما فعل المبطلون أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم

فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون
وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وأن تقولوا بالتاء واتل
عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني إسرائيل وقيل
هو من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات
بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره فأتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا
له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتّبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين
الكافرين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال كيف
أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها
لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه أخلد إلى الأرض إلى
الدنيا ورغب فيها وقيل مال إلى السفالة فإن قلت كيف علق رفعه بمشيئته تعالى
ولم يعلقه بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها
لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة
والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله
ولكنه أخلد إلى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون
ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا
لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة
كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل
عليه أو شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر
الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرك وإلا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في
الحالتين جميعا وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى
الأرض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه
أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب
منقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه أو لم يحمل عليه وقيل معناه إن وعظته فهو ضال
وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته فسعى لهث وإن تركته على حاله لهث
فإن قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب

ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه
فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود
بعدما قرؤوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه
وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص عليهم
الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو
سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الغيب فيزدادوا ايقانا
بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم
وقرأ الجحدري ساء مثل القوم والذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على
كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم
انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب
وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم تتعدها الى
غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ فاولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا من
الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا
يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا
يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وابصار
العيون واستماع الآذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانهم لا
يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم
فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان
اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان
عريقا في بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما
اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه النبي الموعود
وانهم من جملة الكثير الذي لا يكاد الايمان يأتي منهم كأنهم خلقوا للنار اولئك
كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام
عن الفقه والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل
الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه

معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان
حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين
يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه
بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم
يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نخي او ان يأبوا التسمية ببعض اسمائه الحسنى نحو ان
يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاسماء الحسنى يعني الوصف بالعدل
والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه
فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية
ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله
والعزى من العزيز قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فاخبر بان كثيرا من الثقلين عاملون
بعمل اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه
السلام وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين
الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد
درجة قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم
ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج
القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا
قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر
الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا
معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله
وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه واملي لهم
عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي متين سماه كيدا لانه

شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم محمد صلى الله
عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه
وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون
بات يهوت الى الصباح اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض
فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما
يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى
مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى او لم
ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب
فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الاجل وحلول العقاب
ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان
فان قلت بم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن
قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان
يؤمنوا قرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم
عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك
قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى
هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش
والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة
ولسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من
الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه
اي وقت واي فعل من اويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن
جني وابى ان يكون من الاين لانه زمان والاين مكان وقرأ السلمي ايان بكسر الهمزة
مرساها اي ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل
رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي
ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى

يرسيها الله انما علمها اي علم ارسائها عند ربي قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك
مقرب ولا نبي مرسل ليكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن
المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت كذلك لا يجليها لوقتها الا هو اي
لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها
بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره
الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين
اهمه شأن الساعة ويتمنى ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت
لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا
يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تأتيكم الا بغتة الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل
يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كأنك حفي عنها كأنك
عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير
عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب
واحتفاء البقل استئصاله واحفى في المسألة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر
به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وعن ابن مسعود كأنك حفي عنها
اي عالم بها مبالغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها
كأنك حفي بهم اي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى
الساعة فقيل يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة
وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت
مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كأنك حفي بالسؤال
عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذي استأثر الله
تعالى به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله
قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق
في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ولكن
اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك لنفسي

فواظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة هي نفس آدم وجعل منها زوجها هي حوا خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر فان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد آدم وان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى فلما تغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله وقد يسمع بعضهم يقول في ولدها ما كان اخفه على كبدي حين حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخراج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرئ فمارت به من المرية كقوله افتمارونه وافتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقوله اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحوا ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعا ويلتجا اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه وبري وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة

والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركا اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذا فيما آتاهما اي آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير للاولاد وآدم وحوا بريان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد

والمراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركا فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا في الولد اما جرت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبوا من الله من الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون اي صمتم عن دعائهم في انه لا فلاح لهم **فان قلت** هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية **قلت** لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من

عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرأ سعيد بن جبير ان الذين من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدوني جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا الواثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا الاصنام بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلم يسروا ولا تعسروا وقال

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا او كرها وامر بالعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما تسوء منهم وقيل لما نزلت هذه الآية سال جبريل فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق عليه السلم امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان

يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعترا الغضب كما قال ابو بكر الصديق ان لي شيطانا يعتريني طيف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال

اني الم بك الخيال يطيف

او هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا متقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله

قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها

في ان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا **فان قلت** لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد **قلت** المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت عليه العروس فاجتلاها والمعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للآيات ولست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في

مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه وإذا تلى عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له واعملوا بما فيه ولا تجاوزوه. واذكر ربك في نفسك هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والإيصال من آصل إذا دخل في الأصيل كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه إن الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند الزلفة والقرب من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته ولا يستكبرون ويسبحونه ويخصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض لمن سواهم من المكلفين. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة. قال المصنف رحمه الله انهى رقم السبع الأول

سورة الأنفال مدنية وهي ست وسبعون آية سجدة

بسم الله الرحمن الرحيم. النفل الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه قال لبيد: إن تقوى ربنا خير نفل. والنفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي في أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت

وعن سعد بن أبي وقاص قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءني رسول الله وقد أنزلت سورة الأنفال فقال يا سعد إنك سألتني وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه. وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين. وقرأ ابن محيصن يسلونك علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الأنفال أي يسألونك أن تعطيهم ما شرطت لهم من الأنفال. **فإن قلت** ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الأنفال لله والرسول **قلت** معناه أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر في قسمتها مفوضا إلى رأي أحد والمراد أن الذي اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فإنهم إن فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في التخاصم والاختلاف وكونوا متآخين في الله وأصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم. وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض. **فإن قلت** ما حقيقة قوله ذات بينكم **قلت** أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا إنائك يريدون ما في الإناء من الشراب. وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة رسول الله من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله إن كنتم مؤمنين إن كنتم كاملي الإيمان واللام في قوله إنما المؤمنون إشارة إليهم أي إنما الكاملو الإيمان الذين من

صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله أولئك هم المؤمنون حقا. وجلت قلوبهم فزعت وعن أم الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قال إذا وجدت ذلك فادع الله فإن الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا لجلاله وعزه وسلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت. زادتهم إيمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبي هريرة الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان وعن عمر بن عبد العزيز إن للإيمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه جمع بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف أي أولئك هم المؤمنون حقا أي حق ذلك حقا وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الإيمان إيمانان فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله إنما المؤمنون فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا إلزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الإيمان وكان أبو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه أنه قال لقتادة لم تستثني في إيمانك قال اتباعا لإبراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى. درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب. كما أخرجك ربك فيه وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل

حالك في كراهتهم خروجك للحرب والثاني أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الأنفال لله والرسول أي الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق أي إخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وإن فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس ابن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها إني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما ترضى رجالهم أن يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وإن محمدا لم يصب العير وأنا قد أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل وقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله ثم ردد عليهم فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت بنا إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فإنا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قال

بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله ثم قال اشيروا
علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك
حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على
عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد
آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان
تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به
عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على
بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الان انظر الى مصارع
القوم وروي انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه
العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك
احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا
من المؤمنين لكارهون والحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير
بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا
الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم
في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق
الى الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل
كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان اذ
منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير
والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت
في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك
القنا لشباها ومنها قولهم شاك السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة

التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه
بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة
وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر اذا
ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون
الفائدة العاجلة وسفساف الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو
الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات
الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما
لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد فان قلت بم يتعلق قوله
ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا
لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا
تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا
بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم
ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا
حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل هو متعلق بيقطع فان قلت
بم يتعلق اذ تستغيثون قلت هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل
الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون
اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر رضي الله عنه فالقاه على منكبه
والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن
ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال
لان الاستجابة من القول فان قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف
فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة

به

على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صور الرجال عليهم ثياب بيض
وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم
تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك
الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة قال هم غلبونا لا انتم وروي ان
رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط
فوقه فنظر الى المشرك وقد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت
رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل
لم تقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في
اهلاك الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد
ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه
اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون يعني ردفكم واردفته
اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور
الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون
متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي
يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويتقدمونهم بين ايديهم وعلى
ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين
او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران
بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين
بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد
الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء
الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع
الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في
سورة آل عمران فان قلت فيم تعلق من قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين
بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بان المراد

بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الى م
يرجع الضمير في وما جعله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم
بامدادكم فان قلت ففيمن قرأ بالكسر قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول
القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل
عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني
انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم
بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد
ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما
النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله
اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او هو منصوب بالنصر او بما في عند الله من
معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد
ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت ان يكون
فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشيكم
النعاس تنعسون انتصب امنة بمعنى امنا اي لا منكم ومنه صفة لها اي
امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز ان
تكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس
فتنعسون امنا فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي
هو فاعل يغشيكم النعاس اي ينعسكم على اسناد الامن الى النعاس اسنادا
مجازيا وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق
النعاس في ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشاكم امنة
حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد
فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم به من قال
يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون
الميم ونظير امن امنة حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من
الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس

النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر فكانه قال ما للطهور ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفهم اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان المسلمين نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ما وناموا فاحتلم اكثرهم فتمثل لهم ابليس وقال يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراة تثبت القدم في مواطن القتال اذ يوحي ربك يجوز ان يكون بدلا ثانيا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت الى الملائكة اني معكم مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فاضربوا فوق الاعناق اي الاعالي التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل اراد

الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام واضرب هامة البطل المشيح وقال غشيته وهو في جاواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا واضربوا منهم كل بنان اصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون سالقي في قلوب الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب وكانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي والضاربون على هذا المؤمنون ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسيلة في المنام عن اشتقاق المعاداة لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم وذاك في خصم وهذا في شق وهذا في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل واحد منكم وفي ذلكم للكفرة على طريق الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرا الحسن وان للكافرين بالكسر زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا وسمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمه نهي لهم عن الفرار يومئذ ومن يولهم يومئذ اماره علامه الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول

الله نحن الفرارون قال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرا الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا واقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم وياسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا

للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كان على حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم ايناكان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن تغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا قرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الله وطاعة الرسول شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتو

والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جا
فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول
قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله والثاني
ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلاته لما يحييكم
من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت ولبعضهم
لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها
لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله بل احيا
عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو
واجدها وهو التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله
فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون
فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على
العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن
خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل
فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين
المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه بينه
وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الرا ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها
على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر فتنة ذنبا قيل هو اقرار
المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو
من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى
ان اصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكن تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني
اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه
قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر
الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه

قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله
حتى اذا جن الظلام واختلط جاوا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق يقول فيه من را
القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد القول الاخير قراءة ابن
مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير
وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا
نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان
يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك الزبير فقال رسول
الله كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله فداك ابي وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا
قال فكيف انت اذا سرت تقاتله فان قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب
الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك
ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض
على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم
اقبح منكم من سائر الناس اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا
وقت كونكم اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش
تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين فاواكم
الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم
من الطيبات لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من
العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون
فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص
كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك
اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو
الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا
اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانا
فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم
تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علما تعلمون قبح

القبيح وحسن الحسن وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين
ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من ارض
الشام فابى رسول الله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى
هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى
علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال
والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر
مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها
حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار
قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان
تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه
من فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم ام هو نصب قلت يحتمل ان يكون
جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرا مجاهد
وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في
الفتنة وهو الاثم والعذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده
وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا به هممكم وما يؤدي اليه وتزهدوا في
الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله
المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه
لاجل ماله وعياله فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر والايمان باعزاز
اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم
واثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او
مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل
الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة لما فتح الله عليه ذكر مكر قريش به
حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح
الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار

تابعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس
في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت
ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا
وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به
ريب المنون فقال ابليس بئس الراي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واسترحتم فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا
ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد
فيتفرق دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل
عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي
ابي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله وامره ان لا يبيت في مضجعه فقال
له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى
مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ثم
ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى
اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرا
النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق
ويمكرون ويخفون المكائد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة
والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا
ما هو حق وعدل ولا يصيب به الا من هو مستوجب ولو نشاء لقلنا مثل هذا
نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة لانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم
الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤوا غلبة من تحداهم
وقرعهم بالعجز حتى يتغوروا بالقرع المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم
ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة
ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص

الله أحاديث القرون ولو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة
حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذاك وأنه من جملة تلك الأساطير
وهو القائل إن كان هذا هو الحق وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعني إن كان القرآن
هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر
ومراده نفي كونه حقا فإذا انتفى أن يكون حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان
تعليق العذاب مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك إن كان
الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص
والتعيين هذا هو الحق وقرأ الأعمش هو الحقُّ بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل
وهو في القراءة الأولى فصل ويقال أمطرت السماء كقولك أنجمت وأسبلت ومطرت
كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الإمطار في معنى العذاب **فإن قلت** ما فائدة
قوله من السماء والإمطار لا يكون إلا منها **قلت** كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا
السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما
تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب أليم أي بنوع آخر من جنس
العذاب الأليم يعني أن إمطار السجيل بعض العذاب الأليم فعذبنا به أو بنوع آخر منه
وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة
قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو
الحق فأمطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا إليه اللام
لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة
الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم
وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا الإشعار
قوله وما لهم ألا يعذبهم الله وما بعده إثبات التعذيب كأنه قال وما كان
ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم ألا يعذبهم وهم يستغفرون
في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر
لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون
ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر

وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين وما لهم ألا يعذبهم الله
وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا
يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية وإخراج
رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء
وندخل من نشاء وما كانوا أولياءه وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا
ولاة أمره وأربابه إن أولياؤه إلا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم أيضا يصلح لأن يلي
أمره إنما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الأصنام ولكن
أكثرهم لا يعلمون كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد
بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا إذا
صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء والقراء
وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى
أو من صد يصد إذا ضج ومنه يصدون وقرأ الأعمش وما كان صلاتهم بالنصب على
تقديم خبر كان على اسمه **فإن قلت** ما وجه هذا الكلام **قلت** هو نحو قوله
وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محدرجة سمرا والمعنى أنه وضع
القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا موضع التصدية موضع الصلاة وذلك
أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وكانوا يفعلون ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلطون
عليه فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها
إلا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم عشر جزر وقيل
قالوا لمن كانت له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا
بما أصيب منا يوم بدر وقيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش
سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون
مثقالا ليصدوا عن سبيل الله أي كان غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل
الله وإن لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة أي تكون عاقبة إنفاقها ندما
وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كانت الحرب

منهم ومن المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي والذين
كفروا والكافرون منهم إلى جهنم يحشرون لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه ليميز
الله الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل بعضه على بعض فيركمه
جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني
لفرط ازدحامهم أولئك إشارة إلى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي أنفقه
المشركون في عداوة رسول الله من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نصرته
فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم
الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الأول بيحشرون وأولئك
إشارة إلى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل للذين كفروا هم أبو سفيان وأصحابه
أي قل لأجلهم هذا القول وهو إن ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل إن تنتهوا يغفر
لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما
سبقونا إليه خاطبوا به غيرهم لأجلهم ليسمعوه إن ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الإسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة
وإن يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الأولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو فقد
مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الأمم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا
وقيل معناه أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما سلف من الكفر والمعاصي
وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الإسلام يجب ما قبله
وقالوا الحربي إذا أسلم لم تبق عليه تبعة قط وأما الذي فلا يلزمه قضاء حقوق الله
تعالى وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج أبو حنيفة في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه
قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وإن يعودوا بالارتداد وقرئ
يغفر لهم على أن الضمير لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة إلى أن لا يوجد فيهم شرك
قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده
فإن انتهوا عن الكفر وأسلموا فإن الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم وإسلامهم وقرئ
تعملون بالتاء فيكون المعنى فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة إلى دينه
والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء وإن تولوا

ولم ينتهوا فإن الله مولاكم أي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته إنما غنمتم ما موصولة
ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فأن لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق
أو فواجب أن لله خمسه وروى الجعفي عن أبي عمرو فإن لله بالكسر وتقويه قراءة
النخعي فلله خمسه والمشهور آكد وأثبت للإيجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس
فيه ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه من حيث أنه إذا حذف الخبر واحتمل غير
واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لإيجابه
من النص على واحد وقرئ خمْسه بالسكون **فإن قلت** كيف قسمة الخمس **قلت** عند
أبي حنيفة أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم
لرسول الله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني
نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم أنهما
قالا لرسول الله هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك منهم أرأيت
إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام إنهم
لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه
وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته
وكذلك سهم ذوي القربى وإنما يعطون لفقرهم فهم أسوة الفقراء والمساكين أغنياؤهم
فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وأما عند الشافعي فيقسم على خمسة أسهم سهم لرسول
الله يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو
ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين والباقي
للفرق الثلاث وعند مالك الأمر فيه مفوض إلى اجتهاد الإمام إن رأى الإمام قسمه بينهم وإن
رأى إعطاء بعضهم دون بعض وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم **فإن قلت** ما معنى ذكر الله
وعطف الرسول وغيره عليه **قلت** يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله
والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن يراد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب
وأن يراد بقوله فأن لله خمسه أن من حق الخمس أن يكون متقربا به إليه لا غير ثم خص من وجوه
القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الأول
مذهب الإمامين وعلى الثاني ما قاله أبو العالية يقسم على ستة أسهم سهم الله تعالى يصرف إلى

ان تاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ الخمس فيضرب يده فيه
فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل ان
سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان على
ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وكذلك
روي عن عمر ومن بعده من الخلفا وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان نعطي
فقيركم ونزوج ايمكم ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل
غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا
ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله
عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن
في سهم رسول الله انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان
الخمس في غزاة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين
شهرا من الهجرة فان قلت بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا
والمعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم
واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة
لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم
آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم
الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات
والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل
على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي
بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا
غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى فان قلت كلاهما
فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والاخرى بالواو قلت القياس هو قلب الواو
ياء كالعليا اما القصوى فهو كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال
القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة
الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين

كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل
من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا فان قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز
الفريقين وان العير كانت اسفل منهم قلت الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة
شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين
والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر
لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها
المشركون كان فيها الما وكانت ارضا لا باس بها ولا ما بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ
فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم
فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب
تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحرم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم
في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط
هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم
وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي امرا كان مفعولا
من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا
لياخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ في العدوة الدنيا
هؤلا بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان
ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم
بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله
والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي
امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه
واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا
عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه
دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات
الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي

باظهار الضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم
بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او
هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك
في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه
فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما
قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية صحيحة
فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام
ولتنازعتم في الراي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن
الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور
يعلم ما يكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان
يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول
الله وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا
في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا
كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت الغرض
في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد
قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجاهم
الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك
قوله يرونهم مثليهم راي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح
الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت
بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في
اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين وقيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه
ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من
الكفار وترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالبا
فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين
به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم

من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا
واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك
بما في خطب علي عليه السلام في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة
والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن
ذكر الله شاغل وان تفاقم الامر ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان
او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على الجزم قراءة من قرا وتذهب ريحكم بالتاء
والنصب وقراءة من قرا ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها
وتمشيته بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره ومنه
قوله انتظرا قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادي وقيل لم يكن قط
نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي
عن التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله من فشلهم وذهاب
ريحهم كالذين خرجوا من ديارهم هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي
سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب
بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم
الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان
القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى
والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهم
ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان
وتبرا منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على
سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت الذي بينها وبين
بني كنانة من الحرب فكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم
الكناني الشاعر وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم
اليوم واني جار لكم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث
ابن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون

واندفع في صدر الحرب وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة
فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه
الشيطان وفي الحديث ما رئي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما
يرى من نزول الرحمة الا ما رئي يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما قيل لا
ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما
قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين
في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي
الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا
بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء
الف ثم قال ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على
الكثير القوي ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي
كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء
والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل
والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد ادبارهم استاههم ولكن الله كريم
يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين
ان عقوبة الزاني ان يضربه بغلظ الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق
عمل فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة تفوته فيهلك في مكانه وقيل
يضربون منهم ما اقبل وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول
اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب الحريق او وذوقوا عذاب الاخرة
بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار او يقال
لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا منكرا ذلك بما
قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما
قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم
وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام
للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله

ظالما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل الرفع اي داب هؤلاء كداب ال فرعون عادتهم وعملهم
الذي دابوا فيه اي داوموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير لداب ال فرعون وذلك
اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في
حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان تغيير ال
فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال
مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى الحال المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى
اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة الاصنام فلما بعث اليهم
بالايات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى
اسوا مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع
لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كداب ال فرعون تكرير للتاكيد وفي قوله بايات
ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا
ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا
فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح
وقالوا نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف
الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين
كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين
الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار
فاما تثقفنهم في الحرب فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك
ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك
بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرا ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق
نكاله معاقبة شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه
وقرا ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين من ورائهم
فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا
للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق بين القراءتين فرق لعلهم يذكرون لعل المشردين من

وراءهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم
فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم
اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء
العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد
والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور
في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء
في العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم سبقوا فاتوا وافلتوا من ان
يظفر بهم انهم لا يعجزون لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح
بمعنى لانهم لا يعجزون كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة
الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرا ابن محيصن
يعجزون بكسر النون وقرا الاعمش ولا يحسب الذين كفروا بكسر الباء وفتحها على
حذف النون الخفيفة وقرا حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله
ان سبقوا فحذف ان كقوله ومن اياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود
انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى
سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير
لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل
كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها نزلت في
فيمن افلت من المشركين من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة
ابن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي
قالها ثلثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط
اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز
ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل
وميكال وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل
فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل انما اوصى بالحصون فقال الم تسمع قول الشاعر
ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرئ بالتخفيف والتشديد وقرا ابن عباس

ومجاهد تخزون به عدو الله والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم
هم اهل مكة واخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل
كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق
وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن جنحوا له مالوا اليه ومنه جناح الطائر والسلم تؤنث تانيث نقيضها
وهي الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع
وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف
على ما يراه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او
يجابوا الى الهدنة ابدا وقرا الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم
المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخداعهم قال مجاهد
يريد قريظة فان حسبك الله قال جرير
اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا والف بين قلوبهم
التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالايات الباهرة لان
العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم
الى ان ينتقموا لا يكاد ياتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله واتحدوا
وانشؤوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث
فيهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض
في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشاء ويصنع فيها ما اراد
وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم
ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن
ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه الصفة ان تتجنب هذه ما اثرته
اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة
وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اخوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ
قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا
درهم ولا يجوز عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال

فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك من المومنين الله ناصرا او
تكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المومنون وهذه الاية نزلت بالبيدا في
غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست
نسوة ثم اسلم عمر فنزلت التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه
المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او تسميه حرضا وتقول ما اراك الا حرضا
في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحرك منه وقرئ حرص بالصاد المهملة حكاها
الاخفش من الحرص وتقاربه الحركة وحرصه وحرسه وحرشه بمعنى وهذه عدة من الله
وبشارة بان الجماعة من المومنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون
الله وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم قوم جهلة يقاتلون على غير
احتساب وطلب ثواب كالبهايم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون
خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله
وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثماية راكب قيل ثم
ثقل عليهم ذلك وضجوا وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاتلة
الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتدا ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف
وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفا جمع
ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتا واليا في الموضعين والمراد بالضعف
الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وقيل كانوا متفاوتين في
ذلك **فان قلت** لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين
قبل التخفيف وبعده **قلت** للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت
لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المايتين والماية الالف وكذلك بين مقاومة
الماية المايتين والالف الالفين قرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى
الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل
عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل

الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلا والقهر ثم الاسر
بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما
منا بعد واما فدا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس
عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل
الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك
فقدمهم واضرب اعناقهم فان هولاء ائمة الكفر وان الله اغناك عنهم مكن عليا من عقيل
وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلم ان الله
ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد
من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور
رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه
انتم اليوم عالة فقرا فلا يفلتن احد منهم الا بفدا او ضرب عنق وروي انه قال ان شئتم
قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم فقالوا بل ناخذ الفدا واستشهدوا باحد فكان فدا الاسارى
عشرين اوقية وفدا العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداوهم ماية اوقية والاوقية
اربعون درهما وستة دنانير وروي انه لما اخذ الفدا نزلت الاية فدخل عمر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت
بكا بكيت وان لم اجد تباكيت فقال ابك على اصحابك في اخذهم الفدا ولقد عرض علي عذابهم
ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السما لما نجى منه
غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي عرض الدنيا حطامها سمي
لانه حدث قليل اللبث يريد الفدا والله يريد الاخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز
الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون باليا وقرا بعضهم والله يريد الاخرة بجر الاخرة
على حذف المضاف وابقا المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا
ومعناه والله يريد عرض الاخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز حكيم اولياه على
اعدايه فيتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفدا ولكنه حكيم يوخر ذلك الى ان
تكثروا وتعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح
المحفوظ وهو انه لا يعاقب احدا بخطا وكان هذا خطا في الاجتهاد لانهم نظروا في ان

استبقاهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداهم يتقوى به على الجهاد في سبيل
الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه
سيحل لهم الغنيمة التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا
بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم روي انهم
امسكوا عن الغنايم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفدا لانه من جملة
الغنايم واتقوا الله فلا تقدموا على شي لم يعهد اليكم فيه **فان قلت** ما معنى الفاء
قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنايم فكلوا مما غنمتم وحلالا
نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم
معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفدا قبل ان يوذن لكم فيه غفر
لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ من
الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يوتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا
اما تخلفكم في الدنيا اضعافه او تثيبكم في الاخرة وفي قراة الاعمش يثبكم خيرا وعن
العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وقد كان احد الذين
ضمنوا الطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف
قريشا ما بقيت فقال ان الذهب الذي دفعته الى ام الفضل يوم خروجك من مكة
وقلت لها ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله
والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته
اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس
وابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني
زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلاة الظهر
وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا

خير مما اخذ مني وانا ارجو المغفرة وقرا الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البنا للفاعل
وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين ابايهم
فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم
كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من
الفدا الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين
آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدايهم هم الانصار بعضهم اوليا بعض اي يتولى بعضهم
بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات
حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر
اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة
كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان
تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم
لانهم لا يبتدون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اوليا بعض
ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اوليا بعض ومعناه نهي
المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا
اقارب وان يتركوا يتوارث بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي الا تفعلوا ما امرتكم
به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة
ولم تقطعوا العلايق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في
الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ان لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك
ظاهرا والفساد زايدا وقرئ كثير بالثا اولئك هم المومنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم
وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال
لاجل الدين وليس بتكرير لان هذه الاية واردة للثنا عليهم والشهادة لهم مع الموعد
الكريم والتي قبلها للامر بالتواصل والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة
كقوله والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضيلا منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات
اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل

في اللوح وقيل في القرآن وهي آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة على توريث ذوي الأرحام. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد له أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون

ولها عشرة أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم. وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا إلا نالت منه. فإن قلت فلم لم تصدر بآية التسمية كما في سائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصة الأنفال وكانتا تدعيان القرينتين. وعن أبي بن كعب إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود. وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا قيل فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال إنما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ إليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي إلى الله فأجاب ودعي إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذ فإنما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ولا بأس وهذا كله أمان. وقيل سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطول. وقيل اختلف أصحاب رسول الله فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما

سورة واحدة. براءة خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان إلى فلان ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار. وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة. وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته. والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم. فإن قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد أذن الله في معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ إليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين. روي أنهم عاهدوا المشركين وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذوا العهد إلى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاؤوا وأن لا يتعرضوا لهم وهي الأشهر الحرم في قوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل مني فلما دنا علي سمع أبو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور. وروي أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل وقال يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر إلى رسول الله فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي

أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالصفاح. وقيل إنما أبى أن يبلغ عنه إلا رجل منه لأن العرب عادتها في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه أبو بكر لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا من نقض العهود فأزيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه. فإن قلت الأشهر الأربعة ما هي قلت عن الزهري أن براءة نزلت في شوال فهي أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها وقيل العشر من ذي القعدة إلى عشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة. فإن قلت ما وجه إطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الأشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها. غير معجزي الله لا تفوتونه وإن أمهلكم وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب. وأذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لمن قال إنه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والأذان بمعنى الإيذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء. فإن قلت أي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية قلت تلك إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت. فإن قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس قلت لأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث. يوم الحج الأكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الأكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو جعل الوقوف بعرفة هو الحج الأكبر لأنه معظم واجباته لأنه إذا فات فات

الحج وكذلك إن أريد به يوم النحر لأن ما يفعل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الأكبر. وعن الحسن سمي الحج الأكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لأعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر. حذفت الباء التي هي صلة الأذان تخفيفا وقرئ إن الله بكسر الهمزة لأن الأذان في معنى القول. ورسوله عطف على المنوي في بريء أو على محل إن المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم إن أو لأن الواو بمعنى مع أي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك. ويحكى أن أعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال إن كان الله بريئا من رسوله فأنا منه بريء فلببه الرجل إلى عمر فحكى الأعرابي قراءته فعندها أمر عمر بتعلم العربية. فإن تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وإن توليتم عن التوبة أو ثبتم على التولي والإعراض عن الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه. فإن قلت مم استثني قوله إلا الذين عاهدتم قلت وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الأرض لأن الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر. إن الله يحب المتقين يعني أن قضية التقوى أن لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك. لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم على رسول الله فأنشده

لا هم إني ناشد محمدا ... إن قريشا أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا ... وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه السلام لا نصرت إن لم أنصركم. وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة أي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فأتموا إليهم فأدوه إليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم إليهم عهدهم. انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء والأشهر الحرم التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا. فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا

والاخيذ الاسير

عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الحصر والاسر وفكوا عنهم ولا تعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المناربه وعن ابن عباس دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر احد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر الحرم لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعوا اليه من التوحيد والقران وتبين ما بعثت به فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال

وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتي هضبة وقليب

يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق

حال — اي ولكن الذين — بيع احد الاشد ابلاك — من عوامل الفعل — حتى المراحل — تراع — وهاتا

لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبريل وجبرال من ذلك وقيل اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجوار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت اليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقد بين الرجلين ما لا تعقده المثاق يرضونكم كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الباطن للظاهر مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وابا القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلفا لا مروة تزعهم ولا شمايل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهوا والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان هم المعتدون المتجاوزون الغاية في الظلم فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها فطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ايمة الكفر فقاتلوهم فوضع ايمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفيا من العرب ثم امنوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشي فهم ايمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ

السقب الفصيل — رال النعام وراله — سحوا — الطامح — دي — والطمهم — وان — يغوك

لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم ولا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعن الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا ايمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظايم ان يكون المقاتلة سببا في انتهايهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسي بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ايمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراة ولا يجوز ان يكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا على انتفا المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بداوكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداية بالمقاتلة لان رسول الله جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها بما يوجب الحض عليها وتقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدو بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير على الخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مومنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المومن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم ان يعذبهم بايديكم قتلا ويخزهم اسرا ويوليكم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المومنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله

بقوله — من مكة

صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتدا كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب الله بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمومنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبيين ذلك وايضاحه متوقع كاين وان الشرك لم يخلصوا دينهم لله مميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القايل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا ان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لان طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرا كتب الله كنت انفى لقراته القران من تصريحك بذلك شاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا هو لك تملكه وما ملك وقد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

بي — الانزال

وقطعته الرحم واغلظ له في القول فقال له العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا
فقال او لكم محاسن قال نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية
وفك العناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما
ظنك بالمقارن والى هذا اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون
بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر
مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما يستقيم عمارتها هؤلاء ويكون معتدا بها والعمارة تتناول
رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة
والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث
الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم ياتي في اخر الزمان ناس من
امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس
لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال
عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد
تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المسجد الفه الله
وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس
رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك
المسجد ضوؤه **فان قلت** هلا ذكر الايمان برسول الله **قلت** لما علم وشهر ان الايمان بالله
قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين
مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول
وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة **فان قلت** كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن
يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها **قلت** هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا
يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر
حق نفسه ان يخاف وقوعه آثر الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها
فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف
الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا

عاقبتها بان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى
اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون ونائلون عند
الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمومنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض
الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا
بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله
وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة
المسجد الحرام والمعنى انكار ان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي
ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه
قالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا قال للعباس الا تهاجرون الا تلحقون رسول
الله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت
قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على
سقايتكم فان لكم فيها خيرا اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم
اولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم قرئ يبشرهم بالتخفيف والتشديد
وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في
المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه
الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا
اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين
فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت
اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان
حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه
وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقرا الحسن وعشايركم فتربصوا حتى ياتي الله بامره وعيد
وعن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة او اجلة وهذه اية شديدة لا ترى
اشد منها كانها تنعى على الناس ما هم فيه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين
فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات

على دين الله ما يستحب له دينه على الاباء والابناء والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ
الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه اطول
ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي وكانما وقع على انفه ذباب فطيره
مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال

وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي

وامتناعه من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم يات عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير
والحديبية وخيبر وفتح مكة **فان قلت** كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين
على المواطن **قلت** معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين او يجوز
ان يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل
مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه
هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها
فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف
كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان
من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة الاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب
اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قائلها رسول الله وقيل ابو بكر
وذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين كلمة الاعجاب
بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس وابو
سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة
جاشه وما هي الا من ايات النبوة وقال يا رب ائتني ما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا
صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة فكروا عنقا واحدا وهم
يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به
ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وقال العباس لكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته

ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر
اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم
اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته
رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وانزل جنودا يعني الملائكة وكانوا
ثمانية الف وقيل خمسة الف وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر
وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله اي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي ان ناسا منهم
جاءوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير
الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف
نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه
اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاءوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري
والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه
ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا
قال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء
ان قد رضوا النجس مصدر نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذو نجس لان معهم الشرك
الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي
ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس
اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضا واهل المذاهب
على خلاف ذلك وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه
قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس
و كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يحجوا ولا يعتمروا كما
كانوا يفعلون في الجاهلية وعامهم هذا هو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر على الموسم
وهذا مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قوله عليه السلام حين نادى ببراءة الا لا
يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد

عندهم وعند الشافعي يمنعون عن المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطا ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين عن دخوله راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السما عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تباله وجرش فحملوا الى مكه الطعام وما يعاش به وكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرى عايلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عايلة ومعنى قوله ان شا ان اوجبت الحكمة اغناكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله تعالى يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده وسميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفا عن القتل عن يد اما ان يراد به يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا بلا نسية ولا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اي توخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويوخذ

بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يوديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام ولا تسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة رحمه الله تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي وحربي الا على مشركي العرب وحدهم وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكه هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم بها الجزية العجم وعند الشافعي لا توخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا توخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي توخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب ام لم يكن له كسب عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقا الساكنين كقراءة من قرا احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جا رسول الله سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبيا بعد موسى عليه السلم فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدر غلام الا وهو ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب **فان قلت** كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه موثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يوثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه

لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفا الولد يضاهون لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان قول الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرى يضاهيون بالهمز من قولهم امراة ضهيا على فعيل وهي التي ضاهت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقي قاتلهم الله اي هم احقا بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يوفكون كيف يصرفون عن الحق اتخذوهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هولا الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاة ليطفيه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين **فان قلت** كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا **قلت** قد اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره يعني اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم

اخذ الطعام وتناوله واما ان الاموال يوكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله

يا كلن كل ليلة اكافا

يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الله ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منهم طيب ماله سوا في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة اية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى ولم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا ساله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادي فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تود زكاته فهو الذي ذكر الله وان كان على ظهر الارض **فان قلت** فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له فاي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلم من ترك صفرا او بيضا كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان **قلت** هذا كان قبل ان تفرض الزكاة واما بعد فرض الزكاة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويودي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتنا مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شي حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما زاد فهو كنز كلام في الافضل **فان قلت** لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان **قلت** ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المو

اقتنوا وقيل ذهب به الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما
ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب فان قلت لم خصا بالذكر من بين سائر
الاموال قلت لانهما قانون التمول واثمان الاشيا ولا يكنزهما الا من فضلا عن
حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما
دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك
حمي الميسم واحميته ولا يقال احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى عليها اي
توقد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت فاذا
كان الاحما للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور واصله
يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى
عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن
ابن عامر انه قرا تحمى بالتا وقرا ابو حيوة فيكوى باليا فان قلت لم خصت
هذه الاعضا قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا
الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا
عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون
منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى
اغنيا زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا
الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه
ظهورهم وقيل معناه انها تكوى على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم
هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم
وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به
نفوسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون
اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه اي وبال كونكم كانزين في كتاب الله فيما اثبته
واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح اربعة حرم ثلاثة سرد ذو
القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته

عليه السلام في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد
الحج في ذي الحجة وبطل النسي الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة
وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني ان تحريم
الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت
به وراثة منهما فكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل
قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسي فغيروا
فلا تظلموا فيهن انفسكم اي تجعلوا حرامها حلالا وعن عطا تالله ما يحل للناس ان يغزوا
في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطا الخراساني احلت القتال في الا
شهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر
الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الاية وان كان ذلك محرما في سائر
الشهور كافة حال من الفاعل او المفعول من المعين يا صر لهم حثهم على قتال النصر لاهلها
النسي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جا
الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا اخر
حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام اربعة
اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا
يخالفونها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور
فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا ان
عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه
ويحرمونه للنسي اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام
القابل يروى انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقرا محاويج الى الغارة وكان
جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم في الموسم على جمل فيقول ان الهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسي زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث
معصية ازداد كفرا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البنا للمفعول

ويضل بفتح اليا والضاد ويضل على ان الفعل لله تعالى وقرا الزهري ليوطئوا بالتشديد
والنسي مصدر نساه اذا اخره يقال نساه نسا ونساء ونسيا كقولك مسه مسا
ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بوزن الهدي وهما تخفيف
النسي والنسو فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا بمواطاة
العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها
زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي اي لا يلطف
بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البنا للفاعل وهو الله عز وجل اثاقلتم تثاقلتم
وبه قرا الاعمش اي تباطاتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى
ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع
هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه
الانكار والتوبيخ فان قلت فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانعه ان يعمل
فيه قلت ما دل عليه ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم
كما تعمل في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد
رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو
فشق ذلك عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها
بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الاخرة بدل الاخرة كقوله
لجعلنا منكم ملائكة في الاخرة في جنب الاخرة الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث
اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما
آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل
الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان الله ينصره ووعد
الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل اهل فارس والظاهر
مستغن عن التخصيص فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت
فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد
ولا اقل من واحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك
الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده

واسند الاخراج الى الكفار كما اسند اليها في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا
باخراجه اذن له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة
وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق يروى ان جبريل صلوات الله
عليه لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ
ثاني اثنين بالسكون اذ هما بدل من اذ اخرجه والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل
في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثة ايام اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون
فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال
عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا
في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فقال رسول الله اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون
حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر
فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما القاه في قلبه
من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب
وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ
وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتدا وفيها تاكيد كلمة الله في العلو
وانها المختصة به دون سائر الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له
وثقالا عنه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا
ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال
حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفا ولا
على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط
حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع
حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتله وعن
الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك
عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنني الحرب كثرت السواد
وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن
او باحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا

عرض حاضر يا كل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال
وسفرا قاصدا وسطا مقاربا الشقة المسافة الشاقة وقرا عيسى بن عمر بعدت
عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله
يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفايح بالله متعلق بسيحلفون
او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند
رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او
سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو
جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة
المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة وصحة الابدان كانهم تمارضوا
وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون
انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها
في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله
لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير
في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله
لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على
حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف
لها والمعنى اخطات وبئس ما فعلت لم اذنت بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك
اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا تانيت
بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفدا من الاسارى فعاتبه الله
لا يستاذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين
والانصار يقولون لا نستاذن النبي ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا
في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة
المتقين وعدة لهم باجزال الثواب انما يستاذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلثين
رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار

الشاطة صح

القفول

ديدن المستبصر وقرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال
واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف تا التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ
بكسر العين بغير اضافة وعده باضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك
قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو
قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم
كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اسا الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم
في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القا الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود
وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قول بعضهم لبعض وقيل هو اذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالقعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة
الخروج الى الغزو وهي قبيحة تعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة
لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم
حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاذن لهم فيما هو
مصلحة قلت لان اذن رسول الله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد
القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن
كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول
الله الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك
انهم اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله قامت عليهم
الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم
وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فان قلت ما معنى قوله مع
القاعدين قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنسا والصبيان والزمنى الذين شانهم
القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى
رضوا بان يكونوا مع الخوالف الا خبالا ليس من الاستثنا المنقطع في شي كما يقولون
لان الاستثنا المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما
زادوهم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع
الاستثنا من اعم العام الذي هو الشي فكان استثنا متصلا لان الخبال بعض اعم العام

قيل ح

كانه قيل ما زادوكم شيا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولا اوضعوا خلالكم
ولسعوا بينكم بالضرب والنمايم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا
اسرع واوضعته انا والمعنى ولا اوضعوا ركايبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمايم لان
الراكب اسرع من الماشي وقرا ابن الزبير ولا رفضوا من رفضت الناقة رفضا اذا اسرعت
وارفضتها انا قال والرافضات الى منى فالغبغب وقرئ ولا اوفضوا فان قلت
كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي
والخط العربي اخترع قريبا من نزول القران وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع
فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولا اذبحنه يبغونكم الفتنة
يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم
وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون
للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوايل والسعي في
تشتيت شملكم وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف
بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة
وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا
لك الحيل والمكايد ودوروا الارا في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف
حتى جا الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ايذن لي
في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير
اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل
قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنسا فلا تفتني ببنات الاصفر
يعني بنات الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة
سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان
من موحد اللفظ مجموع المعنى محيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي
محيطة بهم الان لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض
الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسوهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في
بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بها عالم في الانحراف عنك يقولوا قد اخذنا

الفئة

سابه

باب

امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع
ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل
تولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا ابن مسعود قل هل تصيبنا
وقرا طلحة هل يصيبنا بتشديد اليا ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو
كقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق تفعل منه
تصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب
ومنه قوله اسهمي الصايبات والصيب واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص
كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من ثباتنا واجابه من النصرة عليكم او الشهادة
الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان
الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا
على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة
منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوايين من
العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده فهو قارعة من السما كما نزلت على عاد
وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا
معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه انفقوا في سبيل
الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طايعين او مكرهين فان قلت
كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله
تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقول الشاعر اسيي بنا او احسني لا ملومة
اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسات بنا ام احسنت
فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم
الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهو ان كثيرا كان
يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساة والاحسان
وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيية كنت او محسنة وفي معناه قال القايل
اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود

العواقب

هنا صح

علينا ولا مقلية

وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر
هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه **فان قلت** ما الغرض في نفي التقبل امن
ترك رسول الله تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه ام هو غير مقبول عند الله
ذاهبا هباء لا ثواب له **قلت** يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين
غير ملزمين من الله ورسوله ومكرهين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون وكان
الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء
اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم
وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق
التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه وقرئ لن تتقبل بالياء والتاء على
البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرا السلمي ان يقبل نفقاتهم
على ان الفعل لله عز وجل كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى في سكران
وغيارى في غيران وكسالى لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم
كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرات في بعض الاخبار
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية
وان الكسل من صفات المنافق فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه **فان قلت** الكراهة
خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا
وهم كارهون **قلت** المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله
عليه وسلم او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة
واختيار الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا
تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله فلا تمدن عينيك فان الله انما
اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات
والمصائب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم
واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربيته اولادهم **فان قلت**
ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون **قلت** المراد

الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته
الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين
يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية ملجأ
مكانا يلجؤون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او
غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء
واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب
اذا اسرع بمعنى مهارب او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو
مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون
فيه انفسهم وقرا ابي بن كعب متدخلا وقرئ لوالوا اليه اي لالتجاوا اليه
يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا
حمل لم يرده اللجام وقرا انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون
واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم
وقيل هو ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل
وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم
في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك
اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله احذروا
هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل
والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين
وما فيه صلاح اهله لان رسول الله استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير
الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجؤوا السخط
جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت
به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا
سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان
يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات للفقراء قصر جنس الصدقات

الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل
انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون
لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي
حنيفة عن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي
صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين
فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف
وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد
العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين
يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتالفهم على ان يسلموا فرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون
يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم
الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها
وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد
لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع
على تلك فريضة **فان قلت** لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة **قلت**
للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على
انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك
الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخلص
والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك
ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل
الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الغارمين والرقاب **فان قلت** كيف
وقعت هذه الاية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم **قلت** دل بكون هذه
الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما
لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم

وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع
ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم
للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن واذن خير كقولك رجل صدق تريد
الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير
والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة
بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير
بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار
وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل
ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة
لما راى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء
فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة
والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم
ذموه فبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد
سمع كلام المبلغ فاذا جئناه نعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو
اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم
ولا يكافيكم على سوء دخلتكم وقرا نافع بتخفيف الذال **فان قلت** لم عدي يؤمن الايمان
بالباء الى الله والى المؤمنين باللام **قلت** لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر
به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقهم لكونهم صادقين
عنده فعدي باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه عن الباء
ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان
آذن لكم **فان قلت** ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب **قلت** هي علة
معللها محذوف تقديره ورحمة لكم ياذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل
عليه لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون
عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا
عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق

وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضى الله ورضى رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك
احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة
مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه
فله وان تكرير لان في قوله انه توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب
من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ
الم تعلموا بالتاء كانوا يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي
فيهم قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا
ينزل فينا شي يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك
لان المعنى يقود اليه ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي
نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع
اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر
بالحذر اي ليحذر المنافقون **فان قلت** الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة فما معنى مخرج ما تحذرون **قلت** معناه محصل مبرز انزال
السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه
فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع
الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله
لا والله ما كنا في شي من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شي مما يخوض فيه الركب ليقصر
بعضنا على بعض السفر ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبا باعتذارهم لانهم
كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا
باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزا به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم
بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا
تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم
الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان نعف عن طائفة منكم

لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بانهم
كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقرا مجاهد تعف عن طائفة على البناء
للمفعول مع التانيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا
تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو
غريب والجيد قراءة العامة ان نعف عن طائفة ونعذب طائفة بالنون وقرئ ان يعف عن
طائفة تعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل بعضهم من بعض ابدا منه نفي ان
يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم
منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات
والانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم
الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير
وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين
حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا
بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة
دلالة على عظم عذابها وانه لا شي ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه
وعذابه لعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين
كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي
بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون
عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما
يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم الكاف محلها رفع
على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم
وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحو قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا
باضمار لم ار وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق
النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه
نصب اي اثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي

خاضوا او كالخوض الذي خاضوا **فان قلت** اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله
كما الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا
فخضتم كالذي خاضوا **قلت** فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا
ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الاخرة
وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم
كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم
ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله
مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة نقيض
قوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين واصحاب مدين واهل مدين وهم
قوم شعيب والمؤتفكات مداين قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن
انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز
عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه
بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة
وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما يعني
انك لا تفوتني وان تباطا ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك
فترضى سوف نؤتيهم اجورهم عزيز غالب على كل شي قادر عليه فهو يقدر على الثواب
والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن
قصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي
وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار
الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على
حافاته وشي من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة
ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان
العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراه من النعم وانما تتهنا له برضاه
كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة

البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا اطمع عني ولا تنازع نفسي الى شي مما وعد الله
في دار الكرامة كما اطمع وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده
ذلك اشارة الى وعد الله او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس
فوزا وروي ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم نعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شي افضل
من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة
فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود
ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع بلسانه فليكفهر في وجهه فان لم يستطع
فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة
الحدود اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
شهرين ينزل عليه القران ويعيب المنافقين المتخلفين فسمع من معه منهم منهم الجلاس بن
سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا
واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق
وانت شر من الحمار وبلغ ذلك الى رسول الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده
وقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون
بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلته وصدق
عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد الاسلام
وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر
منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر
بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع
اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم ملثمون فقال اليكم اليكم فهربوا
وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي
وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك
انهم كانوا حين قدم رسول الله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون

ستغنى

الغنيمة فآثروا الغنائم وقيل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثني عشر الفا فا
فان يتوبوا هي الاية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وروي
ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلم يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني
مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها
المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله فقيل كثر ماله
حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله مصدقين لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب الله الذي
فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي
فلما رجعا قال لهما رسول الله قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة
فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم
تطعني فقبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر فلم يقبلها وهلك
في زمن عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال
ابن عباس يريد الحج فاعقبهم قال الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل
نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل
والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم
ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث
النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد الم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم
ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به من المطاعن
في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم
ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين
المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن
ابن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف
فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم

ابن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال بت ليلتي اجر بالجرير
على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله
لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت
الا جهدهم الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم في
انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم سال عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت
فقال عليه السلم ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ
الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي **فان قلت** كيف خفي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته
والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا
الاية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد **قلت** لم يخف عليه
ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رأفته ورحمته على من بعث اليه كقول ابراهيم
ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي الرحمة والرأفة لطف لامته ودعاء لهم
الى ترحم بعضهم لبعض المخلفون الذين استأذنوا رسول الله من المنافقين فاذن لهم
وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم
بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم
ظعنوا ولم يظعن معهم ويشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى
المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي
قعدوا لمخالفته او مخالفين له ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم
المشاق العظام لوجه الله بما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم
ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في

على السبعين

هم

١

المؤمنين من باعث الايمان ودواعي الايقان قل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من
مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل الجهال ولبعضهم

ولبعضهم
مسرة احقاب تلقيت بعدها ... مساءة يوم اريها شبه الصاب
فكيف بان تلقى مسرة ساعة ... وراء تقضيها مساءة احقاب

معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه
حتم واجب لا يكون غيره روي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع
ولا يكتحلون بنوم وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف
واعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين
منهم فاستاذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك اول مرة هي الخرجة الى
غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم
اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرأ مالك بن
دينار مع الخلفين على قصر الخالفين **فان قلت** مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل
فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات **قلت** اكثر اللغتين
هند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي
اكبر امرأة فاول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم
ما قيل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو
لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك
حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في
شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فساله عن اسمه
فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر اتصلي
على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل **فان قلت** كيف جازت له
تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه **قلت** كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك
ان العباس عم رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه
عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكنا ناذن لك فقال
لا ان في رسول الله اسوة حسنة فشكر له رسول الله ذلك واجابه الى مسالته اياه

فقد كان عليه السلم لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام
واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان
تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق
بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم
وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من
الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما راوه
طلب الاستشفاء بثوب رسول الله وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم
والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم
الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه **فان قلت** كيف جاز في
الصلاة عليه **قلت** لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر
ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلاة الا اني اعلم ان رسول
الله لا يخادع ماتوا صيغة لاحل واما قيل فات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الا
على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وقد
اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة ان
يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يعتنى
الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه
فهو يرجع اليه في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان
يحذر منه يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة
كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان
والجهاد ان آمنوا هي ان المفسرة اولوا الطول ذوو الفضل والسعة من طال
عليه طوله مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون ما في الجهاد
من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول اي ان تخلف
هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية واعتقادا كقوله فان يكفر
بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين فان استكبروا فالذين عند ربك
الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات

ستقبال

المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا
فيما يفعل ولا عذر له والمعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين
ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت
بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ
المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان
قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل
قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلم
سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة
اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا
غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في قولك
المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون
والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا
الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرئ كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا
منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار الضعفاء الهرمى
والزمنى والذين لا يجدون الفقراء وقيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح
لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما
كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى
لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت حال من الكاف في
اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا
لا اجد تولوا ولعله اريد المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة
والذين عدموا آلة الخروج والذين سالوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو
موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار تفيض
من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كانها
كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب

على التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له
الذي هو حزنا فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا
وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم
يعني ان السبب في استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان
يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما
لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض
قلت نعم ويحسن لن نؤمن لكم للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما
يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبانا الله من اخباركم
علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم
وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى
الله عملكم اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة
وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم
فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا
تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره
التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم
ومأواهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم
اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان
رضاكم عنهم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته
وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين يقتضي رضى الله عنهم
قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد
الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم لانهم في بعد من مشاهدة ومعرفة الكتاب
والسنة واجدر ان لا يعلموا احق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام
ومنه قوله عليه السلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد

من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه مغرما
غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من
المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان
دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليهم فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء
دعا معترض دعا عليهم بنحو ما دعوا به كقوله تعالى يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ
السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح هو ذم للدائرة كقولك رجل سوء
في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا
توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم
قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله
وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر
لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك
قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي
التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من
تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضى الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان
اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين
ورهطه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين
شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع في الحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن
الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ
عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون وعن عمر انه كان يرى ان
قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال
ائتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين
جاؤوا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو
فقال من اقرأك قال ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله وانك لتبيع القرظ
بالبقيع وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال

عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره
رضي الله عنهم ومعناه رضي عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية
والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف
تحتها بغير من وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة
واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي
هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل
المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله
انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو اما ان يكون كلاما مبتدا او صفة لمنافقون
فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله
ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم
فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط
توقيهم في تحامي ما يشككك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على
سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا
كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا
به فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين هما القتل وعذاب القبر وعن ابن عباس
انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة
فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم
فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكاة من اموالهم ونهك
ابدانهم الى عذاب عظيم الى عذاب النار اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم
بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متندمين
نادمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن
حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين
فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسال
عنهم فذكر له انهم اقسموا لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال

وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه
أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم
شيئا فنزلت خذ من أموالهم عملا صالحا خروجا إلى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه
عن الحسن والكلبي التوبة والإثم فإن قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما
المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد
خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء
مخلوطا واللبن مخلوطا به وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما
كأنك قلت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما
بمعنى شاة بدرهم فإن قلت كيف قيل عسى الله أن يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت
إذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة
لصدقة وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر ولم يقرأ
وتزكيهم بإثبات التاء والياء في تطهرهم للخطاب أو لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة
في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم
بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها وعن الشافعي
أحب أن يقول الوالي عند أخذ الصدقة آجرك الله فيما أعطيت وجعله طهورا وبارك
الله فيما أبقيت وقرئ إن صلاتك على التوحيد سكن لهم يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم
بأن الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم
من الندم والغم لما فرط منهم قرئ ألم يعلموا بالتاء والياء وفيه وجهان أحدهما أن يراد المتوب
عليهم يعني ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أن الله هو يقبل التوبة إذا صحت
ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأن الله
من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول
الله إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه وقل لهؤلاء
التائبين اعملوا فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين
لكم والثاني أن يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي أنهم لما تيب عليهم قال
الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت

خلطت

فإن قلت ما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود إن
الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله
فسيرى وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة وقرئ مرجون ومرجؤون
من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوفون أمرهم
إما يعذبهم إن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم إن تابوا وهم ثلاثة كعب بن
مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله أن لا يسلم عليهم ولا يكلمون ولم
يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السواري وإظهار الجزع والغم
فلما علموا أن أحدا لا ينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم
الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم وإما للعباد أي خافوا عليهم العذاب
وارجوا لهم الرحمة في مصاحف أهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لأنها قصة
على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر
قصصهم روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله أن يأتيهم فأتاهم
فيه فحسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل إلى رسول الله يصلي فيه
ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم وهو
الذي سماه رسول الله الفاسق وقال لرسول الله يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا
قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا إلى الشام
وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر
وآت بجنود ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية
ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال إني على جناح سفر وحال شغل وإذا
قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه
فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم
انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه وأمر أن يتخذ مكانه كناسة
تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة
لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين

جاوز

لأنهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص المسجد بهم فأرادوا أن يتفرقوا عنه
وتختلف كلمتهم وإرصادا وإعدادا لأجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب أعدوه
له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو
لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق أنه
لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا أحب
أن أصلي فيه لأنه مسجد بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار وسمعة ورياء فإن أصله
ينتهي إلى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الأمصار على عمر رضي الله عنه
أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه
فإن قلت والذين اتخذوا ما محله من الإعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله
والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق
والسارقة فإن قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا أي اتخذوا مسجدا من قبل أن
ينافق هؤلاء بالتخلف إن أردنا ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى أو الإرادة
الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد أسس على التقوى قيل هو
مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهي يوم
الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو أولى لأن الموازنة بين مسجدي
قباء أوقع وقيل هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن أبي سعيد الخدري سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ حصباء فضرب بها الأرض وقال
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من أول يوم من أول أيام وجوده فيه رجال يحبون أن
يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى
وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم
أعادها فقال عمر يا رسول الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون
بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال
عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد
أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع
الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال

يحبون أن يتطهروا وقرئ أن يطهروا بالإدغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات
كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وعن الحسن هو
التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم
فإن قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص
المحب للشيء المشتهى له على إيثاره ومحبته إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل
المحب بمحبوبه قرئ أسس بنيانه وأسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل
والمفعول وأسس بنيانه على الإضافة وأساس بنيانه بالفتح والكسر جمع أس وآساس
بنيانه على أفعال جمع أس أيضا وأس بنيانه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة
قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف
القواعد وأرخاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في
قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما
ينافي التقوى فإن قلت ما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهائر
مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه
رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا
على شفا جرف من أودية جهنم فانهار ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير
وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار
الهائر المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من
خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت وألفه ليست بألف فاعل إنما هي
عينه وأصله هور وشوك وصوت ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة
الباطل وكنه أمره وقرئ جرف بسكون الراء فإن قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى
بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نون
ألحقها بجعفر وفي مصحف أبي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد
الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي أن مجمع بن جارية كان إمامهم في مسجد الضرار
فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته أن يأذن لمجمع
أن يؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بإمام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين

أس

وهو

لا تعمل على مولاه لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمته ما صليت معهم
فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره وصدقه
وامره بالصلوة بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم
على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا
للاسلام ومعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك
ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع
قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء بحيث لا يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة
باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز
ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع
بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى ان وفي قراءة
عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول صلى الله
عليه وسلم او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما
واسفا على تفريطهم مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم بالشرى وترك
ناجرهم فاغلى لهم في الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن
انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال
عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا
تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا
ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى
الله عليه وسلم اعرابي وهو يقراها فقال كلام من فقال كلام الله قال بيع والله
مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد يقاتلون فيه معنى الامر
كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون على
بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا مصدر مؤكد فاخبر ان هذا
الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التوراة والانجيل

كما اثبته

كما اثبته في القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه
الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط
ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ التائبون رفع على المدح اي هم التائبون
يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء
الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان
يكون مبتدأ خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا
كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز
ان يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر
على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤوا
من النفاق والعابدون الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها
والسائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم
وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه من مظانه قيل قال لعمه ابي طالب
انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي
فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال
اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا
فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم
ياذن لي فنزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل
بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا
وذوي قراباتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبي
ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
لانهم ماتوا على الشرك قرأ طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه وعنه وما يستغفر
ابراهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اي وعدها ابراهيم
اباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها
اباه **فان قلت** كيف خفي على ابراهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده
قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع

جواز الاستغفار انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله
عليه السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان فلانا يستغفر لابائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي
الله عنه رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد
استغفر ابراهيم **فان قلت** فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه **قلت**
معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه
قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من
اوه كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته
وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لئن
لم تنته لارجمنك يعني بما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى
عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا
ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء
والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا
بيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار
للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية نكتة شديدة لا ينبغي ان يغفل عنها
وهو ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد
بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة
فغير موقوف على التوقيف تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن
الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي عليه السلام والمهاجرين والانصار
وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء
كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل تاب الله عليه من اذنه
للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها
والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم
غداة طفت علماء بكر بن وائل عشية قارعنا جذام وحميرا اذا جاء يوما وارثي
يبغي الغنى والم

والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد
وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة
وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما امتصها الجماعة ليشربوا عليها الماء
حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب
والقحط والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان او شبهه
سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما
زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب
عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم
الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن
الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم قبلهم وقرئ خلفوا اي خلفوا
الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق رضي
الله عنه خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها
وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا
مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها
حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجا من سخط الله الا الى
استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد
اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم
خطيئة علما منهم ان الله تواب رحيم على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان
ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره
مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف
درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل
الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم
والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا
نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن

الشراب حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فما بطّ رداه وكونه قال
الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه لا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري
ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماشيا فقال رسول الله لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال
رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ
بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت الحصير له وقربت اليه
الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء
ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا راكب يزهاه
السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى
الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري
ما خلفك فقلت له ما خلفني الا حسن بردتي والنظر في عطفيه فقال معاذ
الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس
ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا
ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك
فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله فاذا
هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى
صافحني وقال ليهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يستنير وجهه استنارة القمر ابشر يا كعب بخير
يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه
سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق
عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه مع الصادقين وقرئ من
الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا

نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار
الى المطعم ولقد لزتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار
لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على
عملك جعلا حتى ننتعش به ونستدفع الضرورة وقرئ لتخذت والتا في تخذ اصل كما في
تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء **فان قلت** هذا اشارة الى ماذا
قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى ان سالتك عن شيء بعدها فلا
تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى
غير الاخ اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن
عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة
خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل
خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى
فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن
السبب فلم قدم عليه **قلت** النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس
هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل ان الظن
يتعلق بالطرفين بالمبتدا والخبر جميعا كان التعليل في فاردت ان اعيبها متعلق بالمسكنة
والغصب فتوسطه بينهما كتوسط الظن بين المبتدا وخبره وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل
سفينة صالحة وقرأ الجحدري فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا
ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما
بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت
واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا
بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه
بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة
من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله بمعنى فكرهنا
كقوله لاهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم
الرحمة والعطف فروي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه

امة من الامم وقيل ولدت غلاما مسلما وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين اصرم
وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة
وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت
لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها
علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم
واحلت لنا اراد قوله والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وكان ابوهما صالحا اعتداد
بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد رضوان الله عليهما انه قال كان بين الاب
الذي حفظا فيه سبعة اباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام
جرى بينهما بم حفظ الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير فقال قد انبانا الله انكم
قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما
فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي وراي وانما فعلته بامر الله ذو القرنين
هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران
نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فكان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه
العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه
وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول
يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة
وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه كرم
الله وجهه فقال احب الله فاحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس
بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله
فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى
التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف
قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته
قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت
صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز

ان يلقب بذلك لشجاعته وكان يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس
لها غيره والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل واشياعه والخطاب
في عليكم لاحد الفريقين من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه
سببا طريقا موصلا اليه والطريق ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد
بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع وقرئ حمئة من
حمئت البئر اذا صارت فيها الحماة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت
الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة والحسن
وابن عمرو وعمرو بن العاص وقرأ ابن عباس حمئة قال معوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرا
فقال كما قرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك
نجده في التوراة وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع

فراى مغيب الشمس عند مآبها ... في عين ذي خلب وثاط حرمد

اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة
للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل واما ان يدعوهم الى الاسلام
فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم
العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل صالحا ان عمل ما
يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى عمله ان تجازى المثوبة الحسنى او فله الفعلة الحسنى
التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ
من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نامره
بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر
كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى
بلغ مكان مطلع الشمس كقوله مجر الرامسات ذيولها الذي احوج الى تقدير مضاف
محذوف انه لا بد مشبه بالقضيم الذي في اخر البيت وهو الجلود كانوا يكتبون فيها ولا
بد من عامل في الظرف واسم المكان لا يعمل فلذلك قدروا كان اثار مجر الرامسات
حتى صح الحسبان بين كان مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية

وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب اذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا
الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هولاء فقيل بينك وبينهم مسيرة
يوم فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا
جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي
ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا
سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج
لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر
من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما
لديه من الجنود والالات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم
من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان
من كل جنس والثياب من كل صنف وقد بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها
وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم
في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من امن منهم بين السدين بين الجبلين وهما
جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم
وما كان من عمل العباد فهو مفتوح فان السد فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه
والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما
انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه
من الظروف التي تستعمل اسما وظرفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق
من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفقهونه الا بجهد ومشقة
من اشارة ونحوها كانهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان
لغتهم غريبة مجهولة ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا بهمزتين
وقرا رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من
الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع
فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف من صلبه

كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرط الطول وقصار مفرط القصر فهل
خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال قرئ سدا بالضم والفتح
ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج
فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان فما اتاني الله خير مما اتاكم قرئ بالادغام وتركه فاعينوني
بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالالات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر
من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الا ساس
من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين
الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط
والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى
وسووا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال
كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رايته والصدفان بفتحتين جانبا
الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون
الدال والصدف بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب
بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ
قال ايتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء
وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرا بادغام التاء في الطاء فلا فرق بين الساكنين على
غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب
لصلابته وثخانته هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا
الاقدار والتمكين من تسويته فاذا وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف ان
ياتي جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد
اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان
وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في
بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج
وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي ياتون البحر
فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس

ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل في اذانهم
فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي
ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القران وتامل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي
وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع
السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصميت اسماعهم فلا استطاعة لهم للسمع عبادي من
دوني اولياء هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم
وقرا ابن مسعود اظن الذين كفروا وقراءة علي رضوان الله عليه افحسب الذين كفروا
اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم
الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك
لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة نزلا النزل ما يقام للنزيل
وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان كقوله
عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب عن علي عليه السلام ان ابن الكوا ساله عنهم فقال
منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال
تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار
وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ
فلا يقيم بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل قلت الاوجه ان يكون في محل
الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا
على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم حولا التحول يقال حال من مكانه حولا
كقوله عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى التحول عنها لانها
اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الجنة في اي نعيم كان فهو طامح
طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود المداد اسم لما تمد
به الدواة من الحبر ولما يمد به السراج من السليط ونفاد السماء ونفاد الارض والمعنى لو كتب
كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات
غير نافذة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس
بمثله مدادا وقرا الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ

معدا بالياء وقيل قال له حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا
قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يامل حسن لقاء ربه
وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة
ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول
الله صلى الله عليه واله وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك
فيه وروي انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلم
اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة
الكهف عن اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء
وعنه عليه السلم من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ بعون الله تعالى

سورة مريم وهي تسعون وثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن
العظم مني كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرا الحسن ذكر رحمة ربك
اي هذا المتلو من القران ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر اي سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر
والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وعن الحسن
نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين
خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف
في سن زكريا فقيل ستون وقيل خمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون وقرئ وهن العظم
بالحركات الثلث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت
قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال
على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد
اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها واشتعل الراس
شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امراتي ادغم السين في الشين

عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه
كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو
الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة
وشهد لها بالبلاغة ٥ توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا ساله
وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا وقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته ٥ كان مواليه وهم
عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة
على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه ٥ من ورائي بعد
موتي وقرا ابن كثير من وراي بالقصر ٥ وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف
او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون
الامر من ورائي ٥ وقرا عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من وراي وهذا
على معنيين احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي بعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة
امر الدين فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه ٥ والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت
ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد ٥ عاقرا فهب لي من لدنك وليا
يرثني ويرث من ال يعقوب رب رضيا من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا
من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة
يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدقني وعن ابن عباس رض والجحدري يرثني
وارث ال يعقوب الجحدري عن الجحدري او يرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن علي رض وجماعة
من ال يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان
الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من ال يعقوب الملك يقال ورثته وورثت
منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان ال يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا ع
من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان
من نسل سليمان بن داود ٥ يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ٥ قال رب
انى يكون لي غلام سميا ٥ لم يسم احد يحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع
واياها كانت العرب تعنى في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم
شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب ٥ وقال رؤبة للنسابة البكري وقد ساله عن

نسبه

نسبه انا ابن ابي العجاج فقال قصرت وعرفت ٥ وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله تعالى هل
تعلم له سميا ٥ وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل
والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد
سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه
ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت
الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامراته على صفة
العتى والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع
المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا على منهاج واحد في ان الله غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو
اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسى من اجل الكبر والطعن
في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا ٥ وقرا ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين
وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرا ابي ومجاهد عسيا ٥ وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من
الكبر عتيا ٥ قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ٥ قال رب اجعل لي اية
قال ايتك الا كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة
الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرا
الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو علي ذلك يهون علي
ووجه اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا
القراءتين اي قال هو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى
انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء
وقوله اذا راى غير شيء ظنه رجلا وقرا الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك اي اجعل لي
علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي
الخلق ما بك خرس ولا بكم دل ذكر الليالي هنا والايام في ال عمران على ان المنع من الكلام استمر به
ثلثة ايام ولياليهن او حي اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على
الارض ٥ تكلم الناس ثلث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة
وعشيا ٥ يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا ٥ وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا ٥ سبحوا
صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة اي خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق والتاييد الحكم

الحكمة ومنه واحكم لحكم فتاة الحي يقال احكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتورية والفقه في الدين عن ابن عباس رض
وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة
لان الله احكم عقله في صباه ٥ واوحى اليه ٥ حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد
سيبويه وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف ٥ وقيل حنانا من الله
عليه ٥ وحن في موضع ارتاح واشتاق ثم استعمل في موضع العطف والرافة وقيل لله حنان كما
قيل رحيم على سبيل الاستعارة ٥ والزكوة الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق
عليهم سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة [illegible] اوحش المواطن ٥ وبرا بوالديه
ولم يكن جبارا عصيا ٥ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ٥ واذكر في الكتاب
مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا ٥ فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا
اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها
هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه ٥ والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت في مكان للعبادة
مما يلي في بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس ٥ وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من
الحيض محتجبة بحائط او شيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها
فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة ادمي شاب امرد وضيء
الوجه جعد الشعر ٥ فتمثل لها بشرا سويا ٥ سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الادمية
شيا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا
لها في صورة الملكية لنفرت ولم تقدر على سماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من
تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على هذه الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل
زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في
الجبل لتغلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت وجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها
في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم
مكانا شرقيا ٥ الروح جبريل ع لان الدين يحيى به وبوحيه او سماه الله تعالى روحه على المجاز محبة له
وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرا ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة
الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين
وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا ارادت ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالا

به فاني

به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ٥ قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ٥
قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ٥ قالت اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك غلاما زكيا لاكون
سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك غلاما او هي حكاية
لقول الله تعالى جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله تعالى من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء
والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر ٥ خبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمن ٥ ان يراعى فيه الكنايات والاداب
والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب
التمام هي فعيل ولو كان فعولا لقال بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر ومسو عن المعروف ٥ انى يكون لي
غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس
ورحمة منا وكان ولنجعله تعليل معلله محذوف اي ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف
على تعليل مه قدرتنا ولنجعله اية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق
ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه امرا مقضيا ٥ فحملته
فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك
من جريه عليك او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه اية ورحمة والمراد بالاية العبرة
والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد و
التوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين ٥ عن ابن عباس رض فاطمانت الى
قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كان مدة الحمل ستة
اشهر وعن عطاء ابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى ع
وقيل ثلث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس
من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت
ثلث عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا من مولود الا يستهل غيره ٥ فانتبذت
به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله ٥ تدوس بنا الجماجم والتريبا ٥ اي تدوس الجماجم ونحن على
ظهورها ونحوه تنبت بالدهن ٥ اي تنبت ودهنها فيه الجار والمجرور في موضع الحال
قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل ٥ وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف
فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه
بان يقتلها فاتاه جبريل ع فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها انا منقول من جانب الا

الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجا الا ترى كلا تقول جئت المكان واجاسه زيد كما تقول
بلغته وابلغته ونظيره اتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت المكان واتانيه
فلان قرا ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد
في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء
ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلوا اما ان يكون من تعريف الاسما
الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس
فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذاك دون غيره من جذوع النخل واما ان تكون تعريف
الجنس اى جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى ارشدها الى النخلة ليطعمها منها
الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل شئ صبرا على البرد وثمارها انما
هو من جمارها فلموافقتها لها مع جميع الايات فيها اختارها لها والجاها اليها ۝ جذع النخلة
سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من
البشر احدا فقولى انى قراءة مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات ۝ النسى اسم ما من حقه
ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح فى قوله تعالى وفديناه بذبح
عظيم ۝ وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساكم اى الشئ اليسير نحو العصى والقدح
والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يوبه له من شانه وحقه ان فى العادة وقد
ما طرح فوجد فيه النسيان الذى هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم
العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذ بهتوها وحال عارفة ببراءة
الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض
قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب
التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا تعاب به وتعنف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله
بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز
وبجواز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظى نسأ بالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء
ينسوءه اهله لقلته ونزارته وقرا الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها
هو جبرائيل ع قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى ع وهى قراءة عاصم وابى عمرو وقيل

تحتها

تحتها اسفل من مكانها كقوله تجرى من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها
الا تحزنى وقراء نافع وحمزة والكسائى وحفص من تحتها وفى ناديها ضمير الملك او عيسى ع وعن قتادة
الضمير فى تحتها للنخلة وقرا زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل عن النبى ص عن السرى فقال
هو الجدول قال لبيد فتوسطا عرض السرى فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو
والمراد عيسى ع وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب
حتى تسلى بالسرى والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث
انهما معجزات تريان الناس انها من اهل العظمة والبعد من الريبة وان مثلها فرقوها به بمعزل وان
لها امورا الهية خارجة من العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير
فحل ليس ببدع من شانها ۝ تساقط تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التائين وتساقط
بطرح الثانية وتساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط ويسقط وتسقط التاء
للنخلة والياء للجذع ۝ ورطبا تميزا ومفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزى
وليس بذاك والباء فى الجذع النخلة هلة للتاكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او على
معنى افعلى الهزبه كقوله يجرح فى عراقيبها نصلى قالوا التمرة للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك
التحنيك ۝ وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل
اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ۝ عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع ۝
اى جمعنا لك فى السرى والرطب فائدتين احديهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر
لكونهما معجزا وهو معنى قوله فكلى واشربى وقرى عينا اى وطبى نفسا ولا تغتمى وارفضى عنك
ما احزنك واهمك وقرئ وقرى بالكسر لغة نجد ۝ ترئن بالهمزة ابن الرومى عن ابن ابى عمرو وهذا
من لغة من يقول لبات بالهمز والحج وحلات السويق وذلك لتاخ بين الهمزة وحروف اللين فى
الابدال ۝ صوما صمتا وفى مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا انهم
كانوا لا يتكلمون فى صيامهم وقد نهى رسول الله ص عن صوم الصمت لانه نسخ فى امته امرها الله
تعالى بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها فى الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى ع يكفيها
الكلام بما يبرئ به ساحتها والثانى كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت
عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم
بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اى اكلم الملائكة دون الانس نذرت للرحمن

صوما فلن اكلم اليوم انسيا ۝ فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ۝ يا اخت هرون
ما كان الفرى البديع وهو من فرى الجلد هرون كان اخاها من ابيها من امثل بنى اسرائيل
وقيل هو اخو موسى ع وعن النبى ص انما عنوا هرون النبى وكانت من اعقابه فى طبقة الاخوة
وبينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدى كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون كما يقال
يا اخا همدان اى يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح فى زمانها شبهوها به اى كنت عندنا
مثله فى الصلاح او شبهوها به ولم يرد به اخوة النسب وذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون
الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا انا كنا نشبهك بهرون هذا ۝ ابوك امرا سوء وما كانت
امك بغيا ۝ وقرا عمر بن لجاء التيمى ما كان اباك امرا سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى
غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى ع فى الطريق فقال
يا اماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحين تباكوا و
قالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى ع فتركوها فاشارت اى هو الذى يجيبكم اذا انا طقتموه
وقيل كان المستنطق لعيسى ع زكريا ع وعن السدى لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا
اشد علينا من زناها وروى انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا
على يساره واشار بسبابته وكلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع
مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هيهنا لقريبه خاصة والدال عليه
معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه ان يكون تكلم حكاية حال ماضية اى كيف عهد قبل عيسى
ان يكلم الناس صبيا فى المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله
ردا لقول النصارى فاشارت اليه كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ۝ قال انى عبد الله اتانى
الكتاب وجعلنى نبيا واجعلنى مباركا اين ما كنت واوصانى بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا
بوالدتى ولم يجعلنى والكتاب هو الانجيل واختلفوا فى نبوته فقيل اعطيها فى طفوليته اكمل الله
تعالى عقله واستنبا طفلا نظرا فى ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق فى قضائه او جعل الاتى
لا محالة كانه قد وجد ۝ مباركا اينما كنت عن رسول الله ص نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير
قرى وبرا عن ابن نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل فى معنى اوصانى وهو كلفنى
لان اوصانى بالصلوة وكلفنى واحد جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا ۝ والسلام على قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من

فعل

فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى ع فى المواطن الثلثة موجه الى والصحيح ان يكون هذا
التعريف تعريضا باللعنة على متهمى مريم ع واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال
وجنس السلام على خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع
الهدى يعنى ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا
من التعريض ۝ قراء عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن
قول الحق بضم القاف وكذلك فى الانعام قوله الحق والقول والقال والقول فى معنى واحد كالرهب والرهب
والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتداء محذوف واما انتصابه فعلى
المدح ان فسر بكلمة الله تعالى وعلى انه مصدر موكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك
هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى ع كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها
وهى قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمى العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد
بقول الحق عيسى ع ان يكون الحق اسم الله تعالى وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذى
فيه يمترون اى امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمادون يتلاجون
قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله ثم ثالث ثلثة وقراء على ع تمترون على الخطاب
وعن ابى بن كعب قول الذى كان الناس فيه يمترون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه
وانه مما لا يتاتى ولا يتصور فى المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان يكون ذاته
كذات من ينشا منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها
من شبه الحيوان الوالد والقول هيهنا مجاز ومعناه ان ارادته للشئ يتبعها كونه لا محالة من غير توقف
وشبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل قراء المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه
ولانه ربى وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاستاد وابو عبيدة
بالكسر على الابتداء وفى حرف ابى ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اى بسبب ذلك فاعبدوا الله
الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبى ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان
لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربى وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد
يوم عظيم وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن
الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى ع اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد

يوم عظيم ○ او من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف
او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم العظيم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم
وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا
به في عيسى وامه ○ ولا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير
بان يتعجب منها بعدما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون ويبصرون فيما
يسوءهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعني الظالمين موضع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم
حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر
والاستماع ○ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب
بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وعن الحسن وانذرهم اي وانذرهم على هذا الحال
غافلين غير مومنين ○ اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ○
وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يومنون انا نحن نرث الارض ومن عليها
والينا يرجعون يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب بها
واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا ○ اذ قال لابيه يا ابت الصديق من ابنية
المبالغة نظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه
ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذه التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم
وكان نبيا كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين ○ او كان بليغا في الصدق لان ملاك
امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حريا ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا
بين البدل والمبدل منه اعني ابرهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان تعلق
اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصايص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبة
والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم
نبا ابرهيم والا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيله ○ التاء في ابت عوض من ياء الاضافة
ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتاه لكون الالف بدلا من الياء وشبه
ذلك سيبويه باسنة وتعويض التاء فيه عن الساقطة ○ انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان
متورطا فيه من الخطاء العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز
ومن الغواية التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ابرق مساق مع استعمال

الى

واللطف والرفق ○ ولا دب لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني
من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ○ يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا الجميل والخلق الحسن مصحا في ذلك بنصيحة ربه تعالى حدث ابو هريرة قال قال ر
رسول الله اوحى الله الى ابرهيم عم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار
فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري
وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطابه طلب منه عن تماديه موقظا لافراطه وتناهيه
لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب بالنفع المبين والظلم العظيم
وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم ان
تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ○ وذلك ان العبادة التي
هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب
الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ○ ان تكون هذه
الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح المنير الى مركز
له الفاسد المظلم فما ظنك عن وجهه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا
عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئة خضوعك وخشوعك له فضلا عن ان يغني عنك
بان تستدفعه بلاء فيدفعه وتسنح لك حاجة فيكفيها ○ ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به
متلطفا فلم ○ اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم
وشيئا منه ليس معك وذلك علم بالدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي
معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ○ ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان
عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو
عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك ادم وابناء جنسك كلهم هو الذي
ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابرهيم
لامعانه في الاخلاص لا رتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص
منهما بسبب الله من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر
في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ○ ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجر
ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب

لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية
الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب ○ وذلك ان رضوان الله تعالى اكبر
من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك
هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب
نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصايح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا
عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال اراغب
انت عن الهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا ○ قال سلام عليك ساستغفر
لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى ان لا اكون
بدعاء ربي شقيا ○ فلما اعتزلهم ما في ما لا يسمع وما لا يبصر يجوز ان يكون موصولة
وموصوفة والمفعول في ما لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار
وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان
يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك
قد جاءني فيه تجدد العلم عنده لما اطلعه على سماحة صورة امره وهدم مذهبه
بالحجج القاطعة وفي صحة المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة
الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على
المبتداء وقوله اراغب انت عن الهتي ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا
تصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه ○ لارجمنك لارمينك
بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك
رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالحجارة مليا زمانا طويلا ○ الملاوة او مليا بالذهاب
عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان ملي اذا كان مطيقا له
مضطلعا به فان قلت علام عطف واهجرني ○ قلت على معطوف عليه محذوف
يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع ○ سلام عليك
سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال
هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار فان قلت

كيف

كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد
الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يومر المحدث والفقير
بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي
انه كان من الضالين لانه وعده ان يومن واستشهدوا بقوله وما كان استغفار ابرهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو
السمع فاما القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل
ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة
وعدها اياه والله اعلم الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به ○ اراد بالاعتزال
المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله الدعاء
هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذي
حكاه الله تعالى في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء الهتهم في قوله عسى ان لا
اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة قوله عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على
احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه ولدا مومنين انبياء ○ من رحمتنا هي النبوة عن
الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي اوتوه ○ لسان
الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد
وهي العطية قال اني اتى لسان لا اسر بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم
وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه
اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى
عليه المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه
لله وبالفتح الذي اخلصه الله ○ الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي
ينبئ عن الله تعالى وان لم يكن معه كتاب كيوشع الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى
او من اليمن صفة للطور او الجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حين كلمه بغير
واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التورية من رحمتنا

من اجل رحمتنا عليه وترؤفنا عليه ووهبنا له هرون او بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا
واخاه على هذا الوجه بدل وهرون وما تعبدون من دون الله ووهبنا له اسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيا ۝ ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر في الكتاب
موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه ۝
عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى ع فوقعت الهبة
على معاضدته ومؤازرته كذا عن ابن عباس رض ۝ ذكر اسمعيل ع بصدق الوعد وان كان
موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه
المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس رض انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان
فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان
شاء الله من الصابرين ۝ كان يبدأ باهاليه في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن
وراهم ولانهم اولى من ساير الناس بذلك من قوله وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك
بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان
الدينى اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في
عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصلحاء ان لا يالوا نصحا للاجانب فضلا على الاقارب والمتصلين
به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرطوا في ذلك قيل سمى ادريس لكثرة دراسته كتاب الله تع
وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو
العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمى وليس من الابلاس
كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم
يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى
ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوى مشتقا من الدرس ۝ المكان العلى شرف
النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر
في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك
يرفعه انه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن
الى الجنة لا شىء اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدى انه لما انشد رسول الله ص الشعر الذى
اخره بلغنا السماء والارض مجدنا وسناءنا وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا قال له رسول الله

ص

ص الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى
ادريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في اخر سورة الفتح وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية
للتبعيض وكان ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابى نوح وابرهيم من ذرية
من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل عمن ذريته ابرهيم وموسى
وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائل وكذا عيسى ع لان مريم من ذريته وممن هدينا
يحتمل العطف على من الاولى والثانية ۝ نجا ۝ ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون
نبيا ۝ واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ۝
وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب
ادريس انه كان صديقا نبيا ۝ ورفعناه مكانا عليا ۝ اولئك الذين انعم الله
عليهم من النبيين من ذرية ادم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم
واسرائل وممن هدينا واجتبينا ۝ ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى كلاما
مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا قرا شبل بن عباد المكى يتلى بالتذكير لان
التانيث غير حقيقى مع وجود الفاصل ۝ اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا
وبكيا فخلف من بعدهم البكى جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد
عن رسول الله ص اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المرى
قرات القران على رسول الله ص في المنام فقال لى يا صالح هذه القراءة فاين البكاء
وعن ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم
تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله ص ان القران نزل بحزن فاذا قراتموه
فتحازنوا وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق باياتها فان قرا اية التنزيل
السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك
ان اكون من المتكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من
الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا هذه قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم
عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك ۝ خلفه اذا عقبه
ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير

ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضى الله عنه هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر
واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم ومجاهد اضاعوها بالتاخير وينصر الاول
قوله الا من تاب وامن يعنى الكفار وعن على ع اى انهم اليهود في قوله واتبعوا الشهوات
من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة وقرا ابن مسعود
والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا
يحمد الناس امره ۝ ومن يغو لا يعدم على الغى لائما وعن الزجاج جزاء غى كقوله يلق
اثاما اى مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غى واد في جهنم تستعيذ منه
اوديتها وروى الاخفش يلقون قرى خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف
يلقون غيا ۝ الا من تاب وامن وعمل صالحا ويدخلون لا ينقصون شيا من جزاء اعما
لهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك
ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا يظلمون البتة اى شيا من الظلم لما كانت الجنة
مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالى وعدن
معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما
لمعانى السحر والفينة والامس فجرى مجرى العلم لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها
مقام اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا يبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ
وصفها بالتى وقرئ جنات عدن بالرفع على الابتداء اى وعدها وهى غائبة غير حاضرة او هم
غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به قيل في ماتيا مفعول بمعنى
فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او هو من قولك اتى اليه احسانا اى كان
وعده مفعولا منجزا ۝ اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على
وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه عنه الدار التى لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا
مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض
فيما لا يعنينا اى ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون
لغوا الا ذلك فهو من وادى قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع او لان

معنى السلام

معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعاء
بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام
فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا ۝ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب
انه كان وعده ماتيا ۝ لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم ۝ فيها بكرة
وعشيا ۝ من الناس من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهى عادة المنهومين
ومنهم من يتغدى ويتعشى وهو العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار
ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق
ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ۝ تريد الديمومة ولا تقصد
الوقتين المعلومين ۝ تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا ۝ وما نتنزل الا بامر
ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك نورث وقرئ نورث استعارة اى نبقى
عليه على الوارث مال الموروث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيمة قد انقضت اعمالهم
وثمرتها باقية وهى الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما نورث الوارث المال
من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل حكاية
قول جبرئيل ع حين استبطاه رسول الله ص روى انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر
وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى
الله تعالى فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبرئيل
قال له النبى ابطات حتى ساء ظنى واشتقت اليك قال انى كنت اشوق ولكنى عبد مامور اذا
بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الاية والسورة والضحى والتنزل على معنيين
معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسى ولكن لملاك تنزل من جو
السماء يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع
هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا
وحكمة ۝ وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان
ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل
حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا

ان ننقلب في الملكوت الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من
امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة ٥ وقيل
ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها ٥ وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا
وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط
بكل شيء لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا
عما توجبه حكمته ويامرنا به وياذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك
كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس
الوحي فلم يكن عن ترك الله وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة ٥ وقيل هي حكاية قول
المتقين حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا بامر من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا
بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السابقة والمترقبة والحاضرة اللاطف
في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك
نسيا لاعمال العاملين وما كان ربك نسيا ٥ رب السموات والارض وما بينهما
فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ٥ ويقول الانسان اذا ما مت لسوف
اخرج حيا ٥ اولا يذكر الانسان انا غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز
النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما ثم قال لرسوله حين
عرفته على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين
وقرا الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود
الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف في النسي مثله في البغي ٥ رب السموات والارض
بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر المبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده
كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم ٥ وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا
من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي
صلته كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب
اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد
ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط

وعن احساس

وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك ٥ اي لم يسم بالله شيء قط وكانوا يقولون
لاصنامهم الهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود
الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه اخر هل تعلم من سمي باسمه
على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية ٥ وقيل
مثلا وشبها اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد
من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها ٥ يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره
وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين
ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون
بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق فسيف بني عبس وقد
ضربوا به ٥ نبا بيدي ورقاء عن راس خالد ٥ فقد اسند الضرب الى بني ٥ عبس مع قوله
نبا بيدي ورقاء ٥ وهو ورقاء ابن زهير بن جذيمة العبسي فان قلت بم انتصب اذا
وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر يدل عليه
المذكور ٥ فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت
حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصا للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض
واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا احقا انا سنخرج احياء
حين يمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الارض
او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك
يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرا الحسن وابو حيوة لسوف اخرج عن طلحة بن
مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من
قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم وهو كقولهم للمسيء
الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسات اليه ٥ الواو عطفت لا يذكر على يقول
ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال
النشاة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك ادل اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث
اخرج الجوهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التاليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن

فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته
ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه
وليس فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة
بعد التفكيك والتفريق قوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون
عليه على ان رب العزة سواء عليه النشاتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج
الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث
بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله ٥ القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد
الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر من قبل من قبل الحال
التي هو فيها وهي حالة بقائه ٥ في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه
ورفع منه كما رفع من شان السماء والارض في قوله تعالى فورب السماء والارض
انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان يكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى
انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان
في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم
فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين ٥ قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فان قلت خلقناه من قبل ولم
تك شيئا ٥ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من
كل شيعة هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم
وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم جثيا ٥ واوردوا معهم النار ليشاهد
السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا
الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم
من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا ٥ قلت اما اذا
فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم
التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف
وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات

من

من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى جثوا وان فسر بالعموم فالمعنى
انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف
متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب ٥ المراد بالشيعة وهي
فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا قال الله تعالى ان الذين
فارقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم
فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم
بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها كانه قال لنحن
اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم
اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم اشد وسيبويه على
انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو
اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم
اشد عتيا ٥ وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ
الفراء فان قلت بم يتعلق على واولى فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه قلت هما
للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى ايهم
اشد على الرحمن عتيا ٥ ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ٥ وان منكم الا واردها كان
على ربك حتما مقضيا ٥ بالنا كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا ٥ وان منكم
التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس
من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود الدخول فيها وهي خامدة
فتعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كانها اهالة وروى
دواية جابر بن عبد الله انه سال رسول الله ص عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة
الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة
وعنه رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله ص يقول الورود الدخول لا يبقى
بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار
ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود

والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وان ابن عباس قد يرد الشيء بالشيء ولا يدخله كقوله ولما [...] البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المومن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مومن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين ٥ الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم على ان لا يكون غيره قرئ ننجي وننجي ونجي على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون ٥ وفي قراءة ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد واذا تتلى عليهم ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المومنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الكفرة في مكانهم جاثين اياتنا بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بيّن الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا موكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين امنوا يحتمل انهم يناطقون المومنين بذلك ويواجهونهم به وانهم يتفوهون به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ٥ قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين قرا ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع ٥ والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث يجتمعون والمعنى انهم اذا سمعوا الايات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المومنين بالايات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة بالثياب ثم يدعون

مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا ٥ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ٥ وهم احسن في موضع النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك من نصب احسن على الوصفية ٥ الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي شعر تقادم العهد من ام الوليد بنا ودهرا وصار اثاث البيت خرثيا ٥ قرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت وريئا على القلب كقولك راء في رأى وريا على حذف الهمزة وجهه ان يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وريا واشتقاقه من الري وهو الجمع لان الري محاسن مجموعة والمعنى احسن من هولاء ٥ اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا ٥ بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما ٥ او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس له في مدة حياته حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون في [...] الاية وجهان احدهما ان يكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون لا يتكافون عنه الا ان يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيمة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المومنين على خلاف صفتهم والثاني ان يتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا ينفع فيهم وليسوا من اهلها

والمراد بالضلالة ما دعاهم عن جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه ولا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المومنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكي بعدها الجمل الا ترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان ٥ من هو شر مكانا واضعف جندا ٥ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا ٥ افرايت الذي كفر باياتنا يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة ومد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الاخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد ٥ وهل يرد بكاي زندا ٥ فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله [...] اذا اراح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخبر كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء في برده ٥ لما كانت مشاهدة الاشياء ورويتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك ٥ وقال لاوتين مالا وولدا ٥ اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ٥ اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ٥ ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول او قد بلغ في من عظم عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى

ان ما ادعى ان يوتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك ٥ قرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجوا بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه انه يوتيه ذلك عن الحسن رحمة الله نزلت الاية في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم مبعوثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطاء اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ٥ اي تبين وعلم بالانتساب ٥ اني لست بابن لئيمة ٥ والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستاخر فجرد هاهنا لمعنى الوعيد ٥ ونمد له من العذاب اي نطول له من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزؤن او نزيده من العذاب ونضاعفه له من المدد يقال مده وامده بمعنى ويدل عليه قراءة علي بن ابي طالب ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ بالله من التعرض لما نستوجب به غضبه ٥ ونرثه ما يقول وياتينا فردا ٥ واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ٥ الم تر انا ارسلنا الشياطين ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الاخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يوتيه الله مالا وولدا في الدنيا وبلغت به اشعبيته ان تالى على ذلك

في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتال على الله يكذبه فيقول الله تعالى هب انا اعطيناه
ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا او غدا بلا مال ولا ولد كقوله تعالى
ولقد جئتمونا فرادى الاية فما يجدي عليه تاويله وتمنيه ويحتمل ان هذا القول انما
يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه
غير قايل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه
في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم
نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطاب تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه
الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين يأتي
ثم يتفاوتون بعد ذلك ○ اي ليتعززوا بالهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء
وانصارا ينقذونهم من العذاب ○ كلا ردع وزجر لهم وانكار لتعززهم بالالهة
وقرا ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم
كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل
هذا الراي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع
قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا ○ والضمير في سيكفرون للالهة اي سيجحدون
عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا راى
الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم
القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ○ عليهم ضدا في مقابلة لهم
عزا اي يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان العون سمي ضدا
لانه يضاد عدوه وينافيه باعانته له عليه فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله
عليه السلم وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامنهم وتوافقهم
ومعنى كون الالهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا
بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى فيكونون
عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها ○ على الكافرين

نوزهم ازا ○ فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ○ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ○ ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا ○ الاز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة
الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا
بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الايات التي
ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاءهم
بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجماعهم على دفع
الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم
عجلت منه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح
انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب
من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي
تعد فيها لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان اذا قراها بكى قال اخر العدد خروج نفسك
اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان
عند المامون فقراءها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما ينفد
نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم
نحشر ويجوز ان ينصب بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم
الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة
عندهم وعن علي عليه السلم ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب
سروجها ياقوت وذكر الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم
عطاش تساق الى الماء ○ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ○ وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا ○ والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش
وحقيقة الورد المسير الى الماء قال الشاعر ردي ردي ورد قطاة صما كدرية
اعجبها برد الماء فسمي به الواردون وقرا الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون ○ الواو
في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة

ويجوز ان يكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل
من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ
والمراد لا يملكون ان يشفع لهم ○ واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وعلى اله قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء
عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك
وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير
واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال
ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم
عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير الى فلان
بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا الماموربالشفاعة الماذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا
قرئ ادا بالفتح والكسر قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادني
اثقلني وعظم علي ادا ○ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ○ تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء
وقرا ابن مسعود ينصدعن ○ اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها
تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر
هذه في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله تعالى يقول كدت افعل هذا بالسموات
والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا
اعجل بالعقوبة كما قال الله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان
امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة و
تهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعدها وان مثال
ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق

وتخر ○ وفي قوله تعالى لقد جئتم شيئا وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات
في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا
في ان دعوا ثلثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله على حال تكون الوان في القوم
حاتما على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا
لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن مرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها
دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق
هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما
قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد
جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى
مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طالبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا
او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عم من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر
انا بني نهشل لا ندعي لاب ○ عنه اي لا ننتسب اليه ○ انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى
له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة
فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم
سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ان كل من في السموات والارض
الا اتي الرحمن عبدا لقد احصيهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيمة فردا ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ○ فانما يسرناه بلسانك لتبشر من موصوفة
لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره وقرا ابن
مسعود وابو حيوة ات الرحمن على اصله قبل الاضافة ○ الاحصاء الحصر والضبط بمعنى
حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا ○ الذين اعتقدوا في الملئكة وعيسى
وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا
والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم
لابائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الايات ثم عقبه بهدم الكفر الاخر والمعنى
ما من معبود لهم في السموات والارض من الملئكة ومن الناس الا هو ياتي الرحمن اي ياوي اليه

ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكل واحد منهم ياتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم برآء منهم ۝ قرأ جناح ابن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي توجب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وعلى آله قال لعلي عليه السلام يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يقول الله عز وجل يا جبرائيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه ۝ هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر به المتقين وتنذر به قوما لدا ۝ وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا ۝ واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لججهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرأ حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به

ويحيى

ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسماعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ۝ ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ۝ الا تذكرة لمن يخشى ابو عمرو فخم الطا لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون امالوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وعلى آله كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا فصار يطا فبني قال ۝ لا هناك المرتع ۝ ثم بني عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفي بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين والاقوال الثلثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ۝ ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام ۝ وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان تكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله فلعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا ۝ لا بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة ۝ وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمعدت قدماه فقال له جبرائيل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول

وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فان قلت اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ۝ ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤل امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية ۝ تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى ۝ له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ۝ وفي نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه ۝ وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين ۝ وان ينصب على المدح والاختصاص وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ۝ ما بعد تنزيل الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته الى من هذه صفاته وافعاله لا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظة الغيبة ۝ ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبرائيل والملئكة النازلين معه ۝ وصف السموات والارض بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها ۝ قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق فان قلت

الجملة

الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وان رفعت جاز ان يكون كذلك وان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد وبخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة ۝ وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء به علما وليس بذلك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر ۝ الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن ۝ وهل اتيك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به في تحمل اعباء النبوة ۝ وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود ۝ يجوز ان ينتصب

اذ طرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اى حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا عليه السلم فى الخروج الى امه وخرج باهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا فى مكانكم ٥ الايناس الابصار البين الذى لا شبهة فيه ومنه انسان العين فانه يتبين به الشئ والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلى ولم يقطع فيقول انى اتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به ٥ القبس النار المقتبسة فى راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى اى قوما يهدوننى الطريق او ينفعوننى بهداهم فى ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار معمورة بالهمة الدينية فى جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ٥ فلما اتيها نودى يا موسى انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى ٥ وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ٥ اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلوة لذكرى ٥ ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنها قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق ٥ قرا ابو عمرو وابن كثير انى بالفتح اى نودى بانى انا ربك وكسر الباقون اى نودى فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير فى انى انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات الست واسمعه بجميع اعضائى ٥ وروى انه حين انتهى راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وروى انه كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت ٥ وعن ابن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس فى نفسه

جنفه

حيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم ٥ قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة ٥ وقيل ليباشر الوادى بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حفاة ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول متنعلا تصدق والقران يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادى ٥ طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتاويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اى نودى نداءين او قدس الوادى كرة بعد كرة ٥ اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأة حمزة وانا اخترناك ٥ لما يوحى للذى يوحى او للوحى تعلق اللام باستمع او باخترتك ٥ لذكرى لتذكرنى فان ذكرى ان اعبد ويصلى لى او لتذكرنى فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاص ذكرى وطلب وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها عرضا اخر او لتكون لى ذاكرا غير ناس فعل المخلصين فى جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا ٥ عن ذكر الله او لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها فى قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله يا ليتنى قدمت لحياتى وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله عليه السلم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اى لذكر صلوتى او لان الذكر والنسيان من الله تعالى فى الحقيقة وقرا رسول الله صلى الله عليه واله للذكرى ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى اى اكاد اخفيها فلا اقول هى اتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسى ولا دليل فى الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذى غرهم منه ان فى مصحف ابى اكاد اخفيها من نفسى وفى بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسى فكيف اظهركم عليها وعن ابى الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اى قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وجاء فى بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس شعر فان تدفنوا الداء لا نخفه ٥ وان تبعثوا الحرب

لا نقعد ٥ فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق باتية ٥ بما تسعى بسعيها ٥ اى لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلوة فان قلت العبارة لنهى من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث وامره بالتصديق فكيف صحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثانى ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل فى الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا ارينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع فى صدك عما انت عليه يعنى ان من لا يؤمن بالاخرة هم الجم الغفير اذ لا شئ اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفى هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله ٥ تلك بيمينك كقوله وهذا بعلى شيخا فى انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما ساله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا فى الخشبة اليابسة من قلبها حية نضاضة وليقرر فى نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هى فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هى تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجائب الصنعة وانيق السرد وقرا ابن ابى اسحق عصى على لغة هذيل ومثله يا بشرى لما لم يقدروا على كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرا الحسن عصاى بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخى وعن ابى اسحق سكون الياء اتوكا عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وعند الطفرة هش الورق خبطه اى اخبطه على رؤس غنمى تاكله وعن لقمان بن عاد اكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة تجنى وسيلا دفعا والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفى قراءة النخعى اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة اهس بالسين اى انحى عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما يعقب هذا السؤال

حرام

من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هى الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذى فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التى علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها على عقب ذلك الاية العظيمة كانه يقول له اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمارية الكبرى المعطية عندها كل منفعة ومارية كنت تعدها وتحتفل بشانها وقالوا انما ساله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى ليساله عن تلك المارب فيزيد فى اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل فى المارب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام السعى المشى بسرعة وخفة حركة فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم ٥ قال هى عصاى اتوكؤا عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مارب اخرى ٥ قال القها يا موسى فاذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى ٥ واضمم من الحيات والجان الدقيق وفى ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مالها والثانى انها كانت فى شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما راها تهتز كانها جان قيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا فلما راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما راه يبتلع كل شئ نفر وعن بعضهم

انما خافها لانه عرف ما لقى ادم منها الا انها من الشجرة التى اكل منها ادم عليه السلام وقيل لما قال له
ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها السيرة
من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسعت فيها فنقلت الى معنى
المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اى سنعيدها فى طريقتها
الاولى اى فى حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير
وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها
مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت
بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما انشاناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اى
تسير سيرتها الاولى يعنى سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها ولك
فيها المارب التى عرفتها قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان
جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران
والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج بيضاء من غير سوء السوء الرداءة
والقبح فى كل شىء فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة وكان جذيمة صاحب الزباء
ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شىء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم
لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل
من كنايات القران وادابه يروى انه كان يدك الجناح تخرج بيضاء من غير
سوء اية ادم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر بيضاء
واية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفى نصب اية
وجه اخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام
وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اى خذ هذه الاية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك
بهاتين الايتين بعض اياتنا الكبرى اى لنريك بهما الكبرى من اياتنا او لنريك من اياتنا
الكبرى فعلنا ذلك لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغى لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما
وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب
ربه ان يشرح صدره ويفتح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد

يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل عليه فى الجملة امره هو
خلافة الله فى ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب فان قلت
لى فى قوله اشرح لى صدرى ويسر لى امرى ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم
الكلام اولا فقيل اشرح لى ويسر لى فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما
فكان اكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدرى ويسر امرى على الايضاح
الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقى الاجمال والتفصيل عن ابن عباس كان فى لسانه رتة
لما روى من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد فى علاجها فلم
تبرا ولما دعاه قال الى اى رب تدعونى قال الذى ابرا يدى وقد عجزت عنها وعن بعضهم
انما لم تبرا يده لئلا يدخلها مع فرعون فى قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة
المواكلة واختلف فى زوال العقدة بكمالها فقيل بقى بعضها لقوله واخى هرون هو
افصح منى لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان فى لسان الحسين بن على رضى الله عنهما رتة فقال
رسول الله صلى الله عليه واله ورثها من عمه موسى واخرى لنريك من اياتنا الكبرى ه اذهب
الى فرعون انه طغى ه قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى ه واحلل عقدة من لسانى
يفقهوا قولى ه واجعل لى وزيرا ه من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى ه وقيل زالت
لقوله قد اوتيت سؤلك وفى تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لسانى انه طلب حل بعضها ارادة
ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لسانى صفة للعقدة كانه قيل عقدة
من عقد لسانى الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم
برايه ويلتجئ اليه اموره او من الموازرة وهى المعاونة عن الاصمعى قال وكان القياس ازيرا فقلبت
الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء فى معنى مفاعل مجيئا صالحا لقولهم عشير وجليس
وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت فى اخيه قلبت فيه وحمل الشىء على نظيره ليس بعزيز
نظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على
اولهما عناية بامر الوزارة او لا ووزيرا مفعولا وهرون عطف بيان للوزير واخى فى الوجهين
بدل من هرون وان جعل عطف بيان اخر جاز وحسن قرءوا اشدد واشركه على الدعاء
وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفى مصحف ابن مسعود اخى واشدد وعن ابى بن كعب

اشركه فى امرى واشدد به ازرى ويجوز فيمن قرا على لفظ الامر ان يجعل اخى مرفوعا على
الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون ه الازر القوة وازره اى قواه اى اجعله شريكى
فى الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به
الخير ويتكاثر ه انك كنت بنا بصيرا اى عالما باحوالنا وان التعاضد مما يصلحنا وان
هرون نعم المعين والشاد لعضدى بانه اكبر منى سنا وافصح لسانا السؤل الطلبة فعل
بمعنى مفعول كقولك خبز اى مخبوز واكل بمعنى ماكول ه الوحى الى ام موسى اما ان يكون على لسان
نبى فى وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث
الى مريم ه او يريها ذلك فى المنام فتتنبه عليه ه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اى
اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه والى العلم به الا بالوحى وفيه مصلحة دينية
فوجب ان يوحى ولا يخل به اى هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم واشركه فى امرى كى نسبحك
كثيرا ه ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك
مرة اخرى اذ اوحينا مثله حق بان يوحى ه ان هى المفسرة لان الوحى بمعنى القول ه القذف
مستعمل فى معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى
قال غلام رماه الله بالحسن يافعا ه اى حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضماير كلها راجعة
الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة قبح لما يؤدى اليه من تنافر النظم
فان قلت المقذوف فى البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف
والملقى هو موسى فى جوف التابوت حتى لا تفرق الضماير فيتنافر عليك النظم الذى هو ام اعجاز
القران والقانون الذى وقع عليه التحدى ومراعاته اهم ما يجب على المفسر ه لما كانت
مشية الله وارادته ان لا تخطى جرية .. ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه
سلك فى ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل
فليلقه اليم بالساحل روى انها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته
وقيرته ثم القته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس
بركة مع اسية اذا هو بالتابوت فامر به فاخرج الى امك ما يوحى ان اقذفيه فى التابوت
فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لى وعدو له والقيت عليك محبة منى ولتصنع

احسن اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك
ان يصبر عنه ظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اى يقشره
وقذف به   من الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة
نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة   ان يتعلق بالقيت فيكون
المعنى على   ومن احبه الله تعالى   واما ان يتعلق بمحذوف وهو صفة
لمحبة اى محبة حاصلة او واقعة منى قد ركزتها انا فى القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك
فرعون وكل من ابصرك يروى انه كانت على وجهه مسحة جمال وفى عينيه ملاحة لا يكاد يصبر
عنه من راه ه على عينى لتربى ولتحسن اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعى الرجل الشىء بعينه
اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عينى انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادى وبغيتى ولتصنع
معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترام ونحوه او حذف معلله اى ولتصنع فعلت ذلك
وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب اى ليكون
عملك وتصرفك على عين منى ه العامل فى اذ تمشى القيت ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا فان
قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد
طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو فى اولها
وانت فى اخرها يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له
موضعة يقبل ثديها ه وذلك انه كان لا يقبل ثدى امراة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها
وروى ان اسية استوهبته من فرعون وتبنته وهى التى اشفقت عليه وطلبت له المراضع
هى نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى قتله وهو ابن اثنتى عشرة سنة اغتم بسبب القتل
خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب انى
ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين ه فتونا
يجوز ان يكون مصدرا على فعول فى المتعدى كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة
على ترك الاعتداد بتاء التانيث على عينى اذ تمشى اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك
الى امك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا ه فلبثت سنين
فى اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى ه واصطنعتك كحجوز وبدور فى حجزة وبدرة اى فتناك

او تصنع

ضربا من الفتن سال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة
ولد في عام كان يقتل فيه الولدان وهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل
قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة
فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة
قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة مدين على ثماني مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب
ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين ٥ اي سبق في قضائي وقدري ان
اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا
مستاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة هذا تمثيل
لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه
وخصايص اهلا لئلا يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة
ويستخلصه لنفسه ولا يسمع ولا يبصر الا بسمعه واذنه ولا يامن على مكنون سره الا سواء ضميره
الونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنيا في ولا تزالا
سلما ٥ على ذكر حيث ما تقلبتما واتخذا ذكرى جناحا تطيران به مستمدين ٥ بذلك العون والتاييد
مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكرى ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة
فان الذكر يقع على ساير العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها لنفسي اذهب انت واخوك
باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى ٥ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
قالا ربنا ٥ فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روي لو ان الله تعالى اوحى الى هرون
وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك قرئ لينا بالتخفيف والقول اللين
نحو قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة
وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت
وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له
في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي
الكنى الثلث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة ٥ والترجي لهما اي اذهبا على رجاءكما وطمعكما
وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتشد

باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الالزام الحجة وقطع المعذرة
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ٥ اي يتذكر
ويتامل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق ٥ او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره
انكاره الى الهلكة ٥ فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط ٥ اننا نخاف
ان يفرط علينا او ان يطغى ٥ قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى ٥ فاتياه فقولا انا رسولا
ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلم على من اتبع
الهدى انا قد يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط
من افراط وغيره اذا حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان
او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط
المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قوم فرعون وقرئ يفرط من الافراط
في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا
ان لم يعاجل بناء على ما عرفنا وجربنا من شرارته وعتوه ٥ او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك
ما لا ينبغي لجراته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب
من حسن الادب عن القوة بالعظيم معكما اي حافظ ناصركما ٥ اسمع وارى ما يجري بينكما
وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجائز ان يقدر افوالكم وافعالكم
وجائز ان لا يقدر شيء وكانه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر
كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو وكانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط
يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان
واستخدام النساء قد جئناك باية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى
البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالاية انما وحد قوله
باية ولم يثنّ ولما ثنى لان المراد في هذه الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها وكانه قال قد جئناك
بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فات باية
ان كنت من الصادقين ٥ او لو جئتك بشيء مبين ٥ يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة
على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما

وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على
استدعاء كلام موسى دون الكلام اخيه لما عرف من فصاحة اخيه والرتة في لسان موسى ويدل
عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ٥ خلقه اول مفعولي اعطى
اعطى ٥ اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى ٥ قال فمن ربكما يا موسى ٥ قال ربنا الذي
اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ٥ قال وما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب
لا يضل ربي ولا ينسى ٥ كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شيء
صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى ٥ الهيئة التي تطابق الابصار
والاذن الشكل الذي يوافق الاسماع وكذلك ٥ واليد والرجل واللسان كل واحد منهما
مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة
حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير ٥ للرجل والمراة فلم يزاوج منهما شيء غير جنسه
وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف او المضاف اليه اي كل شيء خلقه الله
لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اي عرف كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه ولله
در هذا الجواب ما احضره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالب الحق
ساله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه
بان هذا سوال عن الغيب وقد استاثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه
الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز
على الله ان يخطي شيئا او ينساه يقال ضللت الشيء اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له كقولك
ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من اضله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر
به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه
في احاطة الله الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا
به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى منها خلقناكم
وفيها ٥ بكل شيء وبينته لكل معلوم فعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم
وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كاين محيط
به علمه وهو ٥ عنده في كتاب لا يجوز عليه الخطا والنسيان كما يجوز ان عليك ايها

العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل
والوقاحة ٥ الذي جعل مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهذا
من مظانه ومجازه مهدا قراءة اهل الكوفة مهدها مهدا او يتمهدونها فهي لهم كالمهد ٥
سلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب
المجرمين اي جعلكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا
الى لفظ المتكلم المطاع
لامره وتدعن الاجناس المتفاوتة لمشيته لا يمتنع شيء على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل
من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا
الوانها امن خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فانبتنا به حدائق وفيه تخصيص ايضا
بانا نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة
مقترنة بعضها مع بعض ٥ شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة
للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها
شتى مختلفة النوع والنفع والطعم والرايحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهايم
قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها
مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله ٥ اي قايلين كلوا وارعوا حال من الضمير في
فاخرجنا المعنى اخرجنا اصناف النبات اذنين في الانتفاع بها مبيحين ان ياكلوا بعضها
ويعلفوا بعضها اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو ادم عليه السلام وقيل ان الملك
لينطلق فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه ويبددها على النطفة فيخلق من التراب
والنطفة معا ٥ نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى
قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلناتينك ٥ مثله فاجعل بيننا و
بينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى
المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث
سراعا ٥ عدد الله عليهم ما علق بالارض من حيث جعلها لهم
عليها وسوى لهم فيها مسالك

منها اقوالهم وعلومات بها تمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم الذي منها ولدوا وانها هي
كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله تمسحوا بالارض فانها بكم برة
اريناه بصرناه و عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله اياتنا كلها وجهان
احدهما ان يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الايات كلها اعني انها كانت
لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الايات المعلومة التي هي تسع الايات المختصة بموسى عليه السلام
والعصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون
موسى قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق
لا فرق بين ما يخبر قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرايصه كانت ترعد خوفا مما جاء به
موسى لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل
ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله تعالى بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى
عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر لا يخلو الموعد
في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا
في ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب
مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق
قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى ۝ فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى ۝ قال لهم
موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا ۝ اوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له
مكانا وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر له
مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في تخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف
فان قلت كيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن
المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة
في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر
لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان يقدر مضاف محذوف
ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل

عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة
فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى الوقت وضحى
خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز ويوم
عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع
على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى بالضم والكسر منونا وغير
منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو استواؤه لان المسافة من الوسط الى الطرفين
مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان اجرى الوصل مجرى الوقف قرئ وان يحشر الناس
بالتاء والياء يريد ان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ
الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل
ان يحشر الرفع والجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور
دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع
الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم
في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا اياته ومعجزاته
سحرا قرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق
الا مسحتا او مجلف في بيت ۝ لا تزال الركب يصطلحون في تسوية اعرابه عن ابن عباس ان نجواهم
ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر عن
وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر و
تجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره
خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما قرا ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة
الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام
هي الفارقة بين ان النافية وان المخففة من الثقيلة وقرا ابي ان ذان لساحران وابن
مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير اللام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة
ان هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي اخرها الف كعصا
وسعدى فلم يقلبوها فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم

واسروا النجوى ۝ قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى ۝ فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى ۝ قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون اول من القى ۝ قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى
نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب
ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل
وقيل ارادوا اهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل لقولهم موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة
اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد
ايضا طريقة قومه ۝ فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه
واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسالة المجمع عليها امروا
بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد
منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس
يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا
بان ياتوه ويراد اسوا مصلى من المصليات ۝ وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز
من غلب ۝ ان مع ما بعده اما منصوب بفعل او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه
اختر احد الامرين والامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع
له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة ۝ يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ۝ فاوجس
في نفسه خيفة موسى ۝ قلنا لا تخف انك انت الاعلى ۝ والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا
انما صنعوا كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث اتى ۝ فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون
وموسى ۝ قال من انفسهم وكان الله عز وجل الهمهم ذلك وعلم موسى اختيار القائهم
اولا مع ما فيه من مقابلة ادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى
طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه
وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت اية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا
هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف
اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية

لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم
وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم
وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ تخيل على اسناده الى
ضمير الحبال والعصي وابدال قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد
كرمه ۝ وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل
على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس
اضطربت واهتزت فخيلت ذلك ۝ ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت
تسمع نباة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله
وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه تقرير الغلبة وقهر
وتوكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو
الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز ان يكون تصغيرا
لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك
فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها
اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على
كثرتها اقل شيء واندره عندها فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع
على الاستيناف او على الحال اي القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف ۝ صنعوا ها هنا بمعنى
زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان
ما موصولة ومن نصب فعلى ان ما كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم
في سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين
المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فان قلت لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لان القصد في
هذا الكلام الى معنى الجنسية
العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس فان قلت فلم ۝ اولا وعرف ثانيا
قلت انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا
طالما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر اخرة المراد تنكير الامر كانه

قيل ان ما صنعوا كيد سحر وفي سعي دينوي وامر دينوي واخروي ○ حيث الى كفوهم حيث
سير رواية سلك وايما كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود
ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروى
انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا
اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة ○ قال امنتم له قبل ان اذن لكم
انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل
ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض
ما انت قاض لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحركم واعلاكم درجة في صناعتكم او لمعلمكم من قول
اهل مكة للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم واستاذهم في القرآن وفي
شيء فقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى
والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا
يمين وذاك شمال ○ ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو العضو
الامر وفاقه اياه وشل الجار والمجرور النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف
بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في
قيل في جذوع النخل ايناء ايناء يريد نفسه لعنه الله تعالى وموسى عليه السلام بدليل
قوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه
نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى
واستضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء والذي فطرنا عطف
على ما جاءنا او قسم فقرئ تقضي هذه الحيوة الدنيا ووجهها ان الحيوة في القراءة المشهورة
منتصبة على الظرف باجرائه مجرى المفعول كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة وروي
ان السحرة يعني رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان
فرعون اكرههم على تعلم السحر وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه
تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه تزكى تطهر
من ادناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل في هذه الآيات الثلث هي حكاية قولهم

وقيل خبر من الله انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا
عليه من السحر والله خير وابقى ○ انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى
ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم
طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى ○ فاتبعهم فرعون بجنوده لا على وجه الحكاية
فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس
مصدر وصف به يقال وهما ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث
فقيل شاة يبس وما فتنا يبسا اذا خف لبنها يقال جف ضرعها وخف لبنها اذا قل
لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن اليبس او صفة على
فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تاكيدا كقوله ومعا جياعا جعله لفرط جوعه
كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرئ
ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده
ولا يلحقونك ○ وفي ولا تخشى اذا قرئ لا تخف ثلثة اوجه ان يستانف كانه قيل وانت لا تخشى
اي ومن شانك انك آمن لا تخشى ○ وان لا يكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل
ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله واضلونا السبيلا ○ وتظنون بالله الظنونا وان
يكون مثل قوله شعر وتضحك مني شيخة عبشمية كان لم ترى ○ قبلي اسيرا يمانيا ما
غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيها
لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم
اما الله سبحانه وتعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله
وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم
من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله
عليه وآله من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف
القول كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والموعدة وقرئ الايمن
بالجر ○ فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى ○ يا بني اسرائيل قد انجيناكم

من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
على الجوار لحجر جحر ضب خرب وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى من المناجاة
الالواح وانما عدي المواعدة اليهم

وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه ○ طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها
بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم وعن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا
حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا وقرئ فيحل
وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه
ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك
وصف بالنزول ○ هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت شعر هوى من راس
مرقبة ○ ففتت تحتها كبده ○ ويقولون هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده و
الاهتداء هو الاستقامة على الايمان والهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل
الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين
المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير
مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل ○ وما اعجلك اي شيء عجل بك عنهم على
سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا
الى كلام ربه ○ ويحرها بعد بر بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله وزال عنه
انه تعالى ما وعت انعامه الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم
النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قبل الميعاد وجه صحيح يا اباه
قوله هم اولا ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما اعجلك عن قومك يا موسى
الى عمرو يعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر اثري بالضم وعنه ايضا اولاي بالقصر والاثر
افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال اثر السيف واثره
وهو بمعنى الاثر غريب فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه

من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على
اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار
العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى
بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله
لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم
بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب
لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب
المنطبق المرتب على حدود الكلام اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا
ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا ○ فان قلت في القصة انهم اقاموا
بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان
امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك
قلت قد اخبر الله عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته واوا فترض السامري
غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة المترقبة
موجودا قرئ واضلهم ○ قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى ○ قال فانا قد فتنا
قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى السامري وهو اشدهم ضلالا لانه ضال
مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم
من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من
كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر الا
الشديد الغضب ومنه قوله صلى الله عليه وعلى آله موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر
وقيل الحزين فان قلت متى رجع الى قومه بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة
وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التورية التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل
حكي لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف آية تحمل اسفارها سبعون جملا ○ العهد
الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه
ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ

بالحركات الثلث اى ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة
السامري وكيده اى حملنا احمالا من حلى القبط التي استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها اثام
وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي على
ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان
نطرح فيها الحلى وقرئ حملنا فكذلك القى السامري اراهم انه يلقى حليا في يده مثل ما
القوه وانما القى التربة اللتى اخذها من موطئ حيزوم فرس جبرئيل اوحى اليه وليه الشيطان
انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلى
التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات
قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما اثره بغيرها من
الكرامات وهى ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشأه الله ان شاء
عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشأ المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع فان قلت
فلم خلق الله العجل من الحلى حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله
بها عباده ليثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ومن
عجب من خلق الله العجل فليكن من خلق الله ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك من بعدك
هو خلق العجل للامتحان اى امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال واوقعهم
فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسى اى فنسى موسى ان يطلبه هاهنا وذهب
يطلبه عند الطور او فنسى السامري اى ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر يرجع من
رفعه فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال من قبل ان
قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة
افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة
القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا
هذا الهكم واله موسى فنسى افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا

ولقد قال لهم هرون من قبل السامري بادرهم هرون بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن
لا مزيد والمعنى ما منعك ان تتبعنى في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصى وهلا قاتلت
من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحق بى
تلحق قرئ بلحيتى وبفتح اللام وهى لغة اهل الحجاز كان موسى رجلا حديدا مجبولا على الحدة
والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون
عجلا من دون الله بعد ما راوا من الآيات العظام ان القى الواح التورية لما غلب
ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه
فاقبل عليهم اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر وجهه
يجره اليه اى لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك ان تكون انت
المتدارك بنفسك المتلافي برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتنى من ضم النشر وحفظ
الدهماء ولم يكن لى بد من رقبة وصيتك والعمل بموجبها الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه
فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك اى ما طلبك له قرئ بصرت بما لم تبصروا به بالكسر والمعنى
علمت ما لم تعلموا وفطنت لما لم تفطنوا له قرأ الحسن قبضة بالضم وهى اسم المقبوض كالغرفة والمضغة
فاما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب
الامير وقرأ ايضا فقبصت قبصة بالصاد يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فا
تبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون
ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امرى قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتى
ولا براسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال فما
خطبك يا سامري قال بصرت بما لم تبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها
والضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع
لم سماه
الفم والقاف تقدمه قرأه
الرسول دون جبرئيل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الى الطور ارسل الله
الى موسى جبرئيل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به وابصره السامري فقال ان لهذا لشانا
فقبض قبضة من تربة موطئه فلما ساله موسى عن قبضته قال قبضت من اثر فرس المرسل

اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبرئيل عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش
وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته
وكل ما يعاشر به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امرأة حم الماس والممسوس
والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجى
الى الحرم ومن الوحشى النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس
بوزن فجار ونحوه قولهم في الظبا ان وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهى اعلام
للمسة والعبة والابة وهى المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه لن يخلفك الله موعده الذى
وعدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه في الاخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن
خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد
اذا وجدته خلفا وقال وقال الاعشى شعر اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى واخلف من قتيلة
موعدا وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اى لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر في لا
لك ظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم
ينقل لنحرقنه ولنحرقنه وفى حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر
ابو على الفارسى في لنحرقنه انه يجوز ان يكون من حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه
القراءة الثالثة وهى قراءة على عليه السلام لنسفنه بكسر السين وضمها وكذلك سولت لى
نفسى قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر
الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم وهذا
عقوبة ثالثة وهى ابطال وفسق واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين وقرأ طلحة الله الذى لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء
علما وعن مجاهد وقتادة وسع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل
شيء واما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين
فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت
زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد
من الله عز وجل لرسوله اى مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون

نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر
السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر
الذى اتيناك يعنى القران مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار
لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقى
يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب
وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يقدح الحامل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره او لانها
جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل جمع الله الذى لا اله الا هو وسع كل شيء علما
كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه
فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيها وساء لهم يوم خالدين على المعنى لان من
مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ
ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها
في احتماله سئل في حكم بئس والضمير الذى فيه يجب ان يكون مبهما والمخصوص بالذم
محذوف لدلالة الوزر عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله نعم العبد انه
اواب ايوب الذى هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اى وساءت مصيرا
جهنم فان قلت اللام في لهم ما هى وبم يتعلق قلت هى للبيان كما في هيت لك فان قلت
ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء
بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذى حكمه حكم بئس وليكن ساء الذى منه قوله تعالى
سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن قلت كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله الى
قولك واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج من عهدة هذه اللام وعهدة
هذا المنصوب اسند النفخ الى الامر فيمن قرأ ينفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل
منهم بالمنزلة التى هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه
الى ذاته القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون
بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما
ويسئلونك عن الجبال فقل وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة

على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل واما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن وقرئ في الصور
بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثاني
انه القرن قيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم
اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني
ان المراد العمي لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون بينهم لما يملأ صدورهم من الرعب
والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة
والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم
انقضت والذاهب وان طالت مدته قصير توقيع عبد الله بن المعتز اطال الله
بقاءك
الاخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا
بالقياس الى لبثهم في الاخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم
في قوله تعالى اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى كم لبثتم في الارض عدد سنين
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم
يقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى
الطعام فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله
ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح
في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن
بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك
لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة
واتفقتم على ان لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت راي المهندس فيها وامرته ان يعرض
استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على اعوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة
البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله تعالى ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا
بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون
الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتوء اليسير ينسفها ربي نسفا فيذرها

قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات
للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من يقال مد حبله حتى ما فيه
اي يوم اذ نسفت وجوز
قال هو اسرافيل قائما على صخرة
لا عوج له اي لا يعوج له مدعو
الفزع وخفتت
بل يستوون اليه
فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل من همس الابل وهو صوت
اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر من يصلح ان يكون مرفوعا
ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة
من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى من اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع و
رضي قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا
ما سبقونا اليه اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته
علما المراد بالوجوه وجوه العصاة فانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب
صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله
فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقد خاب وما بعده
اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر الظلم ان ياخذ من صاحبه
فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا
على الناس اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا
يستوفون ويسترجحون واذا كالوا يخسرون اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم وانه لم يهضم
وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما
انزلنا عليك هذه الايات المضمنة للوعيد انزلنا القران كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات
الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق

على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث ويحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم
التاء للتخفيف كما في فاليوم اشرب غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف
عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب
اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القران وانزاله قال على سبيل الاستطراد
واذا القى عليك جبريل ما يوحى اليك من القران فتان عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم قبل عليه
بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك
لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى ياتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه
وقوله وقل رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم اي علمتني
يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة
وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم يقال في اوامر الملوك ووصاياهم
تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة ادم
على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم ادم و
وصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل
وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم
ذكرى فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني
علما ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم
ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس امر بني ادم على ذلك وعرقهم راسخ
فيه فان قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم
يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى
تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل
ثمرتها وقرئ فنسي اي فنساه الشيطان والعزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب
في ذلك يوسوس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه
له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما اي منصوب بمضمر اي واذكر وقت
ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له

بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البالغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه ليس
من اهل العزم والثبات فان قلت ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر
ربه فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله عبادتهم
فلما امروا بالسجود لادم والتواضع كرامة له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو
قام لمقبل على المجلس عليه اهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم وهو دونهم
في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى ترفع عن
القيام فان قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة قلت عمل على حكم التغليب في
اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامراة
بين الرجال ابى جملة مستانفة كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول
وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء توقف وتثبط
فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما وانما اسند الى ادم وحده ولم نجد له عزما
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو
لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ان لا تجوع فيها ولا وانك لا تظمؤ
فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك فعل الشقاء دون حواء
بعد اشراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاءهم
من سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة
او اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب
وروي انه اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث
وقرئ وانك بالكسر والفتح العطف على ان لا تجوع فان قلت ان لا تدخل على ان لا يقال
ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت الواو
لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا
للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان الشبع والري والكسوة
والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان فذكره استجماعها له في الجنة وانه
مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ

النفي لنقايضها التي هي الجوع والري والظما والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي
حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة فان قلت كيف عدى وسوس تارة في قوله
فوسوس لهما الشيطان وتارة بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب
ووقوقة الدجاجة في انها حكايات ۵ على شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت
لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من الاصوات وحكمها حكم صوت واجرس
ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي شعر وسوس
يدعو مخلصا رب الفلق ۵ سرا وقد اون تاوين العقق ۵ فان قلت وسوس له
فمعناه فلاجله كقوله شعر اجرس لها يا ابن ابي كباش ۵ ومعنى وسوس اليه انهى اليه
الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه اضاف الشجرة الى الخلد لان من اكل منها خلد
بزعمه كما قيل حيزوم فرس الحيوة لان من حي وملك لا يبلى دليل على قراءة
الحسن بن علي وابن عباس الا ان تكونا ملكين بالكسر فطفق يفعل كذا مثل جعل يفعل
واخذ وانشا وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة
هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه قرئ يخصفان للتكثير والتكرير ۵
من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما للستر وهو
ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وقيل كان
لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع
عن ابن عباس لا شبهة في ان ادم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه
ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا
فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله ۵ من ورق الجنة وعصى ادم
ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى ۵ قال اهبطا منها ۵ وعصى ادم ربه فغوى
بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل ادم واخطا وما اشبه ذلك
مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة
كافة كانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا
يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا

تتها

تتهاونوا بما ... منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجترؤا على ... في الكبائر و
عن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها
الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث فان قلت فما معنى ثم اجتبيه
ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على
العروس واجتليتها واصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها
راجعة بعد النفار وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى
لما كان ادم وحوا اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كانهما
البشر فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم ۵ على لفظ الجمع ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب
وهو في الحقيقة للمسبب ۵ جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى ۵ ومن اعرض عن ذكري ۵ الهدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع
القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا
يشقى ۵ والمعنى ان الشقاء في الاخرة عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع
كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه ۵ من الضلال ومن عقابه الضنك
مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمونث قرئ
مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله على قسمته فصاحبه
وسهولة
معرض عيشا رافغا كما قال
عن الدين
مسعول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض
يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر
ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة
الكفرة قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا
يكفرون بايات الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا وقال وان لو استقاموا على ۵ فان له معيشة ضنكا ۵ ونحشره يوم

القيمة اعمى ۵ قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ۵ قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي ۵ الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو
الصريع والزقوم في النار وعن الخدري ابو القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان
له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط قرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا
مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما بالعمى كذلك
اي مثل ذلك فعلت انت ثم اتتك اياتنا واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين
المعتبر فلم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن
عينيك لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الاخرة
ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول
ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا فاعل
لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا
عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه
ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد ان قريشا يتقلبون
في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون اثار هلاكهم الكلمة السابقة هي العدة
بتاخير ۵ من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى ۵ افلم يهد لهم
كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى ولولا
كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل جزائهم الى الاخرة يقول لولا هذه العدة لكان
مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال
بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم ۵ واجل مسمى
لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى
لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل بحمد
ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه المراد بالتسبيح
الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل اخرا فكانه قال
صل لله قبل طلوع الشمس وهو الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في

النصف

النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد اناء الليل واطراف النهار
مختصا لها بصلوتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل
والخلو بالرب وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم وقال
امن هو قانت ۵ مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى ۵ ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به اناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف
الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل في معنى التكليف
وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في اناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة
المغرب وصلوة الفجر الاختصاص كما اختصا في قوله حافظوا على
الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله واطراف النهار
على الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه امن الالباس وفي
التثنية زيادة بيان ونظيره مجي الامرين في الاثنين بجمعهما في قوله شعر ومهمهين قذفين
مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا على اناء الليل و
لعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به
ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر
عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا
ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه
لذو حظ عظيم حتى واجههم اولو العلم والايمان ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل
صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك ۵ ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك
رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى قالوا لولا ياتينا ۵ مثل من باده الشي بالنظر
ثم غض الطرف ۵ ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر
اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل
معتادا له وضاريا به ولقد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية

الظلمة وعدة الفسقة في الملابس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة
فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز
ان ينتصب حالا من هاء الضمير في به والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو
اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة قلت على احد اربعة اوجه على الذم
وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى
ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة فان قلت
ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة
وقرئ ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف
الاولى ۝ ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت ۝ وصفا لهم بانهم
زاهرو هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم
وشارتهم بخلاف ما عليه المومنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب
لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الاخرة بسببه
ورزق ربك ما ادخر له من ثواب الاخرة الذي هو خير منه في نفسه وادوم او ما رزقه
من نعمة الاسلام والنبوة او لان اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه
والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام
لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله
الى يهودي فقال قل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضته
الا برهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت
ولا تمدن عينيك وامر اهلك بالصلوة اي واقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة
واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا
ونحن رازقوك ولا نسألك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الاخرة وفي معناه
قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير
انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرا ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادي الصلوة الصلوة
رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا

امر الله

امر الله ورسوله ثم يتلو هذه الاية اقترحوا على عادتهم في التعنت اية على النبوة فقيل لهم
اولم تاتكم اية هي ام الايات واعظمها في باب الاعجاز يعني القران من ۝ الينا رسولا فنتبع اياتك
من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن
اهتدى ۝ قيل ان القران برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وليس تلك
ليست بمعجزات تلك معجزات فهي الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة
الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل
قرئ نذل ونخزى على ما لم يسم فاعله كل اي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول
اليه امرنا وامركم وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد والمستوي والسوء والسوى والسوى تصغير السوء
وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال ابو رافع حفظته من النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله
من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة
من القران الا طه ويس بسم الله الرحمن الرحيم رب ۝ بفضلك هذه
اللام لا تخلو اما ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحي
رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما تثنى
فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك
لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا
اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه
واقترب الوعد الحق فان قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول
اكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب سورة الانبياء وثنتا عشرة اية وقيل احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم ۝ عند الله والدليل عليه
قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
ولان كل ات وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد
وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما الموعود
هبوبه في اخر الزمان وقال صلى الله عليه وسلم بعثت ۝ الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا

حذاء ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة
الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون
وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة
مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون
لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء واذا قرعت
لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا
وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله
يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الاية بعد الاية والسورة بعد السورة ليكرر على
اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الاي والسور وما فيها
من فنون المواعظ والبصائر ۝ من ذكر من ربهم الا استمعوه وهم يلعبون لاهية
التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة
من القران وقرا ابن ابي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية
قلوبهم حالان مترادفان او متداخلتان وقرئ لاهية بالرفع فالحال واحدة لان
لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهي عنه اذا ذهل وغفل
فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على راس غفلتهم عن التامل
والتبصر بقلوبهم فان قلت النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله
واسروها قلت معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم
انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفا
حش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم
او مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع
المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون
هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق
بقالوا مضمرا اعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر
وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون

السحر

السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر فان قلت ۝ قلوبهم واسروا النجوى هل هذا الا بشر
مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون قل ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا
اضغاث احلام بل افتريه لم اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه قلت كان ذلك
شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة للتثبيط
عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا ويجاهدوا في طي سرهم
عنهم ما امكن استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله والمومنين ان كان ما
تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى
قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان اكد في بيان
الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم السر اكد من ان يقول يعلم سرهم
ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية فان قلت فلم ترك هذا الاكد
في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض قلت ليس بواجب ان يجيء
بالاكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالاكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام
افتنانا ويجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الاية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم
هاهنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول بل هو شاعر
فلياتنا باية كما ارسل الاولون ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يومنون وما
ارسلنا قبلك الا رجالا يوحي اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون موضع ذلك
للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بان انزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله
علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول النبي صلى الله
عليه وعلى اله بل اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام
مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلاج والمبطل متحير رجاع غير ثابت
على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم الثاني
افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه
في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل

منضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين ان يقولوا ارسل محمد عليه الصلوة والسلم وبين قولك
الى محمد بالمعجزة فهم يومنون فيه انهم اعنى من الذين اقترحوا على انبيائهم بالايات وعهدوا
انهم يومنون عندها فلما جاتهم نكثوا وخالفوا فاهلكم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا
انكث وانكث امرهم ان يستعملوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسول الله الموحى
اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا مليكة كما اعتقدوا وانما احلالهم على اوليك ۝ وما جعلناهم
جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين ۝ ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا
المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم ۝ لانهم كانوا سابعون المشركين في معاداة رسول الله
صلى الله قال الله تعالى من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى
كثيرا ولا يكاد يوبنهم ۝ فيه رد لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله لا ياكلون الطعام ۝
لجسد والمعنى وما جعلنا الانبيا وقبله ذوى جسد غير طاعته ووحد الجسد لارادة
الجنس كانه قال ذوى ضرب من الاجساد وعدا رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام فان قلت
نعم قد ردا نكارهم ان يكون الرسول بشرا ياكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله
وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت
او يقولوا هلا كانوا ملكا لا يطعم يخلدا ما معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين حيوتهم
المتطاولة وبقاوهم الممتد خلودا ۝ صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد
ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاهم المومنين ومن في بقائه
مصلحة ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الا
خلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث
واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد
ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاوم الاجزاء بخلاف
الفصم واراد بالقرية ۝ افلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشاها بعدها
قوما آخرين ۝ فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون ۝ اهلها ولذلك وصفها بالظلم
وقال قوما آخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشانا قوما آخرين وعن ابن عباس انها حضور
وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله في ثوبين

سحوليين وروى حضور بين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل
بيت المقدس اخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات
الانبياء ندموا واعترفوا بالخطا وذلك حين لم ينفعهم الندم ظاهر الاية يدل على الكثرة
ولعل ابن عباس ذكر حضور بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذا الاية فلما علموا
شدة بطشنا وعذابنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب
الدابة بالرجل ومنه قوله اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين
منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على
ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا فالقول محذوف فان قلت
من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثم من المومنين او يجعلون خلقاء بان
يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقول رب العزة ويسمعه ملكه لينفعهم في دينهم او يلهمهم
ذلك فيحدثوا له لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من
العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة لعلكم تسلون غدا عما جرى عليكم
ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم
في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسالكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ
امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وماذا ترسمون وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين
او يسالكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض
ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بارائكم او يسالكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون
سحاب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم
رياء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى
توبيخ تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعويهم
والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت لم سميت
دعوى قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعالى يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع او
منصوب اسما وخبرا وكذلك دعويهم الحصيد الزرع المحصود اى جعلناهم مثل الحصيد

شبههم به في استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اى مثل الرماد والضمير المنصوب
هو الذي كان مبتداء والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على
المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد
لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود اى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد ۝
تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ۝ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ۝ الموضوع وما بينهما
من اصناف الخلايق مشحونة بضروب البدايع والعجايب كما سوى الجبابرة سقوفهم و
فرشهم وساير زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية
لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق بهم بها من المنافع
التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاد اللهو واللعب وانتفائه
عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على
كل شئ قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا اى من جهة قدرتنا قيل
اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المراة وقيل من لدنا اى من الملائكة لا من الانس رد
لولادة المسيح وعزيز اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال
سبحانا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح
ان نغلب اللهو بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله
واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف
فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرى فيدمغه
بالنصب وهو في ضعف قوله شعر ساترك منزلي لبني تميم ۝ والحق بالحجاز فاستريحا وقرى
فيدمغه ۝ من عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم منزلة المقربين
عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت الاستحسار
مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور واقصاه قلت في الاستحسار
بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهضة بان

بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في
السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون وانما
يعفكون اى تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا تتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر هذه
ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد اذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها
والمنكر هو اتخاذهم الهة من الارض ينشرون الموتى والعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر
الموتى في بعض الموات فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ الهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك
لالهتهم وكيف وهو ابعد شئ عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله تعالى
بانه خالق السموات والارض ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه
القادر على المقدورات كلها وعلى النشاة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي
رميم وكان عندهم من قبيل المحال يسبحون الليل والنهار لا يفترون ام اتخذوا
الهة من الارض هم ينشرون ۝ لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش
عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا
برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون ۝ الحق فهم معرضون وما
ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ۝ الخارج عن قدرة
القادر كما في القديم فكيف بالجماد الذي لا يوصف بالقدرة راسا ۝ قلت الامر كما ذكرت ولكنهم
بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر
على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل
واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الا
قتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد
مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاجسام التي تعبد في الارض لان الالهة
على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلعم اين ربك فاشارت
الى السماء فقال صلعم انها مومنة لانه صلعم فهم منها ان مرادها نفي الالهية الارضية التي هي
الاصنام لا اثبات السماء والارض مكانا لله تعالى ويجوز ان يراد الهة من جنس الارض لانها
اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم

هم ينشرون قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا الهة لا يقدر على الانشار
الا هم وحدهم وقرئ الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها وصفت الهة بالا
كما يوصف بغير لو قيل الهة غير الله فان قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة
ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم
احد الا امرأتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما و
يدبر امرهما الهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما
وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله
الا الله فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما
من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد
الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة
التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة
بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر ۝ اذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في مملكتهم عن
افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطاء والزلل
وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل
عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز
عليه الخطاء ولا فعل القبائح ۝ وهم يسألون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤن فما
اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه كرر ام اتخذوا من دونه الهة استفظاعا
لشانهم واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما
من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه
عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه ۝ اي هذا الوحي الوارد في
معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي
عظة للذين معي يعني امته ۝ وذكر للذين قبلي يريد امم الانبياء وقرئ ذكر من معي وذكر
من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم

سيغلبون

سيغلبون وروي من معي ومن قبلي على من الاضافية في هذه القراءة وادخال الجار على مع
غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل
عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كانه قيل بل عندهم ما هو اصل
الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الا
عراض ومن هناك ورد هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسط التوكيد بين السبب والمسبب
والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على
هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل يوحي ونوحي مشهورتان وهذه الآية
مقررة لما سبقها من آي التوحيد ۝ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون
لا يسبقونه نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم
بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على
ساير العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم
اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته
فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا ولا يهتدون حتى يقوله
فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون
قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك
مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا واخروا
بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطته بهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم
ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله و
اهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون
اي متوقعون ۝ بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه
فذلك نجزيه ۝ من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن
رسول الله صلى الله عليه وآله انه راى جبرئيل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله
وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال

السيئة والاعمال المرضية فاجاء بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان
كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم
ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد جهنم كذلك نجزي
الظالمين ○ اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء
كل شيء حي افلا يؤمنون ○ وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا
سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون
قرئ الم يروا بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض اي
كانا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق
قلت هو على تقدير موصوف اي كانا شيئا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض
لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينهما ففتقها الله
وفرج بينهما وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون
كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان
فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت
فيه وجهان احدهما انه وارد في القران الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد
والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون
التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلوا ان يتعدى الى واحد او
اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خالق
كل دابة من الماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه
كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب
من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله صلى الله عليه وعلى اله ما انا من دد ولا
الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو اي كراهة ان تميل وتضطرب
او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في
نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع فان قلت
في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا

فجاجا

فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله شعر لعزة موحشا طلل قديم فان قلت
ما الفرق بينها من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني
بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة وهو بيان لما ابهم ثمة محفوظا حفظه بالا
مساك بقدرته من ان تقع على الارض وتتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على
سكانه من الملائكة ○ عن اياتها اي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس
والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب
العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض
عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان
من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف
كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن ايتها بالتوحيد اكتفاء بالواحدة
في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالا
ستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم
عن كونها اية بينة على الخالق معرضون ○ كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه
اي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة
جعلوها متكاثرة ○ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك
لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة وانما جعل
الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فان قلت الجملة ما محلها قلت
محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار
بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة
يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على
حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم
سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس

اختصارا ولان الغرض على الجنس كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة
بهذه اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت وهم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك
فان مت انت ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل شعر فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون
كما لقينا ○ اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم
فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما
سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر
مؤكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق
ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا
فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذي يذكر الهتكم والمعنى انهم
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ○ واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا
هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون ○ عاكفون بهممهم على ذكر الهتهم
وما يجب ان لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف
ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به
اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن
قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن
بما انزل اليك من القران والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال
هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله كانوا يستعجلون عذاب الله واياته الملجئة
الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم
فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه
قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن
عباس انه اراد بالانسان ادم ع وانه حين بلغ الروح صدره ولم يبالغ فيه اراد ان يقوم
وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام
وقيل خلقه الله في اخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها

وعن

عن ابن عباس انه النضر بن الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير
شعر والنخل ينبت من الماء والعجل كل والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال
مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق
قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها
قمع الشهوة وترك العجلة قرئ خلق الانسان جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي
لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد
تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا
يجدون ناصرا ينصرهم ○ خلق الانسان من عجل ساوريكم اياتي فلا تستعجلون ○ ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ○ لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ○ بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون
ردها ولا هم ينظرون ○ لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال
ولكن جهلهم هو الذي هونه ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم
علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون
عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لا
يكفونها بل تفجاوهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر
اي غلب ابراهيم الكافر وقرا الاعمش ياتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او للحين
فان قلت فالام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت الى النار او الى الوعد لانه في
معنى النار وهي التي وعدوها او على تاويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى
الساعة او الى البعثة وقيل في القراءة الاولى الضمير للساعة وقرا الاعمش بغتة بفتح
الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم
اي لا يمهلون بعد طول الامهال ○ سلى رسول الله عن استهزائهم به بان له في
الانبياء عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالا
ما فعلوا من الرحمن اي من باسه وعذابه ○ بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه
ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال

نبياء صح

عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالى ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر
من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما فى ام من معنى بل وقال الهم الهة تمنعهم من العذاب تجاوز
منعنا وحفظنا ثم استانف وبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب
من الله بالنصر والتايد كيف يمنع غيره وينصره ○ ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما
هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاناهم واباءهم الماضين الا تمتيعا لهم
بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت
بهم ايام الروح والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب
امنيتهم ○ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزءون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون
ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون ○ بل متعنا
هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا ناتى الارض ننقصها من اطرافها
افهم الغالبون ○ قل انما انذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون
ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ○ واستماعهم وذلك طمع فارغ
وامل كاذب ○ افلا يرون انا ننقص ارض الكفرة ودار الحرب ونحذف اطرافها
بتسلط المسلمين واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اى فائدة
فى قوله ناتى الارض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدى المسلمين
وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين فتاتيها غالبة عليها ناقصة
من اطرافها قرئ ولا تسمع الصم ولا يسمع الصم بالتاء والياء اى لا تسمع انت او لا يسمع
رسول الله صلعم ولا يسمع من اسمع فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون
دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام فى الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين
كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع
الضمير للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اى هم على هذه الصفة من
الجراة والجسارة على التصام من ايات الانذار ولئن مستهم من هذه الذى ينذرون به
ادنى شئ لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفى المس والنفحة

بعطية
ثلث مبالغات لان النفح فى معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه
رضخه ولبناء المرة ○ وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها فى انفسها قسط
او على حذف المضاف اى ذوات القسط واللام فى ليوم القيمة مثلها فى قولك جئته
لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة شعر توهمت ايات لها فعرفتها لستة
اعوام وذا العام سابع ○ وقيل لاهل يوم القيمة اى لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع
الموازين قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل
والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات
والثانى انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان
ولسان ويروى ان داود عليه السلم سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشى عليه ثم افاق
يا ويلنا انا كنا ظالمين
فقال يا الهى من الذى يقدر ان يملأ
ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة ○ فقال يا داود
انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة فان قلت كيف توزن الاعمال وانما هى اعراض
قلت فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال والثانى ان تجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض
مشرقة وفى كفة السيات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وان كان
ذو عسرة وقرا ابن عباس ومجاهد اتينا بها وهى مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازات
والمكافات لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرا حميد اثبنا بها من الثواب وفى
حرف ابى جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه
اى اتيناهما الفرقان وهو التورية واتينا بها بما فيه من الشرايع والمواعظ ضياء
وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن كعب
مخرج من الشبهات وقرا ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة
او ذكر ما يحتاجون اليه فى دينهم ومصالحهم او الشرف ومحل الذين جر على الوصفية او
نصب على المدح او رفع عليه ذكر مبارك هو القران وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره الرشد
الاهتداء لوجوه الصلاح قال تعالى فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه

رشد له شان من قبل من قبل وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة
وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك فى خير من الناس
انا عالم بفلان فكلامك هنا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ اما ان
من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ○ ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
وذكرا للمتقين الذين يخشون ○ ان يتعلق باتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر
من اوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر الهتهم
ويصغر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا
يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قلت هلا قيل عليها عاكفون
كقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التى هى على ما اقبح
التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم
الى ان قلدوا اباءهم فى عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شئ
وجادون فى نصرة مذهبهم ويجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد
سبة ان عبدة الاصنام منهم انتم من التاكيد الذى لا يصح الكلام مع الاخلال به لان
العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة اراد ان
المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لا
ستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم ان يكون
ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله على وجه المزاح و
الملاعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذى جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل
الضمير فى وطرهن للسموات والارض او التماثيل وكونه للتماثيل ادخل فى تضليلهم واثبت
للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما يصحح الدعوى
بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لانى
لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا ربهم بالغيب وهم
من الساعة مشفقون ○ وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون ولقد اتينا
ابرهيم على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباكم قرا معاذ بن

جبل

جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين ○ فان قلت
ما الفرق بين الباء والتاء قلت ان الباء هى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها
وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتاتيه
لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمرى ان مثله صعب متعذر فى
كل زمان خصوصا فى زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على
نصرة دينه ولكن شعر فلا تياسا واستغورا الله انه اذا الله سنى عقد شئ
تيسرا وروى ان ازر خرج به فى يوم عيد لهم فبدءوا ببيت الاصنام فدخلوه
وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة
على طعامنا فذهبوا وبقى ابرهيم فنظر الى الاصنام وكان سبعين صنما مصطفة ثم صنم
عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان يضيئان بالليل فكسرها
كلها بفاس فى يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس فى عنقه عن قتادة قال ذلك
سرا من قومه وروى سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ
بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه
غلب فى ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما ○ معوه من انكاره لدينهم وسبه
لالهتهم فيبكتهم بما ابرهيم اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم وعن الكلبى
من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم
لها عاكفون ○ قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم فى ضلال
مبين ○ قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ○ عليه الى كبيرهم ومعنى هذا
لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم فى حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة
وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم
لعقولهم واعتقادهم فى الهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون
اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة ان
يرجع اليه فى حل المشكل فان قلت فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ
الاشراك فى اعراقهم فاى فائدة دينية فى رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم صلوات الله

عليه عرضاً قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في
عبادته على جهل عظيم اى ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة
اما لجراته على الالهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا في
حطمها وتماديا في الاستهانة بها فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واى فرق
بينهما قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول
سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك فان قلت ابرهيم ما هو
قلت قيل هو خبر مبتدا محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم
لا المسمى • على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اى بمرأى منهم ومنظر
فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل اى يثبت اتيانه
في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم عليه بما سمع
منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له روى ان الخبر بلغ • واشراف قومه فامروا
باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان
الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان • قال بل ربكم رب السموات والارض
الذى وانا على ذلكم من الشاهدين وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا
مدبرين قصد ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه
الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه
من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق
وانت شهير بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر
الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك
مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي والمخرمش لان اثباته والامر دائر
بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر • ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام
حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم
له فاسند الفعل اليه لانه هو الذى تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل
كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقول الى تجويزه

منهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان
يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار
وهو اكبر منها وقرا محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعنى فلعله اى فلعل الفاعل كبيرهم فلما القمهم
الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه
حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه
وانتكس انقلب اى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة
ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك • فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون
قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين • قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له
ابرهيم • قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون • الحالة فاخذوا
في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق
الهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين
عنه حين نفوا عنها القدرة عن النطق وقلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم
خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم
وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اى نكسوا انفسهم على
رؤسهم قراه رضوان بن عبد المعبود اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه
متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح
الحق وزهوق الباطل فتافف بهم واللام لبيان المتافف به اى لكم ولالهتكم هذا
التافف اجمعوا رايهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته
بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما
فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه واله حين عجزوا عن المعارضة والذى
اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر رضي الله عنه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروى
انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف
الخشب الصلاب حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لا
برهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق

مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم ويحكى
ما احترقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمى به هل لك حاجة فقال اما اليك
فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله
ونعم الوكيل واطل عليه • قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم
هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله
ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون • نمرود من الصرح فاذا في روضة
ومعه جليس له من الملائكة فقال انى مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابرهيم
وكان ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به واوجعه
ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اى ان كنتم ناصرين
الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهى الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها
ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا في ذلك
جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمامور امر بشيء فامتثله والمعنى
ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم
او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها فان قلت
كيف بردت النار وهى نار قلت نزع الله عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر
والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير
ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل
بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابرهيم • وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به فما
كانوا الا مغلوبين مقهورين • غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى
القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين
ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم واثارهم وهى البركات الحقيقية
وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغنى والفقير • وعن
انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملا فيه الجراب
وقيل ما من ماء عذب

الا وينبع اصله من تحت الصخرة التى ببيت المقدس • من دون الله افلا تعقلون
قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين • قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على
ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين • ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا
فيها للعالمين • ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا
لنا عابدين ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم
كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى
من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم • ونصرناه من القوم الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين • وداود وسليمان اذ يحكمان
في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين • روى انه نزل
بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة • النافلة ولد الولد وقيل
سال اسحق فاعطيه واعطى يعقوب نافلة اى زيادة فضلا من غير سؤال يهدون
بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور هو بها
من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدى بنفسه لان
الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدى اميل فعل الخيرات اصله ان
تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة حكما
حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة • والقرية سذوم اى في
اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتى ارحم بها من اشاء • من قبل من قبل
هؤلاء المذكورين هو نصر الذى مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم
انصرهم منه اى اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب
قومه اى واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما
والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ
فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة
غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث

ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود
كهيئة يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك فان قلت
احكما بوحي ام باجتهاد قلت قيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمن
قلت اشبه بالصواب فان قلت ما وجه كل واحد من الحكومتين قلت اما وجه حكومة
داود فلان الضرر وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى
على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل
قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمن انه جعل الانتفاع
بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على
صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي
فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته
الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا
ما حكمها قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون
مع البهيمة سائق او قائد والشافعي فيه ضمانا يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها
سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان في قوله وكلا اتينا حكما وعلما دليل على
انهما جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات واستيناف كان قائلا قال كيف
سخرهن
على الجبال واما مفعول معه فان قلت
لان تسخيرها وتسبيحها اعجب واحد ۵ ففهمناها
سليمن وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال
على القدرة راد حل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق والطير وكنا فاعلين
يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال
وتسبح قلت بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب اخر
وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين
اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء
اللبوس اللباس قال تمام الليس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح

فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين ليحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء
وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على تاويل
الدرع والياء لداود او للبوس قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على
الابتداء والنصب للعطف على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح بالعطف تارة وبالرخاوة
اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت
به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون
رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد
ويحكم اية الى اية ومعجزة الى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا
لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه
علمنا وحكمتنا اي يغوصون له في البحار يستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال
والمهن وبناء المداين والقصور واختراع الصنايع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل والله
وعلمناه صنعة لبوس
شاكرون
ولسليمن الريح
التي باركنا فيها وكنا بكل شيء ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم
فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه اي ناداه باني مسني وقرئ اني بالكسر على اضمار
القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضر في النفس
من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه
بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت
لسليمن بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت
في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب عليه السلم
روميا من ولد اسحق بن يعقوب وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله
كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها
خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم
البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة

ثلث عشرة سنة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امراته يوما
لو دعوت الله فقال لها كم مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحي من الله
ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيا ولده ورزقه مثلهم
ونوافل منهم وروي ان امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا العا
بدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم اي رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من
العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والاخرة قيل في ذي الكفل
هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكان يسمى بذلك لانه ذو الحظ من الله
والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه ۵ من يغوصون له و
يعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وايوب اذ نادى ربه اني مسني
الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله
ومثلهم ۵ وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل
ويعقوب والياس وذو الكفل وعيسى والمسيح يونس وذو النون ومحمد واحمد
النون الحوت واضيف اليه ۵ يوم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على
كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه
وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة
عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته
لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرئ ابو شرف مغضبا قرئ نقدر بالنون
مخففا ومثقلا يقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا
ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس انه
دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي
خلاصا الا بك فقال وما هي يا معوية فقرأ هذه الاية وقال او يظن نبي الله ان
لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى
ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن
ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه

بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما
يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين في الظلمات
اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
لا يبصرون وفي قوله يخرجهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل
وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا
اله الا انت او ۵ معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ۵ واسمعيل وادريس
وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين ۵ وذا النون
اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى ۵ او بمعنى اي عن النبي صلى الله عليه
وعلى اله ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا
اقراره على نفسه بالظلم ننجي وننجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل
وقال نجي النجاء المؤمنين فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف
بارد التعسف ۵ سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد
امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك
خير وارث اصلاح زوجه ان جعلها صالحة ان يكون بعد عقرها وقيل
تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا
الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون
في الامور وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه
خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين
وسئل الاعمش فقال اني سالت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا
ارخى ستره واغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى انه ان ياكل خشنا ويلبس خشنا
ويطاطئ راسه ۵ احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم
يمسسني بشر ولم اك بغيا فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال تعالى فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من
روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه ۵ في الظلمات ان لا اله الا

انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين
وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا
له يحيى واصلحنا به
كانوا يسارعون في الخيرات نفخنا الروح
في عيسى فيها احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي
نفخت في المصمار المزمار في بيته ويجوز ان يراد فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا
وهو جبرئيل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل آيتين
قلت لان حالها بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل الامة الملة
وهذه اشارة الى ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها
يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدوني ونصب الحسن
امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى
للثاني مبتدا والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف
الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعي عليهم ما افسدوه الى اخرين ويقبح
عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى
جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير
لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى
ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم الكفران
مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي
الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه ۝ وانا له كاتبون اي نحن كاتبو ذلك
السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما فهو غير ضائع مثاب عليه صاحبه
الحرام
وجوهه ومنه قوله تعالى ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين
فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها ۝ والتي احصنت
وحرم بالكسر والفتح وحرم وحرّم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها وان تكونا لهم وقرئ وحرم
ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية ان قوما عزم الله او قدرنا على اهلاكها

على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يرجعون ۝ ويقولون
يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون
على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله
فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية
المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن
الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة
على الوجه الاول فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلث قلت هي متعلقة
بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها
الكلام ۝ والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج
وماجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها
وقرئ اجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج
وهم راجعان الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج حين يفتح يخرجون السد الحدب النشز
من الارض وقرا ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية اي الحدث وقرئ
ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع ۝ فاذا هي اذا المفاجاة ۝ وهي تقع في المجازات سادة
مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها اذا تعاونتا على وصل الجزاء
بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا ۝ آية للعالمين
ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون ۝ وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون
منهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف
تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا ۝ ما تعبدون من دون
الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم
عبدتهم ويصدقه ما روي ان النبي صلى الله عليه وعلى آله دخل المسجد وصناديد قريش في
الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه
النبي صلى الله عليه وعلى آله فافحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم فاقبل عبد الله ابن الزبعرى فراهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة

بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن
الزبعرى ءانت قلت ذلك قال نعم قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا
والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وعلى آله بل هم
عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم
الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا بالهتهم قلت لانهم لا يزالون
بمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى
وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة و
يستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم
منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت اذا
كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين
الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس ۝ والحصب المحصوب به اي يحصب بهم
في النار والحصب ۝ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران وحرام
على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ۝ حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم
من كل حدب ينسلون ۝ واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا
قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ۝ انكم وما تعبدون من دون الله ۝ الرمي
وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب متحركا وساكنا و
عن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله
كما يعميهم الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى
بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه قرا هذه الآية ثم قال
وانا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد وعبد
الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها و
الحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ لا يحزنهم الفزع
والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات
ومن في الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين

يذبح الموت على صورة كبش املح اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا
وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل ۝ العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم
وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي
فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان
الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب
فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب
كان لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب ۝ اول
خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدانا
تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة ۝ حصب جهنم انتم لها واردون ۝ لو كان
هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لها على السواء فان قلت
وما اول الخلق حتى يعيده كما بداه قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم
يعيده ثانيا عن العدم فان قلت فما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد
اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول
الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه اخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل
مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بداناه نعيده واول خلق ظرف لبدانا
اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر
مؤكد لان قوله نعيده عدة للعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك عن الشعبي
زبور داود والذكر التورية وقيل اسم الجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب
يعني اللوح اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هي
ارض الجنة وقيل ارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وعلى آله الاشارة
الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ

الكفاية وما بلغ البغية ارسل صلى الله رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن
خالف ولم يتبع فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله لا يسمعون
حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقيهم الملائكة
هذا يومكم الذي كنتم توعدون ۝ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدانا اول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور ۝ ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس
زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المجرة
في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان ۝ محنة على نفسه حيث حرمها ما
ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به
عذاب الاستيصال انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما
يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد
وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي الى رسول الله
صلى الله عليه وآله ومقصور على استيثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ۝
ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله بان تخلعوا الانداد
وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان لا يكون المعنى ان الذي
يوحى الي فتكون ما موصولة اذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى
الانذار ومنه قوله فاذنوا بحرب من الله ۝ من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي
ورسوله وقول ابن حلزة اذنتنا ببينها الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين
اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم ۝ وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى
عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله ۝ الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون
وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل ۝ فان تولوا فقل اذنتكم على سواء
بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه
واذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم و
وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كائن
لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك

لان الله يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام في صدورهم
عن الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادري لعل تاخير هذا الموعود امتحان
لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعود في وقت
هو فيه حكمة قرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله ۝ ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم
على الضم ورب احكم على افعل التفضيل وربي احكم من الاحكام ۝ امر باستعجال العذاب لقومه
بعد تبوا بيه ومعنى بالحق لا تحاب بهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على
مضر قرئ تصفون بالياء والتاء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون
ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسول الله والمؤمنين من
به وخذلهم قال رسول الله ۝ من قرا اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا و
صافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران ۝
وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون ۝ انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما
تكتمون ۝ وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ۝ قال قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن
المستعان على ما تصفون ۝ سورة الحج ثمان وسبعون آية بسم الله
الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ۝ يوم ترونها الزلزلة
شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مراكزها ولا تخلو الساعة على المجاز الحكمي
فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله الساعة او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في
الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله
اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن
علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها ۝ امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر
الساعة ووصفها لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى
يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي
بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين
الايتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما رسول الله ۝ فلم نر اكثر باكيا من تلك الليلة فلما
اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا و

كانوا من بين حزين وباك ومفكر ۝ يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل
مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة ۝ والذهول الذهاب عن الامر
مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الارضاع
ملقمة ثديها الصبي ۝ والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها
به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته
عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن
الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام ۝ قرئ وترى بالضم
من اريتك قائما او رئيتك قائما تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها و
ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ۝
والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع
جعل الناس اسم ترى وانثه على تاويل الجماعة قرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى
وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى
وبسكرى بالضم وهو غريب ۝ والمعنى وتريهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن
ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال
من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتريهم سكارى من الخوف وما هم
فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية اولا
علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال
السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم وقيل نزلت في النضر بن الحارث
وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين والله غير قادر على احياء
من مات بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات
والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على
النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان
عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق
الجنة والهداية الى النار وما اراه الا رؤساء اهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة

في دين الله الا اخليس تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم بطريق
الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم وايا
عنى من قال شعر ورايت معقفوا الخلق بين قومه طريق فما عندهم مستو نهج ۝ ولو
قراوا في اللوح ما خط فيه من ۝ بيان اعوجاج في طريقته لم يحجوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي
رضيته لملائكتك في سماواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين و
الكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ
انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية
المكتوب كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير
قيل او على ان كتب فيه معنى القول ۝ الحسن حرك بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب
ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ۝ كتب عليه انه من تولاه فانه يضله و
يهديه الى عذاب السعير كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا الى خلقكم والعلقة
قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من
النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا
كانت ملساء كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب و
منها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم
وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة ۝ لنبين لكم
بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب ۝ اولا ثم من نطفة
ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم
يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من
ذلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين
بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرا ابن ابي عبلة ليبين لكم الشعر ۝
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام

حم

من البع

ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب
ونقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب ونقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا اصبه فالقراءة
بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع آخر
ستة اشهر او تسعة اشهر او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشاء الارحام
اواسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعنا هذا لغرضين احدهما
ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف
فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم فان قلت كيف صح عطف
ثم لتبلغوا اشدكم على لنبين ولا طباق قلت بل الطباق حاصل لان قوله ونقر في الارحام
قرين في التعليل ومقارنته له والتباسه به ينزلانه منزلة نفسه فهو راجع من هذه الجهة الى
مثابة القراءة بالنصب وحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا
الاستكمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقيود و
غير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله
ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية ضعيف البنية سخيف
العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام
فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم بعد علم شيئا ينسب ان
ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث
لحظة الا سألك عنه وقرأ ابو عمرو العمر بسكون الميم هامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة
ثانية على البعث والظهور هاوكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت و
ربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت والبهيج الحسن سار
للناظر اليه اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك
من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه و
ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه قادر على احياء الموتى اشدكم ومنكم
من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا وترى الارض

هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق
وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير و ان الساعة آتية لا ريب فيها وان
يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني
عطفه ليضل عن سبيل الله في الدنيا وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد
الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وعن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام و
قيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم
العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل
بظن وتخمين ولا باحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي
الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل
للمجادلة قرئ بضم الياء وفتحها فان قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله
فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال قلت لما
ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على
الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار
والقتل والتبب فيما يبنى به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله
في معاقبة الفجار الصالحين على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا
لكونهم من قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي
بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته
غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان
كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا
من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام
لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله تعالى والخروج الى ما يسخط الله جامع
على نفسه محنتين احديهما ذهاب ما اصيب والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران
الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية

ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدأ محذوف استعير الضلال
البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافته ضلاله فان قلت
الضر والنفع مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض قلت
المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا و
هو يعتقد فيه بجهله وضلالته انه ينتفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول
هذا الكافر بدعاء وصراخ حين استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى
اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعوا
كانه قال يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال الله تعالى لمن ضره بكونه معبودا
اقرب من نفعه ونذيقه يوم القيامة
عذاب يداك وان الله ليس بظلام للعبيد
الله على حرف فان اصاب
عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين هذا كلام قد
دخله اختصار والمعنى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه واعدائه
ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه
وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سمائه
فاختنق فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق
قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا
لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده
انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظه وقيل كان قوم
من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر و
آخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق
وقيل معناه ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته ولا من الرضا بقسمته فمن ظن
ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا
يغلب القسمة ولا يرده مرزوقا اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات ولان

الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين آمنوا او يزيدهم هدى انزله
كذلك مبينا الفصل مطلق يحمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا
بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربع للشياطين وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم
انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين
يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعوا لمن ضره اقرب
من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا و
الآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك انزلناه آيات بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصا
بئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل اي بين المؤمنين والكافرين
وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير شعر ان الخليفة
ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله
ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا لله تشبيها لمطاوعتها بادخل افعال المكلف
في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت فما تصنع بقوله وكثير من
الناس وبما فيه من الاعتراض احدهما ان السجود على المعنى الذي به لا يسجده بعض
الناس دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس

والجن او لأفاد اسناده الى كثير منهم اجمع امنا ناقصة قلت لا انتظم كثيرا في المفهمات المتنا
سقة الداخلة تحت حكم الفعل او انما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اى يسجد له
كثير من الناس سجود طاعة وعبادة لم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهره بمعنى الطاعة والعبادة
في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه
على الابتداء او الخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب
ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون
والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق
عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اى حقت عليه العذاب حقا ومن اهانه
الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا فما له من يجله مكرما
وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد الم تر
ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء
هذان خصمان انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما تقتضيه عمل
القائلين واعتقاد المعتقدين الخصم صفة وصف الفوج او الفريق فكأنه قيل
مختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى ومنهم من يستمع اليك حتى
اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان ابن عباس رجع الى
اهل وروى ان اهل الكتاب قالوا للمؤ
منين قبل نبيكم قال المؤمنون نحن احق بالله اختصموا
في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم
يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من
غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب بالله امنا بمحمد وامنا
بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به
حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل

بينهم يوم القيامة ذ في رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف
كان الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز
ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض
ونحو سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه
نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة
اى اذا صب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب احشاءهم
وامعاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقا
مع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها و
قرء الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها
فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا وقيل لهم ذوقوا عذاب
الحريق والحريق الغليظ من النار العظيم الاهلاك يحلون فيها عن ابن عباس من حلية المراة فهي حالي
ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولؤلؤا بقلب الهمزة الثانية واوا
ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل وادلو جمع دلو ولؤلؤ او ليليا بقلبهما ياءين
اي عن ابن عباس وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
وهداهم الى طريق الجنة يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال
ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه
قوله ويصدون عن سبيل الله اى الصد منهم مستمر دائم للناس اى للذين يقع عليهم
اسم الناس من غير فرق بين حاضر ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول
وهدوا الى صراط الحميد ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي
جعلناه للناس سواء العاكف وباد وثاو ومكي وطارئ وآفاقي وقد استشهد به اصحاب
ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها
وعند ش لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من
ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن

من مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب
انه ثاني مفعولي جعلناه اى جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول
ثان والالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان
ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد
ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان تضبط نفسه ويسلك الطريق
السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته
وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله
بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم
في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ
يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده
بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما
وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل
الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذكر حين جعلنا لابرا
هيم مكان البيت مباءة اى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة ورفع البيت الى السماء ايام
الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست
ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي مفسرة فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر
بتطهير البيت تفسيرا للتبوية قلت كانت التبوية مقصودة من اجل العبادة فكأنه قيل
تعبدنا ابراهيم قلنا لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله
وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن و
النداء بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت
ربكم والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن في الناس و
عن الحسن انه خطاب لرسول الله امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم
وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال

معطوفة

معطوفة على حال كأنه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون
صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق
نكر المنافع لانه اراد بها منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات
وعن ابي حنيفة انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها
لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله تعالى لان اهل الاسلام لا ينفكون
عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر
اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم و
قيل لو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم ير شيء من ذلك الحسن والروعة الايام المعلو
مات ايام العشر عند ابي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه هي ايام النحر
البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز الامر
بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا
لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثمة استحب الفقهاء ان
يأكل الموسع من الاضحية مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته
فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا البائس الذي اصابه
بؤس اى شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها
واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الو
سخ على الاداء قضاء ازالة التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى
ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من
اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع العتيق القديم لانه اول
بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه
ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت
كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط
على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رحمه الله فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه

ابرهة فظفر به بما فعل ذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه فى بعض المعانى ثم اذا اراد الخوض فى معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما فى جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد ابن اسلم الحرمات الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والحرم حتى يحل فهو خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلق لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله فى سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه فى كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل لكم كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك ثم ليقضوا تفثهم
وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت المعمور [العتيق] ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم من بعضها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور فى قرن واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التى هى راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه فى القبح والسماجة وما ظنك بشىء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعنى انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على ذلك المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة فى اجتنابه انه رجس والرجس المجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندى عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شىء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبى عم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الاية وقيل الكذب والبهتان وقيل

قول اهل الجاهلية فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك يجوز فى هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا فى حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح فى مكان سحيق فى علوه بالسماء والذى ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التى تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذى يطوح به فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت فيه فى بعض المهاوى المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهى قراءة الحسن واصلهما تختطفه وقرئ الرياح تعظيم الشعائر وهى الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس فى شراها فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه رض انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطى فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله فى التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اى فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها فى سائر الاعضاء الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخى فى الوقت فاستعيرت للتراخى فى الاحوال والمعنى ان لكم فى الهدايا منافع كثيرة فى دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا فى النفع محلها الى البيت اى وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله ... والمراد نحرها ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فى الحرم الذى هو فى حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا فى الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده

وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه شرع الله لكل امة ان ينسكوا اى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على النسائك وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور بمعنى الموضع فله اسلموا اى اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اى خالصا لا تشوبوه باشراك المخبتين المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرا الحسن والمقيمى الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرا ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهى الابل خاصة ولان رسول الله صلعم الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة فجعل البقر فى حكم الابل صارت البدنة فى الشريعة متناولة للجنسين عند ابى حنيفة واصحابه والا فالبدن هى الابل وعليه يدل الاية وقرا الحسن والبدن بضمتين كثمر فى جمع ثمرة وابن ابى اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اى من اعلام الشريعة التى شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شىء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له فى ذلك فقال سمعت ربى يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافى اى خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسالته قنوعا والمعتر المعترض بغير سؤال او القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة

والمعتر المتعرض بالسؤال وقرا الحسن والمعترى وعره وعراه واعتراه بمعنى وقرا ابو رجاء القنع وهو الراضى لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع منّ الله على عباده واستحمد اليهم بان سخرها لهم البدن مثل التسخير الذى راوا وعلموا ياخذونها منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون فى لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التى هى اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا او عبرة اى لن تصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا مراعاة النية والاخلاص بشروط التقوى فى حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم وقرئ لن ينال ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال والصابرين على ما اصابهم والمقيمى الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا او تهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته وخص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين وجعل العلة فى ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرا يدافع فمعناه يبالغ فى الدفع عنهم كما يبالغ فى الدفع من يغالب فيه لان فعل المغالب يجىء اقوى وابلغ اذن يقاتلون قرئ على لفظ المبنى للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا اى بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلعم كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله صلعم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهى اول آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم فى مقاتلتهم والا خبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه

عن الذين آمنوا موذن بمثل هذه العدة ايضا ان يقولوا اى بغير الجر على الابدال من حق اى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله دفع الله بعض الناس ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هديكم وبشر المحسنين ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع المختلفة فى ازمنتهم وعلى متعبدات انهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا الرهبان صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون فى امة محمد المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلوة لانه يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة اصلها من العبرانية صلوتا من ينصره اى ينصر دينه واولياءه هو اخبار من الله تعالى بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنتهم فى الارض بسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ فى ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد و قيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اى مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه و اعلاء كلمتهم بقوله لرسوله تسلية له لست باوحدى فى التكذيب فقد كذب الرسل قبلك وكفاك بهم اسوة فان قيل لم قيل وكذب موسى . ولم يقل وقوم موسى وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الا

[illegible]

ع

الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم قلت لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شىء اخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش فكيف كان نكير فكاين من قرية اهلكناها فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد والخاوى الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالى من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلوا من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اى خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هى خالية وهى على عروشها اى قائمة مطلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت فى قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهى مشرفة على السقوف الساقطة فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعنى وهى ظالمة فهى خاوية قلت الاولى فى محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وعن الحسن معطلة من اعطلته بمعنى عطلته ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها الات الاستقاء الا انها عطلت اى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكناها وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفى هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروى ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب وهى بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم افلم يسيروا فى الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اى يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحى فانها الضمير للشان والقصة يجىء مذكرا ومؤنثا وفى قراءة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب فان قلت اى فائدة فى ذكر الصدور قلت افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور الذى قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة

بما يطمس نورها واستعماله فى القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذى بين فكيك فقولك الذى بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضاء هو لا غيره وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا منى ولكنى تعمدت به اياه بعينه تعمدا ويستعجلونك بالعذاب انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الاجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه فى طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سنى العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده فى النظرة والامهال وقرئ يعدون بالتاء والياء ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الىّ والى حكمى فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا من قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعنى قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهى ظالمة ثم اخذتها والى المصير سعيت فى امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما فى طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا فيها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنين وثوابهم ليغاظوا من رسول ولا نبى دليل بين على تغاير الرسول والنبى وعن النبى صلى الله عليه انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبى غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب فى نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنا

دهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو فى نادى قومه وذلك التمنى فى نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان فى امنيته التى تمناها اى وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال ولهم المصير قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى اياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروى الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبرائيل او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد فى اخرها سجد معه جميع من فى النادى وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء ليزداد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقى فى امانيهم مثل ما القى فى امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد فى عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرا وانشد شعره تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اى هم الشفعاء لا الاصنام فينسخ ما يلقى الشيطان اى يذهب به ويبطله ثم يحكم الله اياته اى يثبتها والذين فى قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصلا وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم انه الحق من ربك اى ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة وان الله لهادى الذين امنوا الى ان يتاولوا ما يتشابه فى الدين بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المجمل الذى تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا يلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين امنوا بالتنوين الضمير فى مرية منه للقران او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذى لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له فى عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة كانه قيل او ياتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير فان قلت التنوين فى يومئذ عن اى جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون

او يوم نزول موتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته
والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظا
لمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان
الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة او
ياتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات
نعيم والذين كفروا وكذبوا منه حتى تاتيهم الساعة لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى الله بينهم
في الموعد بان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين
ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان طوائف من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك
كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الايتين سمي الابتداء بالجزاء معاقبة لانه
من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان
قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله تعالى على الا
خلال بالعقاب والعفو على الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله
المدح ان اثر ما ندب اليه وسلك مسلك التنزيه فحين لم يوثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله
فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله
لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو
وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو والعقاب
به بذكر هاتين الصفتين بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر
على ضده ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن ايات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار و
النهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده
من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون بايات فاولئك لهم عذاب
مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير
الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي
عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله
سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير فان قلت

ما معنى ايلاج احد الملوين في الاخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة
هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الاخر من الساعات
وقرئ يدعون بالتاء والياء وقرأ اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه في معنى الالهة اي
ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الالهية وان
كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا قرئ مخضرة اي ذات خضر على مفعلة كمسبعة فان قلت
هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف
خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم قلت لنكتة فيه وهي افادة بقاء
اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك
الموقع فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار
فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك
تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير
اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم ما في الارض من البهائم مذللة للركوب
في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ والفلك تجري بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة
ان تقع الا بمشيئته احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب
النعم هو نهي لرسول الله اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك ... عن القرين لرسول
الله بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة وروي ان بديل بن ورقاء وبشر
بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال
الزجاج هو نهي ان الله بالناس لرءوف رحيم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان
الانسان لكفور لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك
لعلى هدى مستقيم عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين
اثنين في الامر في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان
يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه
قوله ولا يصدنك عن ايات الله ولا تكونن من المشركين ولا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع
همة رسول الله حول ذلك الحمى ولكنه وارد وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم

يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك
في كتاب ان ذلك على الله يسير على ما قلت لك من ادوات التهييج والالهاب وقال الزجاج
هو من نادوا بعد ... عنه ان عد اي علمت اي لا تعلقك في المنازعة فان قلت لم جاءت نظيرة هذه
الاية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الاي
الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا
اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم
بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار
ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب من الله للمومنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب
وتسلية لرسول الله بما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه
يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته
وحفظه عليه يسير لان العالم بالذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلقه بمعلوم ويعبدون ما لم
يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجأهم اليها علم ضروري ولا حملهم
عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم المنكر الفظيع
من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش
وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار وبالنصب على
الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما
اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله استيناف كلام ويحتمل ان يكون
النار مبتدأ ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد فان قلت
الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة او القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان
والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم قرئ
يدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه
نفيا موكدا وتاكيده هاهنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم
كانه قال محال ان يخلقوا فان قلت ما محل ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان
يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في
تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية

التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل يستحيل
منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك
على عجزهم وانتفاء قدرتهم على ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون
بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا
وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف
لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها
بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق
معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يوهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله
قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شريكا له وشبيها به هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر
وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر ان الله عز وجل درّاك للمدركات عالم باحوال المكلفين
ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسئل
عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله لذكر ... ليس لغيره من
الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فقد دعا المومنون اولا الى الصلوة التي هي ذكر خالص
ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس
اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع وسجود
وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا
الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح
طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله
في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما لا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة
الحج بسجدتين وبذلك النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله احتج الشافعي وقرئ
سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون
قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا امر

بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي ص انه رجع من بعض غزواته فقال
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم
اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه
او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص
فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع
في الظرف كقوله شعر ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم لدينه ولنصرته ما جعل عليكم في الدين
من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش ونحوه قوله
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد ص هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة
نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد فان قلت لم يكن
ابرهيم ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده هو يرجع
الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا اي
من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن اي فضلكم على الامم لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم
الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز الله
يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم وما جعل
عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سميكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة و
اعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير وسماكم بهذا الاسم
الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل
قد بلغتهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه واشكروا له ولا تطلبوا النصرة والولاية
الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله ص من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها
وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم للزكوة فاعلون
قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل
هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه ويجوز
ان يكون جواب قسم محذوف كقوله قد افلح من زكيها في وقوعه جواب قسم والفلاح الظفر
بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره
الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح للبناء على المفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث
او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله شعر فلو ان
الاطبا كان حولي فان قلت ما المؤمنون قلت هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد
اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطيا قلبه لسانه فهو مؤمن
والاخر انه صفة مدح الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر
عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي ص انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت
هذه الاية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان
يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشان من شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض
عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الاداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات
والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى
روي عن النبي ص انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت
تخطب وانت تعبث فان قلت لم اضيفت الصلوة اليهم قلت لان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى
له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته واما المصلى له فغني متعال عن
الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة
الغاءه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه
الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء
التكليف الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى
الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله تعالى فجعل المزكين فاعلين له ولا
يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل يقول للضارب

فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك
تقول في جميع الحوادث من الفاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة
على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها
وقد انشد لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان
يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة على
ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره
زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا والمعنى
انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على محذوف يدل عليه
غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير
ملومين عليه او يجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم
نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك فالحاصل كانه قال والذين هم لفروجهم غير حافظين
الا على ازواجهم فان قلت هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم
الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته و
اتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان
المتناهون فيه فان قلت هل فيه دليل ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة
نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه
امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم
وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء
بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم
في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات
الناس وعهودهم وقرئ على صلوتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا واخرا قلت هما ذكران
مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلاتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا
يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي

ان يتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت
وجمعت اخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة
وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة التهجد والضحى
وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اي اولئك والذين هم على صلوتهم يحافظون
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء
بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة
وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تاويل الجنة
وهي البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وروي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذري وغرس فيها
من جيد الفاكهة وجيد الريحان السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة
والقمامة وعن الحسن ما بين ظهراني الطين فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاول للابتداء
والثاني للبيان كقوله من الاوثان فان قلت ما معنى جعلنا الانسان نطفة قلت معناه انه خلق
جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة
التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت
قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين
ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع
الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة خلقا اخر اي خلقا مباينا للخلق
الاول مباينة ما ابينها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا
وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب
حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله فيمن
غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق اخر سوى البيضة فتبارك الله
فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة
الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة

عن عمر ان رسول الله صلعم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي ان
عبد الله بن ابي السرح كان يكتب لرسول الله صلعم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلعم اكتب
هكذا انزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم
الفتح وقرا ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة
واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الان ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق
وضائق في قوله وضائق به صدرك وجعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة
ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع فان قلت فاذا فلا حياة
الاحيوة الانشاء وحياة البعث قلت ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت
ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه
الاجناس الثلثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة الطرائق السموات
لانها طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة
ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات كانه قيل خلقناها
فوقهم وما كنا عنهم غافلين ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين
وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون
فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها
تاكلون وشجرة تخرج عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع على الارض نوقهم
بقدرتنا واراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها
وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة
ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه
ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون
ونهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون
الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم
وكما قدر على انزالها قدر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها
للمفصل على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه
لا يتعايى عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا

فمن ياتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها
اذا لم تشكر خص هذه الانواع الثلثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل و
بان ثمرها فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون
بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان
ياكل من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي يحصل منها رزقه
كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون وشجرة عطف
على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما
ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا مثل امرئ القيس
ومنع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح
فلم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى
وقرا الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان
احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت
البقل والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء
وحكمه حكم تنبت وقرا ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الاكلين وباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هو
اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة وقرئ نسقيكم بتاء
مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق
بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد
بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر
طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها
ولكم فيها منافع كثيرة ومنها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها
يريد صيدحه ناقته غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة
افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر
نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق في شيء ان
يتفضل عليكم اي يطلب الفضل عليكم ويراسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض هذا اشارة
الى نوح عم او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي

يدعي وهو بشر انه رسول الله صلعم وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا الالهية
لحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذيبا انهم كانوا عليها
وعلى الفلك تحملون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون
فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل
ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب
انصرني بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع في ذلك لانهما هم في نفي نبوته وتشريفهم لان يدعو الحق
بالسكهم وما عرفهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف جوزوا وقد علموا انه ار
جح الناس عقلا واوزنهم قولا الجنة الجنون او الجن اي به جن يخيلونه حتى حين اي احتملوا
واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبته فان افاق من جنونه والا قتلتموه في نصرته
اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او بدل ما كذبوني اي بدل ما وعدتهم من العذاب وهو ما
كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم باعيننا بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله
حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك
فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا
انهم مغرقون فاذا استويت لئلا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين
كالئة ووحينا اي نامرك كيف تصنع ونعلمك وروي انه اوحي اليه ان يصنعها على شكل جؤجؤ
الطير وروي انه قيل لنوح اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة
فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح
واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة
وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور
وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي عم فار التنور طلع الفجر وقيل
معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول
يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال الشاعر حتى اذا اسلكوهم في قتائدة من كل زوج
من كل امتي زوجين وهما امة الذكر والانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين
مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل
بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء

باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر ليتها كانت كفافا لا علي
ولا لي فان قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب
الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استصلاحهم وبعد ان
املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين
الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين
ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين
ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنها الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم
كقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعوه بدعاء هو اهم
وانفع لهم وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه
الزيادة في خير الدارين وان يشفع الثناء بالدعاء عليه المطابق لمسالته وهو قوله وانت خير
المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا
استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار
كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او
موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان هي المخففة من الثقيلة وهي الفارقة بين النافية
وبينها والمعنى ان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد
ومختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر قرنا
آخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس ويشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من
بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء فان قلت
حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القرآن بالى تارة وبفي
اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا منهم
اي في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله
ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال وعلى هذا المعنى جاء بعث في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول
اعبدوا الله فان قلت ذكر مقالة قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو

الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فأي
فرق بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فماذا قالوا لهم فقيل له قالوا كيت وكيت واما
الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان
ما هما بلقاء الاخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في
مكة حذف الضمير والمعنى من مشربكم او حذف منه لدلالة ما قبله اذا واقع في جواب الشرط و
جواب للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ثنى انكم للتوكيد وحسن
ذلك الفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدأ
واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء
للشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود
ايعدكم اذا متم قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على
لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله
فهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون
او بعد ما توعدون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه اخر وهو ان يكون اللام لبيان
المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به قرنا
آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون
وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة [...] في الحيوة الدنيا ما هذا ا
لا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم
انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات
هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا
رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل
ليصبحن نادمين هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة
الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس
تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان نافية
دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي
الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قال او ما

الا

الا على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين قليل صفة
للزمان كقديم وحديث في قولك ما رايته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى
قلة المدة وقصرها الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا
الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم
في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله
غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا
ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت
بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا
ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم
غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من امة اجلها
وما يستأخرون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل اجلها الذي
الهلاك الذي حد لهلاكها وكتب تترى فعلى الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى
بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج [...] واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد واضاف
الرسل اليه والى امهم وقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولان الاضافة تكون بالملابسة والرسول
يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا القرون والامم بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم
اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله ويكون
جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا و
تعجبا وهو المراد ههنا فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان يراد العصا لانها
ام آيات موسى واولها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة
وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة
ودلوا ورشاء فجعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليه كقوله
وجبريل وميكال ويجوز ان يراد الآيات انفسها اي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون
علا في الارض لا يريدون علوا في الارض او متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم
البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان

والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلان وهم
امثال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كأنهم
يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم
له عبادة على الحقيقة وما ابيناء هرون ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها
كذبوه [...] بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى
واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا
انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد
آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات
قرار ومعين يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم بانه موسى
الكتاب اي قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون
وملائهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويريدون قومهم ولا يجوز ان
يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون
وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى فان قلت لو قيل آيتين هل يكون له
وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد
وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن
مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة في رائهما الحركات
وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض
بيت المقدس وانها كبد الارض واقربها الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق
وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا هذه الرملة الرملة فلسطين
فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من الارض مستوية منبسطة
وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الماء والثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين
الماء الجاري الظاهر على وجه الارض وقد اختلفت في زيادة ميمه واصالته فوجه من
جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه
بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع [...] لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة
هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف على رسلا انما ارسلوا متفرقين في ازمنة

مختلفة

مختلفة وانما المعنى الاعلام ان امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم
بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم
من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي
به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه
[illegible] والمراد بالطيبات ما حل من طيب وقيل طيبات الرزق حلاله وصافيه وقوامه فالحلال
الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل او
اريد ما يستطاب ويستلذ من المأكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما
الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر
على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا
مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل صلى وان الكسر على الاستيناف وان بمعنى ولان
وان مخففة من المثقلة وامتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا
دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل
اي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق
الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين
في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كأنني ضارب في غمرة لعب وعن علي في
غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او [...] رسول الله بذلك نهي عن الاستعجال
بعذابهم والجزع من [...] وقرئ [...] ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله ويجوز في
يسرع ويسارع ان [...] ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس
الا استدراجا الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم
في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء
الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه
البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا او في ذلك اهو استدراج ام مسارعة
الى الخير فان قلت اين الراجع من الخبر الى اسم ان اذا لم يستكن فيه ضميره قلت هو محذوف تقديره
نسارع به ويسارع الله كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك
لاستطالة الكلام مع امن الالتباس يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا وقراءة رسول الله

وعائشة يأتون ما اتوا اى يعطون ما اعطوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق
ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله انى لا نصل منه يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد
يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام
كما قال فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للاية المتقدمة
لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون اى لاجلها او
اياها سابقون اى ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا
بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين
غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلف عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت
لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق لا يقرؤون منه ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
والذين هم بايات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا
الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون
ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون
يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احد او اراد ان الله لا يكلف
الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هولاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته
فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوب
الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا اى مما عليه هولاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة
متخطية لذلك اى لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى
ياخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم
يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة والقد
والاولاد الجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات الليل ربه اى يقال لهم لا تجأروا فان
الجؤار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة
قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون

الضمير

الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار
شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به افلم يدبروا القول
ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون
به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات
والارض ومن فيهن والقائمون به ويجوز ان يرجع الى اياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى
استكبارهم بالقران تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته او يحدث لكم
استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرين بسببه او تتعلق الباء بسامرا اى تسمرون بذكر القران وبالطعن
فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته شعرا وسحرا وسب رسول الله
او تهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من اهجر في
منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مثاله في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان القول
القران يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبما جاء به بل جاءهم ما لم يات اباءهم فلذلك
انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر
اباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر اياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم
من الامن ما لم يات اباءهم حين خافوا الله وامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه واباؤهم اسمعيل و
اعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلعم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا
فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا الاسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام
شيا فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي في ان ضبة   سليمان بن داود
الم يعرفوا محمدا وصحة   وحلوله في   بل اتيناهم بذكرهم
فهم عن ذكرهم معرضون ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون
ولو رحمناهم وكشفنا وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة
التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا الجنة الجنون وكانوا يعلمون
انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا وانقبهم ذهنا ولكنه جاء بما خالف شهواتهم واهواءهم
ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا
لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون

والسحر والشعر فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كان لا يكرهون الحق قلت كان فيهم من يترك الايمان
به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين ابائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب
فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام
رسول الله حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب دل بهذا على عظم شان الحق وان
السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له
بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد صلعم وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة
ولاهلك العالم ولم يوخر وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر
بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بذكرهم اى بالكتاب
الذي هو ذكرهم ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وعظهم او
وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين
وقرئ بذكراهم قرئ خرجا فخراج وخرجا فخرج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة ارضك والى كل عامل من
اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك
خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرا خرجا فخراج ربك يعني
ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير قد الزمهم الحجة في هذه
الايات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه
خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل
فلم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط
المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم بدين
الاباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات
والايات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يجوز ان يكون في هولاء وصفتهم انهم لا يؤمنون
بالاخرة لناكبون اى عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن
بالاخرة فهو عن القصد ناكب لما اسلم ابو ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل
مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلعم فقال انشدك الله
والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع

والمعنى

والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا
الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلعم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس
وهذا التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد عليه بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر
من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع
الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم
شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك
اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون
والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت استفعل من
الكون اى انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من
السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يتضرعون قلت لان
المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هولاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح
عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها
من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم
وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي
ذراكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار
افلا تعقلون بل قالوا مثل في ايات الله واعتبارا ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم
يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك
اى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا ذراكم خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تحشرون
يوم القيمة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار اى هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما
غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو اى قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم الاساطير جمع سطر
قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا لقائل يا نصر نصرا نصرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة
وجمع اسطورة اوفق لان هذا البناء مما يستعمل فيما يتلهى به كالاعجوبة والاضحوكة والاحدوثة
اى احسنوني عما استعملته عنه ان كان عندكم فيه علم وفيها استهانة بهم وتجويز لفرط جهلهم بالديانات
ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تتذكرون

فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به ما هو مخلوق
قالوا إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا
من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين يعض حلقه في الوجه قرئ الاول باللام لا غير و
الاخيران باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في
مصاحف اهل البصرة باللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز
قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله
اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد
احدا تسحرون تخدعون من توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى وقرئ اتيتهم بالفتح
والضم بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار
عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون بل اتيناهم بالحق
وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب كل اله بما
خلق لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتهم ملك كل واحد منهم متميزا
من ملك الاخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم
متغالبون وحين لم تروا اثر التمايز في الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل
شيء فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم
يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف تقديره ولو كان معه الهة وانما حذف لدلالة
قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين عما يصفون من الانداد
والاولاد عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف ما والنون مؤكدتان اي
ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الاخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا
تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره في حياته ام بعد موته فامره
ان يدعو بهذا الدعاء فان قلت كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب
ان لا يجعله منهم قلت يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله

اظهارا للعبودية على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل
رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وعلى اله اذا
قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر الصديق وليتكم
ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ ترئنهم بالهمز كما قرئ فاما ترئن
ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون
الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان
تاملتم فما وجه هذا الانكار هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى
السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان
وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله ادفع بالتي هي احسن وعن
ابن عباس رضي هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن
الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم
دين وازراء بمروة بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم
والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم بما يصفون وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فيما تركت كلا انها كلمة الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان
الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو
الهمز الاز في قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لنداه وبالتعوذ من
ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القران وعن عكرمة عند النزع حتى يتعلق
بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض و
التاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على
قوله وانهم لكاذبون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله شعر فان شئت حرمت النساء سواكم
وقوله الا فارحموني يا اله محمد اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما
فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسال ربه الرجعة وقال لعلي اعمل فيه صالحا كما تقول لعلي
ابني على اس يريد اسس ما ابني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله

اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله و
اما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة
من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها
ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع
منه ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى
انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة الصور بفتح الواو
عن الحسن والصور بالفتح والكسر عن ابي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب
يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتالف
الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب
اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بادغام التاء في
السين فان قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسئل حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيامة مقداره خمسين
الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك
لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا
عن ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال التي لها وزن وقدر ومن ورائهم برزخ الى يوم
يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت
موازينه اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا في جهنم
خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد
خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف تلفح اي تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح
اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك
ابن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلثة ايام
ولياليهن وروي عن النبي صلعم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه
وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كالحون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان
على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء
اعمالهم وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا

كالكلاب اذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف
قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون
وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا
فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلك بانه اذا دعي الله وحده فينادون
الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ربنا اخرنا الى اجل فاولئك هم
المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم
النار وهم فيها كالحون الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا غلبت علينا شقوتنا
وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا
فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها في حرف ابي انه كان فريقا
بالفتح بمعنى لانه السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية
في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم
والاول مذهب سيبويه والخليل قيل هم الصحابة وقيل هم اهل الصفة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم
ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم عن تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي
وقرئ انهم بالفتح فالكسر استيناف اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول
جزيتهم فيه زيد قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام في قال ضمير لله او للملك
المسؤول لهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك او لبعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة
الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها او
لانهم كانوا في سرورها وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم
في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين
الا ان نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه منها [illegible] قال اخسئوا فيها
ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين
فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا
انهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
فاسال العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما خلقناكم عبثا
وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم

سائقيها ان تعدها كما هي فسل من في ان يعده ان يعدد ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين
يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم
يقولون كما تقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها كيف من دونهم وعن ابن
عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له
اي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم الشاق
من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء وانكم
الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم
غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت
الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم
الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد لا برهان
له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتاكيد لا ان يكون في الآلهة
ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد
لا احق **وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ**
الْكَافِرُونَ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ بالاحسان منه فالله مثيبه
وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه انه لا يفلح فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع
في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح
المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله
من قرا سورة المؤمنين تبشره الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت
وروي ان اول سورة قد افلح واخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ بأربع ايات
من اخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب كان رسول الله اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي
كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا
اعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا توثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علينا عشر ايات من اقامهن
دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية وهي ستون واربع ايات وقيل ثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي
فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ سورة خبر مبتدا محذوف وانزلناها صفتها او هي
مبتدا موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على شريطة التفسير
ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمها او على ودونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفتها
ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة
في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض ولكثرة
المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها وفيهما على الابتداء والخبر
محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا
وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنا
فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان
بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده ضربه ونحو ذلك فان قلت هذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم
قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام
والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بالنكاح الصحيح والدخول واذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند
الشافعي الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله من
اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعلق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية
والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغيره قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي
العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه
كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا ياخذكم بالياء ورافة بفتح الهمزة ورافة على فعالة والمعنى ان
الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة
في استيفاء حدوده وكفى برسول الله اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت
يدها وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا ترحموا
عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول
رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا
عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة

وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على تجرده ليس عليه الا
ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى الا ثلاثة الوجه والراس والفرج
وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والحصن يلحق بغير ضرب وما احتج به الشافعي
على وجوب التغريب من قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة انهم
جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالاية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب و
قول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد
خمسين ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الاية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت
وقوله فاذوهما وقيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي
نكالا والطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة
حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة
وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس
لان **وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا**
طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ
الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله
بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة
وساء سبيلا وعن النبي يا معشر الناس اتقوا الزنى فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة
فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الاخرة فيوجب السخطة
وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع
فيه القتلة الهول وهي الرجم ونهى المؤمنين على الرافة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب
ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاص المؤمنين لان
ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين
بالله والفاسق الخبيث الذي من شانه الزنى والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي
على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك
لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة
او المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين

بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة و
انواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب
وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات
من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله فنزلت **وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى**
الْمُؤْمِنِينَ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ
جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وعن عائشة ان الرجل اذا زنى بامراة ليس له ان يتزوجها
لهذه الاية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن
النبي انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء
وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القران لم ترد الا في معنى العقد والثاني
فساد المعنى واداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح
الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد
بن المسيب فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت معنى الاولى صفة الزاني بكونه
غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن
للزناة وهما معنيان مختلفان فان قيل كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت
سيقت تلك الاية لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي المادة التي منها نشات الجناية لانها لو لم تطمع الرجل
ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولى في ذلك بدئ بذكرها واما الثانية
فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدا الطلب وعن عمرو بن عبيد لا
ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ من ليرحمك
ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة
ويتصون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء القذف يكون بالزنى وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن
بالزنى شيئان احدهما ذكر المحصنات **وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ**
ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ عقيب الزواني والثاني
اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا ان يقول الحر
العاقل البالغ لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك
لست لرشدة والقذف بغير الزنى ان يقول يا اكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث

يلتمس نظر الامام فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان
يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل
والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة فان قلت كيف يشهدون مجتمعين او
متفرقين قلت الواجب عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان جاءوا متفرقين كانوا قذفة
وعند الشافعي يجوز ان يحضروا متفرقين فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم قلت يجوز
عند ابي حنيفة خلافا للشافعي فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه
الا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب
الزاني ثم ضرب شارب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب
صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف
ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف
معلق عند ابي حنيفة باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا
استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي يتعلق رد شهادته
بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالاية فابو
حنيفة جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا مردودي
الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستأنفا
غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا
الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم والشافعي جعل
جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن
القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالتأبيد وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم
في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الاية
ونظمها ان تكون الجمل الثلث مجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم
وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن
القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فان
قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب فلا تقبل
شهادته عند ابي حنيفة كان القذف مع الكفر اهون من القذف في الاسلام قلت المسلمون لا يعبئون

سب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من
الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار
فان قلت هل للمقذوف او الامام ان يعفو عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود
ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان
يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت
لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت هل
يورث الحد قلت عند ابي حنيفة لا يورث ويورث عند الشافعي واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط
وقيل نزلت هذه الاية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة قاذف امرأته اذا كان
مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما
اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان الزوج
عبدا او محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم
يجب اللعان واللعان ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها
به من الزنى ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى
وتقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنى ثم تقول في الخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنى وعند الشافعي يقام الرجل
قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده
على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت
وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن
له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق
القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر فان الفرقة
تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون هذه
الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد
ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير
طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان اية القذف لما
نزلت قرأها رسول الله صلعم على المنبر فقام عاصم ابن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد

رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين جلدة وردت شهادته ابدا وفسق وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ
وان قتله قتل وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجئ اربعة شهداء فقد قضى الرجل
حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت
على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به
فرجعا فاخبر عاصم رسول الله فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام وكان
شريك نزيلهم فقال هلال لقد رايته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله عند قوله وعليه
ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها رسول الله امين وقال القوم امين وقال لها ان كنت الممت بذنب
فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان
جاءت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله لشريك فقال لولا الايمان لكان لي ولها شان وقرئ
ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدله ووجه من قرأ اربع ان ينتصب
لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم اربع شهادات بالله وقرئ ان لعنة الله
وان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامسة على معنى وتشهد الخامسة فان قلت لم خصت
الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها
ولذلك كانت مقدمة في اية الجلد ويشهد لذلك قوله لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله
الفضل التفضل وجواب لولا
متروك دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من
منطوق به
الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به
واصل الافك وهو
اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ
أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ
عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ
اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا
لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ
لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه
والمراد ما افك به على عائشة والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا
اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن

اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه
في عداوة رسول الله وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي كل خائض في حديث الافك
من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب الاليم لعبد الله لان معظم الشر كان منه
يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله
ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله
هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلعم وابي بكر وعائشة وصفوان بن المعطل
ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت
فيه ثماني عشرة اية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله صلعم وتسلية له وتنزيه لام المؤ
منين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف
للسامعين والتالين الى يوم القيمة وفوائد دينية واحكام واداب لا تخفى على متأمليها بانفسهم خيرا اي
بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري
قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقال لو كنت بدل صفوان اكنت تظنين بحرمة رسول الله صلعم سوءا قالت لا
قال ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلعم فعائشة خير مني وصفوان خير منك فان قلت
هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت
ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق
مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه
ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك
مبين هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن
الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات جعل الله الفصل
بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادات الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة
لم يكن لهم بينة على قولهم فقامت الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ
مُبِينٌ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ
عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم
يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف
بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت

الصديق وحرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله ولولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشي لوجود غيره
والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان
اترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض
في الحديث واندفع وهضب وخاض اذ تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول
وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام
الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه
من الالق والولق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة وعن سفيان سمعت امي تقرأ اذ تثقفونه وكان
ابوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود فان قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم قلت
معناه ان الشي المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري
على السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ولولا
فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم
ما ليس تلونه هينا اى تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعيد الله وعن بعضهم انه جزع عند
الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن
من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة
اثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل
فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه
والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم فان
قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شان وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها
لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فان قلت فاي
فائدة في تقديم الظرف حتى وقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان
يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم فان قلت
فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي
ويصح اى ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك وسبحانك للتعجب من عظم الامر فان قلت ما معنى التعجب

كلمة التسبيح قلت الاصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صانعه ثم كثر
حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان قلت كيف جاز ان
تكون امراة النبي كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة قلت لان الانبياء مبعوثون
الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما
الكشخنة فمن اعظم المنفرات ان تعودوا ادنى ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه
ابدا ما دمتم احياء مكلفين وان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود
وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم
من الشرائع ويعلمكم من الاداب الجميلة ويعظكم من المواعظ الشافية والله عالم بكل شي فاعل لما يفعله
بدواعي الحكمة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد
ضرب رسول الله صلعم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره
وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضمائر وانتم لا تعلمون يعني
انه قد علم محبة هذا بهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله
لكم الايات والله عليم حكيم ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب
اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف
رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر
بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء
والله سميع عليم ولا ياتل اولوا من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب
حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمه وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب و
الرؤف والرحيم الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذؤيب ضرائر حرمي تفاحش غارها
اى افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء
وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر
التائبين فهو يقبل توبتهم اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم واخلاصهم هو من
ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما الوت جهدا اذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للاول
قراءة الحسن ولا يتال والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا يقصروا في
ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي

القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله فليعودوا
عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم
نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق
عليه فلما فرط منه ما فرط الى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة للمسي
ويروى ان رسول الله صلعم قراها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله
لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون
ان يغفر الله لكم الغافلات السليمات الصدور والنقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر
لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال الشاعر ولقد
لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله وقرئ
يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القران كله وفتشت عما اوعد
العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شي تغليظه في افك عائشة رضوان الله عليها ولا انزل من الايات
القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك و
استفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل كم والله غفور رحيم ان الذين
يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله
هو الحق المبين واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلث لكفى بها حيث جعل القذفة
ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم
تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله
هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة
الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة
وكان يسأل عن تفسير القران حتى سئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا
من خاض في امر عائشة وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف
بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ
مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الايات العظام في كتابه
المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك

الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلعم والتنبيه على اناقة محل سيد ولد ادم وخيرة الاولين والاخرين وحجة الله
على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق
ذلك من ايات الافك وليتامل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت
عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات ان يراد رسول الله صلعم والتخصيص بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق
واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلعم كانت المرادة اولا والثاني انها
ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان
كما قال الشاعر قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكنونه بخبيب
ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة فان قلت ما معنى
قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق البين اى العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق
الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسي ولا احسان محسن فحق مثله ان
يتقى وتجتنب محارمه اى الخبيثات من القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم
يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤون مما يقولون
لهم مغفرة ورزق كريم يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا
على اهلها ذلكم خير لكم واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات
الكلام وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة
والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤون مما يقول اهل الافك
وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اى الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل
الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة لقد
اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين امر رسول الله ان
يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في
بيتي ولقد حفت الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا
معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب
ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما تستانسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستئناس الظاهر الذي
هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش

من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا
ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن
فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال
من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم
ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة
شعر كان رحلي وقد زال النهار بنا بذي الجليل على مستانس وحد
ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس
قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح ويؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول
السلام عليكم ادخل ثلث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب
عمر فقال السلام عليكم اادخل قالها ثلثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الاستيذان ثلث واستاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال االج فقال صلى الله عليه وسلم
لامراة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول
السلام عليكم اادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل
منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف
واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن والاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس
كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت في بيتك اذ رعف
عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا الاسلام ولا الجاهلية وهو ممن سمع
ما انزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا
وتستاذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا
يعول على هذه الرواية وفي قراءة ابي حتى تستاذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية
الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه
دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال
للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال
اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون قيل انزل عليكم او قيل لكم
هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان فان لم تجدوا

فيها

فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع
لئلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال
التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك
فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن
ولا تلحوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب
الناس خصوصا لعلكم تذكرون **فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن**
لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا خصوصا اذا كانوا ذوي مروة ومرتاضين بالاداب الحسنة
واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف و
التصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي
عبيد ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع
فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده
من اهل الدار حاضرين وغائبين لم يبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن
فان قلت فاذا عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره قلت ذلك
مستثنى بالدليل اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة او انفع وانمى
خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما ياتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه
من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي
الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال
والسلع والشراء والبيع وروي ان ابا بكر قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في
الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات
يتبرز فيها والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور
الخالية من اهل الريبة من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش ان يكون مزيدة
واباه سيبويه فان قلت كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على ان امر النظر
اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن
واسوقهن واقدامهن **هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح**

ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ولا يحل لهم النظر الى
المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما امر الفرج فمضيق
وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه ويجوز ان يراد مع حفظها
عن الافضاء اليها لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القران من حفظ الفرج فهو من
الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم
وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل
حركة وسكون النساء مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت
سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المراة الا الى مثل ذلك وغض بصرها
من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم دخل ابن ام مكتوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
عائشة فلم تستتر منه فامرها بالستر فقالت انه اعمى فقال افعمياء انتما فان قلت لم قدم غض الابصار
على حفظ الفروج قلت لان النظر بريد الزنى ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر
على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المراة من حلي وكحل او خضاب فما كان **وقل للمؤمنات**
يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر
منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن
او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن
او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي
منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال
والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة
دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد
لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والاذن
فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل
ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر
ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله
في الكشف عنها فان قلت ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها قلت نعم فان قلت

الاربة من الرجال

اليس

اليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما
يحاذي ما تحت السرة قلت الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق
اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف
لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه فان قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو
كله ام المقدار الذي تلابسه الزينة منه قلت الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية
كذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة
في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة
الظاهرة قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة
الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور
قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة
والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا
مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما
في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب و
غير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما **الاربة من الرجال**
او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون و
انكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن
حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح
الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن
عائشة ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن
الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن كان على رؤوسهن الغربان او نسائهن قيل
في نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة وعن ابن عباس والظاهر انه
عني بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن
سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة
انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت وانت حر

وعن ابي حنيفة انه لا يحل استخدام الخصيان وامساكهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف
امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف
وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من
فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا
معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصف وضع
الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه المراد به الجمع ونحوه ثم يخرجكم طفلا لم يظهروا
اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما
من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القران اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على
الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سئل الشعبي
عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات يشترك الاب
والابن في المحرمية الا العم والخال وابناءهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيدني
تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن
في التستر وكانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل
كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد ما علم بذلك
ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر
على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا
بالتوبة والاستغفار وتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم
تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام
والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا
ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه
وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت
الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم
فقلبا والايم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال الشاعر
فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم عن رسول الله اللهم انا نعوذ بك من العيمة
والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد انكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح
من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون

للوجوب في حق الاولياء عند طلب المرأة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه
مندوبا اليه قوله صلى الله عليه وعلى آله من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج
به فلم يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض
لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن النبي والآثار كثيرة وربما كان واجب
الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن النبي اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت
لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه
الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزبة فان قلت لم خص الصالحين قلت ليحصن دينهم و
يحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم
منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية
فيهم واما المفسدون فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح
ينبغي ان يكون شريطة الله مقبولة في هذا الموعد ونظائره وهي مشية الله ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته
الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت
الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء الله عليم حكيم ومن لم
ينس هذه الشريطة لم ينتصب والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن
غفور رحيم ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا معترضا بعزب
كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا وعن النبي
التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر عجبت لمن لا
يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت
حاله وحسنت فسألته فقال كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت
بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلثة صب الله علي الخير صبا
فاصبحت الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف وليجتهدوا في العفة وظلف النفس كان المستعف طالب

لنفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح
ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى
ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك
ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا
بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به
الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن
الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على
الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى
الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان
اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك
ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ويجوز عند ابي حنيفة حالا او
مؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي لا يجوز
الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول
الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا واجلا ويجوز عند ابي حنيفة على مال قليل وكثير وعلى
خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض
وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما تبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق
وان كاتبه على وصيف جاز لان الجهالة وجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى
عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة
العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر هي عزمة
من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا قدرة على اداء ما يفارق
عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال
لا قال اتأمرني ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة
المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند ابي
حنيفة واصحابه فان قلت هل يحل للمولى اذا كان غنيا ان يأخذ ما تصدق به عليه
قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم

يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد الكتابة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له
ومنه قوله صلى الله عليه وعلى آله في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية
وعند الشافعي هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا
وعن علي يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى
ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك
فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة على وجه الندب
وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا
عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال
له الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان
لعبد الله بن ابي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن
على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة
عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر
البغي فان قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا قلت لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن و
امر الطيع المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان
بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من
حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن
عباس لهن غفور رحيم فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف
المكره عليه في انها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او
بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف وغيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت
عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة مبينات هي الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت
في معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ
بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل
قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم
يعني قصة عائشة رضي الله عنها وما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله
لولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا انتظم قوله الله نور السموات والارض

مثل نوره ويهدى الله لنوره وقالت زيد كرم وجود تقول ايضا الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور
السموات والارض فصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه
كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور
الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له
السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي
صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها
مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اي قنديل من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته باحدى
الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح
من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع
او لانها نبتت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم
ابرهيم ع وعن النبي ع عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة الباسور
وقيل لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام اجود الزيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا في
مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى والذين يبتغون
الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي اتاكم
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا
من الذين خلوا [illegible] قال رسول الله ع لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير
فيها في مضحى وقيل ليست فيما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل يصيبها
بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلالؤه
يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه
المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده
باضاءة بقية ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره
بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة
وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة
الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا

ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي ع الله
نور السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره اي نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب
مثل نور من امن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلألئ
ودري بوزن سكين يدرأ الظلام بضوئه ودري كمريق ودري كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى
تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح الياء وحذف
التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان التانيث غير حقيقي والضمير فاصل
في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور
المشكوة التي من صفتها كذا وكذا او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك
زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع ايات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر
ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابرهيم القواعد وعن ابن عباس هي المساجد
امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع عن قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم
ويذكر فيها اسمه ادوتها وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على
البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه
يسبح وهو يسبح له او وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند
الى اوقات الغدو والاصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه
يومان والمراد وحشهما والاصال جمع اصل وهو العشي والمعنى بالاوقات الغدو اي بالغدوات و
قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال اصل كما ظهر واعتم التجارة صناعة التاجر
وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا تشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع
لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية
من صناعته الهته ما لا يلهيه شرى شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك
مظنون واما ان يسمي الشرى تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة
رابحة اذا اتيح له بيع صالح او شرى وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه
في اقامة عوض من العين الساقط للاعلال لم الاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة
مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر الذي وعدوا او تتقلب القلوب
والابصار اما ان تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله

اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت
مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر احسن ما عملوا اي احسن جزاء
اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم
على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل
وعطاء الله اما تفضل واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب فله حساب
لكونه على حسب الاستحقاق السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه
الارض كانه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة
في جار وقرئ بقيعات بتاء مطولة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعا كرجل
عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها
تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه
الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية
الله عنده فياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقون الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم
عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس
الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام اللجي العميق الكثير الماء منسوبا الى اللج وهو معظم
ماء البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها
فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة شعر اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى
من حب مية يبرح اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح من قبلكم وموعظة للمتقين
الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة
كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال
للناس والله بكل شيء عليم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها
بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة و
ايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا
ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة

يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع
الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور الم تر ان الله يسبح له من
في السموات والارض والطير شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجد
من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد
عنده الزبانية تعتله الى النار ولا تقتل ظماه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها
لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال
ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى
الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات
على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى
صافات يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل او لله وكذلك في صلوته وتسبيحه
والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة
التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها
كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد
انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل
في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه
ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا برقه الادغام
وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في
جمع ظلمة ظلمات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو
والارتفاع من قولك سني مرتفع ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا
بايديكم وعن ابي جعفر المدني وهذا من تعديده الدال على كمال قدرته وظهور امره
حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم
له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل
المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق

البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر فان قلت متى رأى رسول الله تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له الم تر قلت علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحي فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد قلت الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت ما معنى من جبال فيها من برد قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرئ كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز فاعطي ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم فان قلت لم نكر الماء في قوله من ماء قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان قلت فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى اخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وادم من تراب خلقه منه فان قلت لم جاءت الاجناس الثلثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير الة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمي الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين ... قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض

يعني بالبيان وقيل قال له حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ ان شاء الله تعالى

تم الجزء الثاني من كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل
بحمد الله وعونه وتوفيقه وصلى الله على سيدنا محمد واله
يتلوه ان شاء الله في الجزء الثالث تفسير سورة مريم عليها السلام









